

## عدد من مجلة الجديد، ١٩٩٠

للفكر والثقافة الوطنية عدد من مجلة الجديد صدر عام ١٩٩٠، وهي مجلة شهرية نقارة ورئيس تحريرها التقدمية تأسست عام ١٩٥١ وكان محررها الأول حنا مدينة حيفا. يتضمن أنطوان شلحت، وطبع في مطابع الاتحاد التعاونية في بعنوان "ظاهرة حانوخ العدد: حديث الشهر لهيئة تحرير مجلة الجديد. مقال يتحدث عن فلسطين" ليفين "لرياض بيدس. مقال بعنوان "نيقولا غوغول أجرته زينبات بيطار. لعمر محاميد. لقاء بعنوان "رسول حمزاتوف يفتح قلبه" كاغارليتسكي. مقال مقال بعنوان "أهمية أن يكون المرء ماركسيًا" لبوريس التراث "لابراهيم بعنوان" الجراد يحب البطيخ، شكل فني جديد من عناصر في عام ١٩٠٣ "لمحمد فتحي. مقال بعنوان "قضايا راهنة أثارها فرح أنطون والحرب" لسيد محمود الناصر النقاوي. دراسة بعنوان "الزهرة بين الخصب لعاموس عوز. قصة القمني. قصة "دعاة للريح" من الأدب العبري الحديث بنورة. قصاصة بعنوان "لماذا أحس الصحفي الأمريكي بالخل" لجمال الجزء الثاني والأخير من بعنوان "حامل الهم وحامل العزتين" لوليد أبو الرب. بعنوان "احتفال الضوء" لمحمد مسرحية "الإغتصاب" لسعد الله ونوس. شعر شعر بعنوان "عاصفة بنيس. شعر بعنوان "خارطة للفرح" لعبد الناصر صالح. مواسي. شعر من فلقل أكحل" لعز الدين مناصرة. قصيدتان لفاروق بعنوان "قصيدة إلى امرأة" بعنوان "ويكون حقلك أخضرًا" لرقية زيدان. شعر عدوان. مقال عن مجموعة لسامر خير. شعر بعنوان "الخارجون منهم ومني" لممدوح عبد الشكزور. أخبار نجيب محفوظ القصصية بعنوان "الفجر الكاذب" لمحمود الأسعد بعنوان "راجح ثقافية متنوعة كتبتها هيئة التحرير. مقال كتبه أسعد غنيم زيتونة لا تموت وأهازيج لا ترحل".

# الجدید

تعلی سرالانضال تعلی  
واصری هالضیہ  
ولا تتلی

راجح السلفیتی  
زیتوندہ لا تمصوت





تحتل موضوعه الدل (أو الإهانة) الركن الأساسي في مسرح ليفن. فبعد بداياته وصرح ليفن يؤكد أن لا معنى للحياة. وإن الدل هو الأمر الأساسي السائد بين البشر في الحياة. فمعظم مسرحه يدور حول هذه الفكرة. وهنا يقول الناقد الغربي دان جرين من ذلك: «تلك مصيحات حناوخ ليفن ليست الا تنبؤات في موضوع واحد: بشر يشعرون بوجودهم، أو بوجود غيرهم، وإذا شئتم بوجدوا الا أنه - حين يكونون مدركين أو مدركين أنفسهم وبغيرهم - بشر آخر. أما الدل / أو الدل، معناه أنا موجود»<sup>(١٧)</sup>

هذا الرأي اكتمد بتأليف عسري آخر، حين كتب: «ككتيبات القرمزي يدر في نتائج حناوخ ليفن الموضوع البرتقالي القديم للسيد والعبد، السيد والخدم». إن تجديد حناوخ ليفن هو في إقامة علاقة سيد وخدام على أساس عاطفي في الدل، من ناحية، وإلى داني، من ناحية أخرى<sup>(١٨)</sup>. فمن بدايات حناوخ ليفن يرافق الدل شخصياته، إضافة إلى تكلمها بلغة طفولية في أحيان، ويتركها في حناوخها الأساسية، فلا لغة بلا ألم، ولا سيد بلا سيد، وثمة خليط يجمع بين كل هذه العناصر. الدل، الدل واللازال الجنسي، والاجتماعي، والسياسي.

#### البعد السياسي لهالو ليفن

إن إحدى الخصائص شرح ليفن هي تطوره إلى القضية السياسية في أوجها. بذلك سيؤثر ليفن لصالحه الرواية والأصالة. وحق، كتب الناقد الغربي شمعون ليفي عن مسرح ليفن: «لم يكتب أحد تأثيراً اجتماعي، وسياسي، وايدولوجي، كليفن في فترة النضال القومية التي عشت البلاد بعد حرب الأيام الستة، حرب الأيام عشرة دقيقة، حسب تعريبه. منذئذ، قلده الكثيرون الذين انضمتوا إلى اندفاع المعارضة».

إن الحق من التيهيم الاجتماعي الذي يقود إلى الحرب، والموت هو أحد الأسباب التي دفعت ليفن إلى قول كل ما قلعه في مسرحه السياسي، بمعنى في مسرحه الاجتماعي. ولقد استطاع الناقد يارون براك أن ينفذ إلى أهمية ليفن الروادية حين كتب: «ستتبع مسيرة متواصلة من تطور المسرح السياسي في البلاد، استطاع المسرح الإسرائيلي التوصل إلى القدرة على التعبير هذه، حيث كانت بدايتها بـ "أنا وأنا والحرب" القليلة من تأليف حناوخ ليفن، التي عرضت في صيف العام ١٩٦٧، حالا بعد حرب حزيران (يونيو)»<sup>(١٩)</sup>

يستتبع الكتعب عن ليفن ومسرحه ولسفته: إنك جرته قلت عن مدارج طريق كيف سيصعد هذا المسرحي في وجه هجومات الإجماع القومي، الصهيوني. لقد استطاع ليفن، من بداية العام ١٩٦٧، مع اليافيتش وآخرين لقاتل جد، أن يرى إبعاد، ومخاطر، الخطورة السياسية، وقدم ولما صديقا مشهورا والغضب والتعب، وكتب: الناقد ميجال هندلر لشر مساهمة ليفن في تعبئة الوضع، في: «أنا وأنا والحرب القليلة» و «ملكة الجحام» و «كتشوب» و «الوطن». لم ينسج كاريكاتيرات، ولم يبالغ بالتفاؤل فقط، وإنما عبر الشكاف بعداً، وصوت إلى مركز الإجماع القومي صيغته، مع أن قسماً من الأناشيء يقرأ اليوم كأمم مفروغ منه، وحتى داني، ذاكرتنا لصيغة، لربما يصعب تقدير مدى الجراءة لكثيرة شعار قريب من حرب العام ١٩٦٧ (أب - أغسطس ١٩٦٨). «أنا وأنا والحرب القليلة» من برعي الأزمات، لا كلمات لونه ليتولها، أنه يذهب جدياً بتأنيع العيش كمن سخر أنواره، حينئذ، لم يكن في نه تجرأ على الكلام عن خارج البؤرة العامة. لقد تلمزاً - وكثيراً مسرح كان في ذلك خرافة متساقطة ونفساً غداً - بالتوجه بتضمير الخلف، التمسك إلى الجمهور الجاهل

في مجموع الأعمال السياسية، المسرحية، والأناشيء، والأناشيء، القصائد، المصنوعة في كتاب ساداً يوم العصفور، نجد البؤرة الأولى لعالم ليفن القاسي، ثمة سيد وهم دول، الكتاب، في مجموعته، يقدم لنا مواقف ليفن التي سبقت وقتها، حيث جاء على ظهر الكتاب، «القرآن سبقت التاريخ، والتاريخ لم يسبق لها».

في هذا الكتاب (ساداً يوم العصفور) الذي يدل عنوانه مع محتواه، قدم ليفن ألماً الصورة القلائدية للبلاد التي كانت تصور الأمور على ما هي عليه، لكن ليفن استطاع ببطء يصحبه أن يرى ما يراه القليلون، الرصة خصيصاً، إزاء احتلال وسياسة تشيعة وإدلال الأخر، وقبل أن تعترض إلى التخصيص الإربعة التي اختارها، تجدد الإشارة إلى أن ليفن أكثر من أي دراسة أو دراسات، أنه عالم يكرس كل يوم، ليؤكد عدم إمكانية العيش بكراماً، ما رايت كرامة الآخرين تستلهم.

#### «أنا وأنا والحرب القليلة»

العقل، دانت وأنا والحرب القليلة، هو أحد الأعمال الأساسية في مسرح ليفن، قلده عرض في آب (أغسطس) ١٩٦٨، وما يزال مثلي يوماً هذا بشكل بكتيرة هائلة تلقى إعجاب ليفن السياسية الأخرى.

كفعل: ككل، ينتقد سياسة إسرائيل العنصرية واحتلال الضفة والقطاع ويصني: «حرب الأيام الستة» بـ «حرب آب» ١٩ دقيقة، فما قلله البطل لجوئيه الميئوس هو، حلم بعد الله حكم، وأنا فقط الآن، والتكلم إلى سامية خالية، (ص ١٢). لقد كان لمن الانتصار، أو الهزيمة، موت الجود، ويقاد العسكري الكبير من قيد الحياة.

لما في المشهد الثاني، انطرا عن الجندي الذي يذبح صامتة، يبطئها بالآلة نقده، في التناجيه ويصلي الآيات:

في المقطع الثالث، هاجم ليفن الحرب والعلماء الذين لا يصابون ولا يادي خدش - ساقط لم لا إذا كان هناك خدش، فهو انت فقط رؤساء الحكومات يدور أي خدش، حينما يصلي كل شيء، هم الذين يرفضون بالكلية للشعب، أنا لرب العيش وأبنيهم، (ص ١٦)

في المعلقة الرابعة التقى مائكر لوفيلان والغصية السبية بولينا، فاستطاعت هاء وتصورت أنه هو الذي كان في القاعدة العسكرية حين سلبت الحرب وكانت تعني لهم أخيراً ناهيا تتحدث عن أحمى الذي مات، وقطعت نسالة إلى أن قال لها: «لوفيلان، لقد مات (استطاعت بولينا حصة نقاداً) للمرة الرابعة تسلي».

بولينا مرة رابعة، وما زال ميتاً

«لوفيلان (مريشكا) أجل، ما زال ميتاً» (ص ١٨)

في تشديد بولي صياح رابع، قدم ألماً ليفن، قلعة رتا، جميلة جداً من الذين سقطوا ضحايا تلك الحرب، وفي المعلقة السادسة «الآن يعود من أرض العزة»، فرح الأب والأم بعودة أبنهما سائداً من تلك الحرب. أما التشديد، شطرنج، فهو مفتاح هام للعمل كله. التشديد إنكار على وصف وولات الحرب الاشتاتية من أصعب القرارات السياسية، إلى أين ذهب داني، ولدي الطبيب إلى أين، جندي

أسود يضرب جندياً أبيض، لن يعود أي، لن يعود، جندي أبيض يضرب جندياً أسود، بكاء في الغرف، وصمت في الحدائق. ذلك يلعب مع المثلثة

«بني لن يقوم ثانية، أريد أهدر عيونه، جندي أسود يضرب جندياً أبيض، أبي في القلعة وأن يرى ضوءاً مرة أخرى، جندي أبيض يضرب جندياً أسود، بكاء في الغرف، وصمت في الحدائق. ذلك يلعب مع المثلثة

«بني الذي في جنسني، الآن هو في الغيم، جندي أسود يضرب جندياً أبيض، أبي بقلعه الدائم، قلعة بارز، جندي أبيض يضرب جندياً أسود، بكاء في الغرف، وصمت في الحدائق. ذلك يلعب مع المثلثة

«إلى أين ذهب ولدي، ولدي الطبيب إلى أين؟ سخط جندي أسود، جندي أبيض لن يعود أي، أبي أن يعود، لا جندي أبيض ولا أسود، بكاء في الغرف، وصمت في الحدائق. على لوح، جاني ملك وملكة فقط، (ص ٢١)

في المعلقة السابعة القليلة، والأربعة ويصوتون، التي تنوي الزواج ثانية، وفي المعلقة - التشديد ستة مبرعات، كتب ليفن ضمن ما كتبه في فترة تشديد الغائب للمغلوب، «المرحوم فوك ولوفي، لكن رأسك يعطو هذا» الأوردة التي ستتنت من جسدها، أظفها لنا، وليس لآكله» (ص ٢٢) في مقابلة للتلاد يوم، سخر ليفن من العسكري الذي أخذ يوم إلى الحرب، فجاء مغلفته يقول له: «سقط لك مؤخرتك يا قائد يوم، لأننا لولاك لما كنا نقتل شيئاً الآن، لأننا لولاك لكنا لن نساكنها، الآن، أراهم يا قائد يوم، لأننا لولاك لكن أكلنا داني، يا قائد يوم».

وأما ليفن هذا التشديد العزلة بلغة السريعة والمفارقة بقوله، «في النهاية، اعزبتا على القليلة العرجاء يا قائد يوم، لأننا نحن نمرح قليلاً الآن، يا قائد يوم» (ص ٢٦).

في تشديد ما هي المثلثية، القليلة بالصورة الكيفية التي خلقتها الحرب وأدواتها في لغوسنا، داني القليلة قرينا الأناهاء، وملك الموت لتشتغل مع حمار، وعندما يمرض التشديد، ارتفعت، ابتلح العدو من شقته إلى الأرض.

منذئذ قلنا: كل الاحترام الحرب هي شغل جيد جداً من يميننا يبقى على قيد الحياة، والواقون يستحقون ويصلحهمون» (ص ٢٧).

أما في دلم حاربنا، فقد التقى حار وجارة في عزة الحزن: البحار غوروييتش مناصر للسلام ضد الحرب، أما السيدة فوكس، فهي تبيع الحرب.

غوروييتش جاري القوقازي مات، أسير مع قبل الحرب تكلم عن أنه يصب إعادة التل مقابل سلام، يوجد شهود!

فوكس، أرى أنه صعب منك يا سيد غوروييتش.

غوروييتش إن تعاليجني يا موت يا سيد فوكس، لي كثر، هم في الحزن! [تظهر جارة أخرى- صولتا كسج]

جارية: السيد والمسيحة العزبان، لم حاربنا، لم مسكنا دعنا الغالي كثيراً، الأرض المسئلة

بين لويديا، لدا، وبينه، على القول: من مات فقط لن يهدأ ولا يهدأ» (ص ٢٨ - ٢٩)

«أنا وأنا والحرب القليلة، هو التشديد الأخير في هذا العمل الحائلي

«حينما تشرب، أنا نحن ثلاثة، أنت وأنا والحرب القليلة، حينما تشرب، أنا نحن ثلاثة، أنت وأنا والحرب القليلة

«أنا وأنا والحرب القليلة، والحرب القليلة حينما تشرب، أنت وأنا والحرب القليلة، التي توجد استراحة منسبة

«حينما تشرب في لحظة جيد، تشرب معنا الحرب القليلة، حينما تشرب في عزة الولادة، تشرب معنا الحرب القليلة

«أنا وأنا والحرب القليلة، والحرب القليلة حينما تشرب، أنت وأنا والحرب القليلة، التي توجد استراحة منسبة

«أنا وأنا والحرب القليلة، الحرب القليلة حينما تشرب، أنت وأنا والحرب القليلة، التي توجد استراحة منسبة، (ص ٣٠)

هذا العمل الأول للليفن يدل على مواقف الكاتب، كما يوصي بأهمية هذا العمل الذي كان بمثابة رد فعل عن عنوان الخامس من حزيران (يونيو)، ففي أوج الحيرة السياسية، استطاع ليفن أن يبتلي لنفسه طريقة مغايرة، بتقريب الرقش والمعارضة

«كتشوب»

«كتشوب»، هو استعراض ساتيري، عرض، أولاً في آذار (مارس) ١٩٦٩، يدور هذا الاستعراض المسرحي السامح حول معادلات السلام وقضية إلى الشرق الأوسط بواسطة مندوب هيئة الأمم السويدية غولان بارينغ، وزير الخارجية المصرية في تلك الفترة، محمود رياض، وزير الخارجية الإسرائيلية، أبا إيبين، أيضاً

حلم السلام لم يتحقق، تمول إلى موضوع يائيس في هذا العمل الحرب وما تركته من دمار وانكسار، شوب حرب جديدة، واييفن لا يترك فرصة إلا ويغضب بها على سياسة الحكومة وعلى كل الأفكار السخيفة التي تمنع إمكانية محاربة الآخر

في المقطع الأول «الحرب الأخيرة»، لأفس ليفن حالة الاستعثار التي عاشتها البلاد، بقوله: «مرة قلنا أيضاً، حرب أخرى فقط، حرب أخرى فقط، قلنا، حرب أخرى فقط، كانت حرب، وأحدة، كانت حرب ثانية، حرب أخرى فقط، قلنا، حرب أخرى فقط، وخلص الشاغر إلى أن يهزم، الحرب الواحدة غير قابل للتسليم، فهناك حرب وعزوب أخرى في الألف»

في المقطع الثاني، «العودة الأولى للحدود»، فلسفة، سخر ليفن من معادلات السلام هذه، وفي المقطع الثالث «الار رابعة»، تجرأ النص عن قدرات كبرية، فاروق والزوجة استشفافا السيرة تشيلي، السابح، حينما عن الفاح والندس، والرومان، حينما عن غبطة الميئوس (العسكرياتيا) فقلت





على الوضع الحالي وهنا: بتقديم الإثبات الشخصية لحروب غير عادلة. فما قاله إبراهيم إرباب يستحق -نعم- نعمة. هكذا الأمر إذاً يمكن فعله! وكانت لكي تكون شخصية. أنا شخصية. ما هو المردود الذي نتحصل عليه بعد كل المعاء والروح اللذين نوظفهما في إرفادنا؟ لم لا نرفض على الضيق. إذاً كل ذلك منطقاً... (ص ٩٠)

في تشييد أبي الغالي، حينما تلقى على قيري، قدم ليفين صورة عينية جداً عن أهوال وبؤس الحرب. قدم صورة الشباب الذي ذهب إلى الحرب، وبؤس أن يبقى أبوه عليه. أنه الجيل الجديد الذي يرفض سبيل سياسة الحرب. «أبي الغالي» حينما تلقى على قيري، جهوراً وشعباً ووحيداً جداً، وترى كيف يدعون جسدي في التراب، وانت تلقى برقي، يا أبي. لا تلقى. عندك، فغوراً جداً. ولا تعذر نفسك يا أبي. لقد بقينا الآن ألسناً مقابل ألسان. وهذا هو الوقت الثالث للتكلم يا أبي. الآن... ع عيونك ليكيان على حيتي، ولا تشتت لأجل كرامتي. اسر كان أخف من الكرامة، ملقى عند ضحايا، يا أبي. ولا تقل انه قلتمة شخصية. لأن من ضحى هو أنا. ولا تشكك كلمات عايلات. لاني، الآن، جد فصيح جداً يا أبي. أبي الغالي. حينما تلقى على قيري، جهوراً وشعباً ووحيداً جداً. وترى كيف يدعون جسدي في التراب. عايلات، (قلب الصفيح مني يا أبي، (ص ٩٢)

في مقطع «ملكة الحمام»، كانت تجربة الوضع غير نمو قاسي. وبمستوى مرة، سجل ليفين حقيقة وثيقة التأسيس التي تقوم عليه هذه البلاد، «أمرأة تحوي وثيقة تأسيسنا الأسس الأربعة هذه

(أ) ملكة الحمام الكاملة هي حقيقة واقعة.

(ب) كل من يعتقد بخلاف ذلك يخطئ.

(ج) من يخطئ، يوقف في الحال على خطئه.

(د) ملكة الحمام الكاملة توقف الخطئ. على خطئه في المكان والزمان اللذين تشكلهما هي.

(ص ٩٣)

أما في تشييد «الملكة الكاملة»، فقدم ليفين صورة للبلاد التي تشكل الآخرين، والذين الذين يمتدرون أقدامهم لأجل البلاد.

وفي تشييد «العقود أبوا الأوبة»، العقول، كتب: «العقول أبوا الأوبة» العقول، العقول التي لم تغدوها في إحدى الحرب، وقبل أن تغدوها الرأس واللسان أيضاً. العقول أبوا الأوبة» العقول وأغدوها إلى البيت للدم، (ص ٩٤)

في هذا العمل المسرحي، فقد، قدم ليفين صورة للبلاد العارلة في حرب، رمزية حتى الاستنزاف. إن قصة المرح المسرحي في أنه يتحدى في وقت لم يجرؤ إلا القليل جداً على تمديد. وعلمة هذه المسرحية أنها استطاعت أن تقدم صورة صادقة لواقع الدولة العنصرية. في نهاية المسرحية، بعد سبع عروض، أدى ليفين بكلمة فلسفية وسامرة عن المواقف التي حدثت في كل كلمة مثل هذا النص المساق والعنيف. هذا العمل المسرحي ويخبر من مسرحيات ليفين خلقت شخصاً سياسياً محترماً في البلاد، لذا، حرصت الرقابة على إيقاف عرض مثل هذه المسرحيات ذات البعد السياسي التحريضي الواضح.

## «الوطني»

عرض هذا العمل المسرحي، أولاً، في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢. وكيفية من مسرحيات ليفين آثار ضخمة كبيرة، وبعد هذا، أزال، وسع العرض.

إن بطل مسرحية «الوطني»، هو النبط الأول للبرجوازي الصفيح الإسرائيلي، «الوطني»، ساد ليفين هذه الشخصية بلا رحمة، أو شفقة. وهي - الشخصية - ظهرت عالية بكل لغاتها وسفاهاتها وانتهازياتها وطمعها الدائم للوصول إلى ملاذ الغم سام، وانتزاع مكان هناك، والاشتهاء، حتى لو كان ثمن ذلك تسديد بضعة في وجهه الأم. «الوطني» هو الذي يهزم جواهره في الخارج وعلى استعداد لأن يلعب لعبة الامتزج، لكنه، في المقابل، يحاول أن يبرغم الفلسفي على ما يقوله الاجتماعي به المعامل. لقمع الإسرائيلي هو قمع الفلسفي. يوده الطريقة بفرع «الوطني» نوازيه القومية المبرسة والقومية، هنا، هي التي تعيش على شفا الغاشية، والتي من السهل أن تسقط في شياكة. ومع ذلك، يعيش «الوطني» حلمه الأبدي والدائم للوصول إلى أمريكا. بعد أن يقوم بكل واجباته كتنشيط مريض ومعه.

إن الأريسية الشخصية في البلاد، والصالحية لإنتاج، والمرار القوميون هي أريسية مدساسة مثل «الوطني» القومي، بمعنى آخر، ما دفع القوميون إلى الظهور في الأريسية الحية لولادة، بهذا الصدد، كتب الناقد يارون بيكر عن مسرحية «الوطني» ما يلي: «إنه لن الشخا المصري أن يرى بـ «الوطني» نتائج التهم والغاشية، والقمع والاحتلال. أنه ذاته، في عدم الراحة الدائمة والمستديرة وبالشك الذي يورجعه، يستعمل كخلفية تلك السجرات. لكنه من المؤكد أنه النموذج الذي يمثل الفرد داخل الجموع السائر وراء، تيار غاشي، والذي قد يشكل قاعدة جماعية لغاشية في إسرائيل. ليفين لم يقش كثيراً على بطله البرجوازي الصغير، كما فعل في مسرحيته الأخرى ولكن الأريسية الاجتماعية - السياسية تعطي بإهتمام سريع»<sup>(١)</sup>

إن الحالة السياسية (الصهيونية) التي ولدت مفاهيم شائعة في البلاد أدت ليفين إلى أن يتبنى مواقف صارمة جداً تجاه الوضع العام. جهوراً خالص ليفين من جنون العظمة الإسرائيلية، الذي هو وجه العملة الثاني لتماثل الاستبداد في واشنطن. عند ليفين، خطي الدفاع الإسرائيلي، يقيم النظام في تشييد، يصرق العمال الذين في كالزستان، ويهبط في ألمانيا، فلا يسيطر أولاد غاشيا إلى النوم في الأحياء، ويومئذ وزير الخارجية الإسرائيلية هي المدافعة للرياء لتفانم الأمريكي»<sup>(٢)</sup>

السؤال الذي يطرحه في أثناء مشاهدته المسرحية، هو: ما هي هذه الدولة (إسرائيل)؟ هل هي خادمة خذونة لقم سام؟ وتشترك في موضوع الصراع الإسرائيلي - العربي باختلال المناطق المحتلة ومع الفلسطينيين وأدلاهم، العربي في «الوطني» دليل إلى درجة أن يظهر بمظهر الكاريكاتير الهوان والفسطة والقوة لا ترجمانه، بل تملأ على ذاته كل يوم بعد الصدد، كتب الناقد بيكر ما يلي: «صيت الرقابة جداً من هذا العرض يصاحبه الشاعرة هانا وأريكويتش وواقع دفعه على العصب على نحو دقيق بقولها: «هو - الإسرائيليون - مستعملون لأن يعطسوا على الرغم من قتل ولد عربي في الضفة، لتكملة لا يستطيعون رؤية ذلك في المرح»<sup>(٣)</sup>

القومية الأساسية، الحرب، وفارزاتها، تكررت في أعمال ليفين المذكورة. لكن الرؤية، هنا، تتشكل وتزداد إشفاقية، إذ أن الأمر لم يعد مقصوراً على أحفاد فلسطين، بل تمتد أجناساً لبنان، أد، نرى أن العمل المسرحي في «الوطني» يمتد ويتأخذ طابعاً عبقراً جداً، إلى درجة أن وسائل الإعلام

## كلمة الختمة

هل هناك كلمة أخيرة تعني حق هذه المسرحية؟ بالطبع لا. لقد أثرت في هذه المقالة الاستعراضية أن لا أقدم دراسة نقدية، أو فكرية، بقدر ما أثرت أن قدم صورة للعالم هذا المسرحي فقط، مستغلين، حيناً، بعض النصوص المسرحية، وأحياناً بعض الترويضات والتقديم التي تسهم في البناء، وتوضيح، عالم هذا المسرحي. ولقد تكون هذا المقالة خاتمة أو ترجمة لبعض ليفين إلى العربية، كلمة ختم، لم يترجم أي من نصوصه إلى العربية حتى الآن.

أضافة إلى ذلك، يجب الإشارة إلى أن هذه المقالة المسرحية، ليست إلا تقديراً لدراسة شاملة عن عمل هذا المسرحي أعمال. ولقد تشكلت المقالة نواتج دراسة كثيرة تصبوا في التعرف أكثر بعمل هذا الكاتب. ففي أعمال ليفين الثقيلة (الوطني) والآلهة (الزرق)، أخذ الزملاء والاستعداد والأساليب الفنية العالية تجعل من ليفين، وأخذت المدة العالية ليحل محلها المدة القصيرة في بؤس النص التمثيلية.

لقد استطاع ليفين أن يخلق في «أنت وأنا» والتعب القليلة، والتفصيل، وملكة الحمام، جهازاً نقدياً سياسياً، وفنراً للناقد كدور الأبرياء يتحرك بالصداء، واللام الذي يتركه على الفرد، ولا خيال، لعدم تشوب حرب، هي الكلمة الكبرى التي كان على ليفين أن يعزها، لأنها هي الخداع الذي كان الساسة يترجون به حروبهم.<sup>(٤)</sup>

إن كتاب «اللاصباح» من العرب، أو حالة «اللاخيار»، عرّفها ليفين في مسرحية. لقد تشكلت ظاهرة ليفين الانتقادية ضمن سياق البلاد العربي. ولم يعد ليفين بـ «أنا» إلا أن يعزى، ويواجه، جهازاً الذي يدفع بالناس إلى الحرب الضروس، لذا، يتحدث الكشوف، اليوم، عن أن ليفين استطاع أن يمسك الأحداث في أحيان يتوقعها. كما أن أقواله ما زالت تكتسب صحتها لأنها من الواقع الذي نعيشه. لذا، تتميز الظاهرة اللبنانية بقدرتها على الرؤية، والفريق، وبالتاليها الطبيعة الحياة العنصرية»<sup>(٥)</sup>

إن علاقات الانتماء في مسرح ليفين تلمس على أرباب القوي والضعيف، وعلم الفرد الوصول بالسلطة قد يتبع هذا الحلم من الوضع الذي يعيشه شخص مسرحية. أنهم جالون بالافضل، وعلى استعداد لالزال الآخر إذا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. لقد كتب كدورون عن علاقة السلطة بمرح ليفين ما يلي: «لقد ابتزوا بصرياً ملكة الممام» لأن إنسانية عدم صفاتهم أنهم يتكلمون من الرغبة في «تجمل الطاعة» ذلك لأنه، هناك، لا يوجد غير صافين، كلهم في الهوس»<sup>(٦)</sup>

لقد استطاع ليفين، بجسارة دائرية، في أواخر الستينات، أن يلق ضء، الانصاع القومي، ويعمل أن الانحلال مسبة وعمر لا بد من التخلص منه بامر مع يميني، ولقد وقف كل قوات المسرحية ليؤكد أن إنسانية المياع مع الانحلال هي إنسانية مجنونة، واليوم بذلك الأمر أكثر فاعل. ولم يتكلم ليفين بذلك، بل استمر، بعد احتياج إسرائيل للبنان سنة ١٩٨٢، وكتب مسرحية «الوطني»، التي أرجمت السلطات وبعض الجهور، لأنها ضمرت على نعمة، إلا أن اجتماع القومي، كانت.

في مجموع الأصوات الأدبية العربية الشابة، ينقل خالص ليفين من أهم الأصوات، أن لو يمكن أهمها، مسرح ليفين وأوسع وشامل، ويصعب خصر لنجاح هذا، المسرحي في مقالة، لا سيما وأن

تحدثت عن هذا العمل كتاج، كما أن ليفين تحول إلى ظاهرة مسرحية كبيرة ذات رؤية شاملة تستدعي الاهتمام.

في الملحق الأول من «الوطني»، تلقى بتخصيصه لأهف، البرجوازي الصغير، الطابع الرديء كل شيء. شخصته في حياة كبد، كل لأهف، في النهاية، «من لي جتي أراه» كقول لوسيس، أنت أيضاً يلتصقك سرفاتي حين أرغلتني إلى الطاعة، كقول لوسيس» كل من يعيش هذا عالمي! المكان يلفظ لغاشية. أنا أجي - دم يخرج من أنفي. هذه حياة كبد» - جري - مقبولة لكل شخصاً هؤلاء يوم» هذه دولة؟ ليسلوم، الجليل ليسلوم، انتق ليسلوم - الكيوشات ليسلوم، يواض الأنفال ليسلوم، سلاح الجو ليسلوم، السماء ليسلوم، كل اليهودية - ليست من جبل سيناء - من ليسلوم؟ ليسلوم، ليسلوم، ليسلوم وينتار ويسلوم - لا يوجد مكان واحد حيث يستطيع انسان منطلق أن يفتح فيه حائلوا دون أن يفرقوا. أيها السادة، أنا مهائم من هذا إلى أمريكا» (ص ٩٧)

في تشييد «الانحلال الصغير»، تم الاستعداد للسفر إلى أمريكا، بلاد الحلم الجميل، وفي صداقة، رأينا أن وزير الخارجية يؤد السفر إلى أمريكا، فتدلل للسفير الإسرائيلي، وأد أنه السفير الإسرائيلي أنه في حالة إذا ما اعتدت رومانيا عليهم (إسرائيل)، فإن أمريكا مستعدة بمائة وند على قوتهم.

في قطعة «البصدة»، التي هي من أعقاب القطع، رأينا أن ثمن السفر إلى أمريكا ظل جداً، إلى درجة أن الفحصل طلب من لأهف أن يصفق على أنه لكي يسافر، ففعل لأهف ذلك مؤكداً للفصل حسن استعدادة للتشاق في كل شيء في سبيل السفر ليفين، في هذه القطعة، أكد لا إنسانية لأهف والذل الذي يذوقه من أجل إرضاء أمريكا.

في تشييد «حب شرقي»، التند محمود، الذي يعمل في تنظيف المراحيض، عن حاله والوضعية قائماً بكل لأهف إلى لخص الصدور، ولأهف رجل محمود. أما في «عالميات الدنيا» في المناطق المحتلة، قال علي «يماز وينتر من الحفر» - وفي قطعة «أجارية»، دارك رئيس بلدية في المناطق المحتلة الانحلال بسفينة، وفي دستور - الاستقلال التلاسمي، من سفر من الاستقلال مقابل الموت، وفي «الرفعة» جاء لأهف شراء قطعة من المناطق المحتلة، والحصول على الأرض، علوه أن يرفض محمود الذي يلمح له حذاءه. لكن محموداً يبدو لطيفاً جداً، فدوره المسؤل عن الأراضي، إلى أن رفض لأهف محموداً وحصل على الأرض.

أما في قطعة «شموع السبت»، فقد فكر لأهف باستقلال نهار السبت مع الوضع التمثيلي القائم لدى سفر إلى الراحة، مع أن الوضع العام يلقظ ذلك، وبتتها القطعة الخاتمة - عن أخيلة يعقوب - التي دارت حول موضوع القتل في المناطق المحتلة، وما فعله المستوطنون هناك. وفي «الكريات»، ودع لأهف البلاد، هنا ببضعة، وفي القطع الضحك، «التألم»، التي ريشان، بالغ التلاقي، ولأهف في الطار، ودار فيها بينهما حوار ممتع وفي «التجديد»، جيل دون سفر لأهف واقتيد إلى جري جديدة وفي «الوت على الت»، أخير القائد لأهف بأن الموت يواض قياتهم على التلة. في الملحق الصغير جداً «ليل كاس الشب»، التي لأهف مع الله الذي سامحه عن كل الخطأ، لكن لأهف أجعل كرس الله يقطن منه تعير العالم الذي خلقه بدلاً من قراءة إسمينورا. وفي القطعة - أزهى مجرداً، التتبايا بالمصاحف انطالية شاتبة مرور أمام الفصلية الإسرائيلية وضياء اليهودي ثالية. وفي الملحق ما بعد أمثال، ومنع العرض، عاد ليفين كلمة مقطع مسخر عن الرقابة والوضع العام.

## في رسالة يصف بها رحلته الى فلسطين عام ١٨٤٨

● بقلم: عمر حماد

الفصل الروسي في بيروت المؤرخ والكاتب الشهير فستوفان يازيفي ساعده في الوصول الى مدينة القدس عبر مدن صيدا، صور، عكا والناصرة. ومع ان غوغول لم يكت طويلا في فلسطين الا انه ترك لنا اربع رسائل بينها من مدينة القدس يتحدث فيها عن رحلته الى الشرق وترك لنا اربع رسائل اخرى بينها من مدينة بيروت.

في (١٦) شباط (١٨٤٨) كتب غوغول رسالة من مدينة القدس الى صديقه من فلسطينيكي، يذكر فيها وصوله الى مدينة القدس وسلامه ويتحدث عن زيارته ويعرفه على معالم المدينة الحضرية وعن زيارته لكنيسة القيامة والأماكن المقدسة

قام الكاتب الروسي نيقولاي فاسيليفتش غوغول صاحب الأعمال الأدبية الخالدة «الأرواح الميتة» و«الفتنة» و«نارسس جوليا» وغيرها برحلته الى فلسطين عام ١٨٤٨ بعد قيامه برحلة الى إيطاليا واليونان وقد توقف غوغول في أثناء رحلته الى الشرق في مدينة بيروت ثم القدس.

ومن الواضح من خلال رسالته انه لم يكت طويلا في فلسطين (كوالى اسوخين) زار خلالها الأماكن المقدسة وتعرف على المعالم الأثرية والحضرية للمدن الفلسطينية. في الرسالة المؤرخة في (١٨) آذار عام ١٨٤٨ والتي بعثها الى صديقه الشاعر الروسي جوكوفسكي ذكر الكاتب ان

مسيره لم يترجم الى العربية. فطاهرة ايدين تتنمى لشار الشرح (والألب) العربي، أنها طاهرة كتيبة جداً ان استعادة ايدين من بيروت والحمة، لكنه، والمطيرة تلال، المستطاع لجازو مرحلة التناثر وبناء صرح ايدين الذاتي، الذي ما زال يواصل الخطأ.

- (١) حاتوغ ايدين مسيري وألب يشار له في (١٦) شباط ١٨٤٨. (٢) ميخائيل هينشليتز، «مواقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١١) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٢) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢١) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢٢) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٢٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣١) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣٢) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٣٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤١) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤٢) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٤٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥١) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥٢) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٥٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦١) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦٢) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٦٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧١) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧٢) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٧٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨١) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨٢) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٨٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩١) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩٢) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩٣) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩٤) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩٥) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩٦) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩٧) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩٨) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (٩٩) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨. (١٠٠) «موقف غريب من التاريخ»، هارفي، ١٩٨٨.

من روائع الشعر العربي القديم

### وطنان

لأبراهيم بن العباس الصولي

راحتُ به العيشُ عن أرضٍ بها شجنٌ  
يسمُ داراً به، تيسها له نكسٌ  
حتى إذا وطنٌ ناداهُ عن وطنٍ  
وقبلةً بها حبٌّ وضربٌ  
أحصى من القربة الأولى على لفتة  
وحاصل من سنن الأولى به سننٌ  
قل أقم على عيشٍ ولا تلمس  
ولا من الوطنين أحسنه وطنٌ...

الظاهر التي تستحق الاهتمام والفرقة خاصة تلك الحوادث التي شاهدها أثناء وجوده في مدينة القدس والتي عمل على قسوة الانكسار مع السكان العرب. ٣ أيار ١٨٥٠ يصل الى باقة التي تحيطها البساتين وبيارات البرتقال، ثم يسافر الى القدس في ٤ أيار ١٨٥٠ فيكتب في مذكراته «اليوم (٤ أيار) حدثني باشا القدس انه يعيش في المدينة حوالي ٣٠ ألف نسمة، وأنه في فترة عيد الفصح زار المدينة حوالي ٣٠ ألف زائر مسيحي ومسلم.

يشير الرحالة فيازيسكي الى حالة الفقر المدقع التي يعيشها السكان وأن كثرة الضحايا من الطرقات وعلى أبواب الأماكن المقدسة فيكتب:

«عندى هذا الكثير من الأصدقاء الذين لا أسماء لهم، أنا بالنسبة لهم وجه بلا اسم،

مدينة بيروت، لقد تركت رحلة غوغول الى فلسطين الأثر الكبير على الكاتب. وهنا يجدر الإشارة الى ان الكاتب قام بزيارته قبل أربعة أعوام من وفاته (توفي عام ١٨٥٢) وكان في تلك الفترة مشغولاً بكتابة الجزء الثاني من مؤلفه «الأرواح الميتة» ونحن نستطيع الحكم هنا - هل كان لرحلته أثر على الجزء الثاني من «الأرواح الميتة» ليس بسيط وهو ان قام الكاتب بجزء مؤلفه هذا لأصابع ليس في مقدورنا الآن الغوص فيها والبحث عنها. الا ان الناقد الروسي الكبير صديق الكاتب ألكسندر يازيفي يذكر الكثير حول رحلة الكاتب الى فلسطين. وبعد عودة الكاتب غوغول الى روسيا يقوم بتلخيص طلبه صديقه الشاعر جوكوفسكي بكتابة مقالة رابعة في وصف فلسطين.

### الناقد الروسي بيوتر فيازيسكي في رحلته الى فلسطين

قام الشاعر والناقد الروسي الشهير بيوتر ألكسندروفيتش فيازيسكي معاصر وصديق الشاعر الروسي الكبير أس. بوشكين برحلتة الى الشرق وفلسطين بين عامي ١٨٤٩ - ١٨٥٠. حيث زار الفلسطينية وازير وجيزة ورددوس والقدس وبيروت وفصط طرانة ورافته في هذه الرحلة اندبه خواريف رغم اهتمام الشاعر فيازيسكي بالتشيل بأوضاع واقتصاد وطبيعة البدان التي مر بها الا انه يشير أحياناً الى الكثير من

وهو يشغل حالياً منصب قنصلنا العام في سوريا والقائم بأعمال القنصل، فلنطش روحك على حاله... وكان غوغول قد اطلع في أثناء رحلته هذه على عمل يازيفي الكبير «سوريا وفلسطين تحت الحكم التركي».

ويكتب جوكوفسكي «لقد طلب يازيفي ان أبعث اليك نصيحتاه وأن أعبر عن إعجابي بأعمالك. لقد كتب يازيفي عملاً رائعاً يظهر لأوروبا الشرق صورته الحقيقية. وكتاب «سوريا وفلسطين» يعبر عن معرفة خارقة ودقيقة وأهمية هذا العمل كبيرة ولم أعرف أي كتاب آخر للقراري صورة واضحة حول هذه المنطقة كهذا الكتاب.

قضى الكاتب الروسي غوغول في فلسطين حوالي أسبوعين سافر بعدها عبر مدينة الناصرة الى بيروت. وقد توقف غوغول في مدينة الناصرة مدة يومين. ولشدهد الألفة فهو لا يشير الى مكان إقامته في المدينة وقد جاء في الرسالة التي بعث بها الى جوكوفسكي في مكان ما في السامرة فطقت زهرة وفي الجليل زهرة أخرى. في الناصرة توقفت بسبب الأبطال مدة يومين. دون ان اتبه الى أي موجود في مدينة الناصرة. وكان هذا الأمر حدث في محطة في روسيا.

وتوجه غوغول في طريقه من الناصرة الى بيروت حيث توقف شيقاً على الفصيل الروسي بازيل منتظر إبحار السفينة الى مدينة أزمير ثم الفلسطينية ومن هناك الى أوديسا على البحر الأسود.

وقد ترك غوغول أربع رسائل أخرى من

الأخرى في المدينة. ويخبر أيضاً انه تسلم بعض الرسائل التي كان بعث بها اليه وعن نية بالسفر عائداً الى روسيا. فكتب «سأكون سعيداً إذا ما عاينتك في نوز أو أبى. وداعاً».

وفي (١٦) شباط (١٨٤٨) يكتب غوغول رسالة من القدس الى ن. بوشكين يقول فيها: «فأخبرك صديقي الطيبة ناديجدا نيقولايتنا بأنني وصلت لأجدد عيشي. فترة الصيف سأقضيها في «مالاراسي» وفي شهر آب قد أخرج على موسكو...».

وبعث برسالة ثالثة من مدينة القدس في (١٦) شباط الى الأب مانفيه وهو كاتب بخرارة حول زيارته الى الأماكن المقدسة فيقول: «أكتب اليكم لأخبركم اني هنا وصلت بسلام. رسائله كانت ضرورية لي. اعانتي على ان أتأمل نفسي بشكل أفضل. أما الرسالة الرابعة، وهي من مدينة القدس، فقد بعثها غوغول الى صديقه الشاعر الروسي جوكوفسكي. أخذ أصدقاء ومعاصري الشاعر الروسي الخالد ألكسندر بوشكين والرسالة المؤرخة في ١٦ شباط ١٨٤٨ ويذكر فيها غوغول انه وصل الى القدس دون متاعب، وأنه وصل «إيطاليا واليونان وغيرها». ويصف «الكنز الرب في عوفي وعونكم لعطينا ولكننا من دفع كل ما نملك من كوى الحلق والادخار لتعير عا يخلق في اصناف الرواحنا في خلعة هذه الارضه. ويتابع وأن امكت هنا طويلاً حتى اقلل راجعاً الى روسيا برفقة صديق للخدمة القديم يازيفي الذي وصلت الى هنا برفقه.



القدس، القيامة والمكان الذي منه ظهر  
الخلص المنفذ للشعب والمكان الوجود فيه  
باعت الحياة في الصليب، كل هذا واقع في  
مكان واحد. أية الطبايعات قد تركت هذه  
الاماكن غير خداع من يزورها ويراقبها، ان  
لم تكن كل هذه الاماكن محفورة في ذاكرته  
وعليه وان لم تكن في عينه وعلمته في كل  
لحظة.

ماذا نستطيع ان نقول عن جبال فلسطين  
المتشابهة والشبيهة بأعوار رمادية لا نهاية  
تتأرجح كأنها هي البحر.  
كل هذا كان... ولكن الآن، فإنك تصادف  
أحياناً أو بالأحرى بشكل نادر عدداً من  
اشجار الزيتون لا يتجاوز الخمسة أو الستة  
في جميع منحدرات الجبال أما لون التربة فهو  
رصاصي أو رمادي، كل الصخور الموجودة في  
غنى الجبال، وأنت أحياناً تشاهد غشاء  
طليح رقيق واحد فقط بشكل خاطف  
وترى قطعة صغيرة من الارض محضرة  
بالخناش في وسط هذه الارض العارية  
المتنوعة الصخرية وخلال سرك ما يقارب  
الخمس أو الستة ساعات تنتفي أحياناً بكوخ  
ملتصق بالجبل يسكنه عربي، أكثر ما يشبه  
القدر الحرق أو الموقد أو كهف الوحوش  
الكارسة، وفي وسط مثل هذه الصحراء تنبته  
مدينة القدس وبنت لم وضع المدن الشرقية  
مجموعة من الاحجار مرصية بلا نظام ولا  
تنسيق.

ماذا نستحيي لك ونقول كل هذه الاماكن  
ان لم تر أنت بصوتك الشألة الحائلة...  
النجوم فوق بيت لحم والحمائم فوق نهر  
الاردن.

ان لم تر بنفسك اليوم القطيع  
يوم موت الصليب بظلمته الهائلة  
وعيوبه وزلازله.  
ماذا نستحيي لك ان لم تر بنفسك يوم  
الاحد البهي الذي من شدة ضيائه ونوره  
سيحول كل ما يحيط حزيناً وعائياً، سحاً لا  
اعلم ولا ادري ما الذي استطاع ان اسكنه  
لك عن فلسطين كي تستيقظ احاسيك  
وشاعريك لتأخذ قلبك وتكتب قصيدتك.  
واعتد انه لو كان في مكان في أي انسان بسيط  
حتى لو كان قد بقي في قلبه شيء من الايمان  
لصلى وركع وذرف دمع عينية على كل بقعة  
من الارض المقدسة ولحكى لك اكثر مني.  
فمت برحمتي الى فلسطين بالضبط لكي  
اعرف وأرى بنفسي وأحس كم هو كبير  
عناق قلبك صديقي لقد جفت ويس قلبي.  
لقد أكرمني الرب بأن أقضي ليلة كاملة عند  
قبر المسيح، لأحكي الأسرار المقدسة.  
ولكنني وعلى الرغم من هذا لم أصبح أفضل  
نما كنت عليه.

عندما كان من الواجب ان يجرى كل ما  
هو دينوي، وان يبقي كل ما هو سماوي.  
ماذا استطعت انطباعي الحائلة؟ وكأني رأيتها  
في الحلم، وكأني رأيت هذه الأرض في الحلم!!  
تحت قبل ان تشرق الشمس استطعت  
الجمال والخيول، برافقتنا أناس سائرون على  
الأقدام وأناس يركبون الخيول. سرتنا بغفلة  
طويلة، سرتنا عبر الصحراء الصغيرة الى  
جانب الناطية الرطب أو جوف البحر.  
وسرتنا من جهة بغسل البحر يوجه الأملس  
خوافر الخيول. ومن جهة أخرى امتدت  
الرمال بتدرجات بيضاء نبت من غرقها

الصبار الصغير.  
في الظهيرة وصلنا، ثمة بئر ومن حوله  
شجرة أو شجرتان من الزيتون والثلج هنا  
توقفنا لتسريح نصف ساعة وتواصل طريقنا  
من جديد، الى ان يتحول لود الأفق المسائي  
الأزرق الى الصلي (قضي) مع غروب  
الشمس، وإلى ان يظهر في الأفق حلس أو  
ست اشجار تخيل وال جانب هذه  
الشجيرات وعبر الوان قوس تظهر من بعيد  
مدينة وكأني رسم في لوحة، سرعان ما تقترب  
منها نكتشف انها مقبرة وقد تكون هذه صيدا  
أو صور. وعلى هذه الحال نبقى الطريق هكذا  
حتى القدس.

كما في الحلم أرى القدس نفسها من موقع  
جبل القديسة هيلانة، والتي من جهتها فقط  
تبدو المدينة جميلة، واسعة وعظيمة ترتفع  
الى أعلى وتظهر كأنها بيوت صغيرة يحاط بها  
أنها كبيرة، وعلى سطح هذه البيوت تتوزع  
بيضاء صغيرة تيمز وكأني قباب لا عدد لها.  
تلاص جانب السماء الزرقاء والشاربات  
الطويلة الحادة تتكون منظرًا غير عادي.  
أذكر اني رأيت على جبال القدس آثار أقدام  
المسيح على شكله غمر (تجوف) في حجر  
صلب، وكان هذا الحجر من صنع طري.  
تظهر عليه كل التواءات الصغيرة جداً وما  
زلت أذكر المنظر الذي أمامي او كنت عن  
نفسه فجأة في وسط المرتفعات الرئيسية  
الرمادية، عندما سافرت من القدس  
وشاهدت امرأة واحداً عضاباً وهضاباً، ولم  
انظر اي شيء آخر، وفجأة الى جانب حفرة  
رأيت في البعد في اللون الأزرق، جبالاً

عظيمة نصف دائرية، انها جبال عجيبة تشبه  
بخصر أو اقرب أو اصغر متجوف كبير، في  
قعر هذا الصحن البحر الميت.  
لون خواصر هذا الصحن ازرق ييل الى  
الأخضر، اما قعره فلهو ازرق ييل الى  
الأخضر، لم أر من قبل، جبالاً كهذه، بدون  
قسم وضامة الانخفاضات. نهاية الجبال تكون  
خطاً مستقيماً متشابهاً وارتفاعاً واحداً فوق  
البحر، في هذه الجبال لم لاحظ لا منحدرات  
ولا حدوداً، كل هذه الجبال باتت وكأنها بلا  
عدد من الحواف التي حيث بالوانها المختلفة  
عبر الضباب بلونه الازرق المائل الى الحمرة  
وهذا الابداع البركاني المتكسر بالتلاليس  
بأشجاره غير المتفرعة، تنبع من بعد جمال  
لا يوصف، ليست هناك أية مناظر أخرى  
ودروحي الحائلة لم تحلب مناظر أخرى من  
فلسطين.

هناك في السامرة طلعت زهرة، وفي الجليل  
زهرة أخرى، وفي الناصرة مكثت. يومين  
يسبب الانتظار، نأسي اني موهوب في هذه  
البلدة، وكان هذا الأمر حدث لي في روسيا في  
محطة ما.

في كل مكان وعلى كل شيء رأيت طواهر  
وعلامات تدل فقط على ان هذه البلاد  
العارية وعجاية جبال القدس (حالياً أكثر  
الشاطئ جفافاً) كانت ذات يوم وحيق بلاد  
الحلب والعسل، في كل مكان رأيت مدرجات  
وتنوعات، انها آثار حقول العنب القديمة،  
والآن يكتفي فقط القادح من الميرون فوق  
هذه الجبال العارية الحجرية، لتبت مئات  
الأزهار والنباتات، فكم هي كثرة الرطوبة  
الضرورية الوجودية في هذه الصحراء، فقط



رسول حمزاتوف

في لقاء مع

«اليوم السابع»:

## البريسترويكا أدخلتنا عصر

### التناحر والمرارة والقلق

كانت أوروبا تقلد الشعر العربي.. فلماذا تقلدونها اليوم؟  
فلسطين لا تبرح ذهني، ودرويش أقرب الشعراء اليّ

(ام الفحم)

في باغما توجد كمية كبيرة من الاشجار تنكسر  
اغصانها من كثرة تمزاعها، تسحرك بجمالها.

من روائع الشعر العربي القديم

الى عاشق

ليلي الأخيلية

وفي حاجة قلبي له لا تنح بها  
فليس إليها، ما خبيثه سبيل  
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونته  
وأنت لأخري قمارغ وحليل!

البادية والمدنية

لمن يبت يحد الكليّة

تنبئت غلبت الارواح فيه  
ولمن عباة وتفر عيني  
وأصوات الرياح بكل من  
أحب إلى من نقر الدفوف

عشونتي عيشتي في البعد أنهي  
أل نفسي من العيش الطريف  
فما ألقى سوى وطني ينيلا  
فحسبي ذاك من وطن شريف



## أغنية لفلسطين

(هذه الأغنية للشعب الفلسطيني بمناسبة يوم الأرض)

ليل طويل، يخبئه حزن موحج  
ولا فجر للمحزن فأين أنت يا فلسطين  
حارق ربيعك، وشناوك حارق  
شهيبي دائم، فأين زفيرك يا فلسطين؟  
يذبل وردك، ويجف تيعك  
والغيب دعوي فأين فجرك يا فلسطين؟  
أبدية في الحلم أنت وفي المنام والأغاني  
لهل نسي الله وملك وحجرك  
ولم يسمع أغانيك وصلواتك  
خرس الطير على سعف نخلك المتور  
البلعج  
نابت القنابل على وسائد أطفالك مكان  
اللعب  
وسن أطفالك خبزهم في المهد

فأني الأغاني أغني لك يا فلسطين؟  
وأجل أغاني العالم، أنت يا فلسطين  
ينق الفلق أوتار الروح  
فأني الحكايات أقص عليك؟  
ولم يبق من حكاية معصية غيرك يا  
فلسطين  
في المهد الغرب غادر النوم والأمان  
عيون أطفالك ولا سعادة لهم يا فلسطين  
حزن موشى في تونس ولا فرح في  
باريس  
ولا أجمل منك يا فلسطين  
مساجد القدس ونهر الأردن  
وكنا نغني ونعرف أغنية واحدة  
أنتا نسعدو إليك يا فلسطين.  
ترجمة: زينات بيطار

رسول جزائري صاحب «داغستان بلدي» بين روائع أخرى، يعرفه القراء العرب جيداً. وهو يعتبر اليوم واحداً من أكبر الشعراء الأحياء في الاتحاد السوفيتي. جزائري يشعر هذه الأيام بالمرارة من جراء بعض ما يحدث في بلده، ويشعر بالمرارة أيضاً بسبب ما يحدث في فلسطين، ويتسائل بقلق عن حدود هجرة اليهود السوفيت إلى الأرض الفلسطينية. في موسكو التقته «اليوم السابع» وطرحت عليه العديد من الأسئلة، كما حصلت منه على قصيدة جديدة له كتبها لفلسطين. ويسر «المجديد» أن تنشر هذا اللقاء نقلاً عن «الزميلة» «الباريسية».

عادة «بناء عشه» بنية امتطاء الموجة للوصول إلى معادل السلطة الثقافية الجديدة، وجزء آخر التمسك بركب الريستروكا في وسط الطريق بعد أن تأكد من جدية الانقلاب الأبيض الذي حدث فجأة وكان عليه أن يستكشف طريقه على ضوء ليأس مستقبله. وهناك الجزء صمت طيلة هذه الفترة، وهو الجزء المتألم بحكمة في تاريخ التجربة الثقافية السوفيتية، وفي المفاضل الصعب الذي يجتازه حالياً، والذي ما زال غير قادر على التبرؤ من تاريخه. ولا يملك مقاييس التسلسل لأنه مشوب بالغموض ومقلق إلى حد يصعب التنبؤ بوجهه. ينتمي إلى الجزء الأخير الشاعر الكبير

بعد أن طالت الريستروكا مختلف حقول ورموز الثقافة السوفيتية، ثم غلت من حلات النقد الشخصيات الأدبية التي ارتبطت بها الإبداعية بمرور الثقافة السوفيتية. ابتداء من غوركي وماياكوفسكي وشيلوف وانتهاء بالفاتين غلازوفوف وشيلوف والمخرج بندريشوك فسمطت عهد الريستروكا من حرية الفكر والرأي وإعادة النظر بالمعايير والطواهر والأسماء الفنية بقرت الصراع بين تيارات متباينة في مفهوم الثقافة والإبداع والريستروكا. وغالباً ما اتخذ هذا الصراع طابع تصفية «الحسابات» بين تيار السلطة الثقافية وتيار «الظل»، وسارع جزء كبير من المثقفين إلى

يجد توجيه الاسئلة إلى بعضا البعض «ما العمل؟» ومن المضحك: ويكون المذهب بالطبع للشاعر الماضي والقائد السابقين. فأنا لم أكتب شعراً لسائين وإنما كتبت عن الثورة والقراء، ولين «داغستان بلدي» التي إعطيتا ستالين جمهورية سبقتة ذات حكم ذاتي منحوت جائزة الأدب في عهد ستالين وكانت جائزة كبيرة في ذلك الزمان عام ١٩٥٢. كان عمري ٢٩ عاماً. وليس هناك من أفكار تجمعني بسائين سوى الانتصار في الحرب العالمية ولم أكن أعرف عن جرائمه شيئاً لقد كنت أبن الكاتب والاديب ولم أكن أبن الحيات. ونحن أهل بعض الاصداقات، نهاية الحرب العالمية الثانية، بقص «على» بعض حقائق جرائمه بحق الشعوب التي عبرت وآلاف المعتقلين والنيونين، بدأت اتهمس الواقع رغم أنني كنت أرى أي يعمل بالسر، وكنت أسمع عن قتل الملايين غير أنني اعتقد بأن الثورة والاشتراكية تطهران ذلك. كان زماناً صعباً وأساساً روحية هائلة. في عهد الزكود انتصر أحد الشعراء وترك رسالة صغيرة يقول فيها «لقد ملكت العيش» محاطاً بالكذب والتفاني. ومن اليوم خرجنا من صمت الكذب والتفاني والدمج، والرضى عن الذات، ولكن ما يقيني هو السؤال التالي هل نستطيع أن نحيط البشر بالآثار الروحية؟ أم يصبح لدينا الكثير من «المتنقين الشبهين» بدل العمل «السري» والتمسقين؟ أم أله السري لا يعمل إلى البحر، وبعثانية نطقنا وظروفنا الحالية الصعبة لا تحتمل الآراء المسجلة. والمرء التي... بقولها الآخرون.

الزراعات. وهل من المقول أن تكون شيئاً يعرف النضال فقط، ولا يعرف أن «يجيد الحياة» فأنا لم أستمع عملاً بحكمة القدماء الذين «تصغروا» الشاعر «الوقوف» - «الناظر» وليس في البحر، «حظة» «اصطف» وتوقفت عن الكلام لأن الصوت أكثر التوافق عقلانية لحظة الفصح، أرفع ذلك عملت بتسوية اضفائي حين قالوا لي «إن هذا لأمر عابر، الأفضل لك أن تكتب الشعراء»

إن النقاد يجادلون حتى الأدب إلى وأصلي وغير وأصلي وأنا لم أفكر بهذه المقولة حين كتبت الشعر، فالنقاد المؤسسون لم يساعدوا الأدب بل ساعدوا في تفرقه من مضونه الإبداعية غير قوالب «دعمانية» إن الأدب كالكساء يتبع لكل التجارب، فلا تحجب لينة ضوء لينة أخرى عن البشر، وما يجري باسم الديمقراطية من عمليات انتقام من الأدباء والادباء الذين لم يلاحظوا في العهد السائلي والبرجنتي، أما بقائي مفهوم رقي الأدب وتنمته الحب والجمال من النقاد. لقد قالوا عن رأيي منحت جائزة الأدب في عهد ستالين، فما دُني إذا كانوا هم قد غفروا له واخترعوا منه أسطورة، فرفضوا علينا وضدنا؟ لقد آمننا في تلك الفترة لأننا كنا أن منافسة أصحاب الطامع لا تؤدي بالتأكد إلى رجاسة الحكمة. ولم يكن الصراع والصحيح والتمارات الشكل الفضل لحل المشكلات الكبيرة، وحتى لو ارتد هذا الشكل ملابس العلية والديمقراطية. فإن مفهوم العلية لا يخفى التهمة والفرقة وحلق

المستوى التسمي والرسمي إلى السلطة في عهد الريستروكا؟ وماذا من الممكن أن يقدم الفنان للسلطة الجديدة طالما أن إبداعه تكون في الحقيقة التي سبقها وتعرض اليوم للنفذ اللاذع وإعادة النظر وإعادة الاعتبار؟ كان لنا لقاء مع الشاعر جزائري أثناء راحته الأسبوعية من اجتماعات مجلس السوفيت الأعلى لكي نسمع رأيه بالريستروكا وبالعلاقات العربية - السوفيتية بعد حلة هجرة اليهود السوفيت إلى الأراضي المحتلة. خاصة وأن الشاعر جزائري قد كتب قصيدة جديدة عن فلسطين تسمى عن تأييد لفظة الشعب العربي الفلسطيني.

### مهنة جديدة

■ كيف يظل جزائري حكمة صوته طوال الخمس سنوات الماضية، وهل دخلت كلمة «ريستروكا» معجم حياته بوصفه شاعراً مشاركاً في تكون السلطة الجديدة أي الركان، وكان متواجداً في «السلطة» الجديدة التي تشن عليها حملات النقد؟

«إن الريستروكا بانت تعني للكثيرين مهنة، وليس طابع حياة، وإضافة جلة جديدة إلى شهادة حسن السلوك لفترة في العمل. إن منافسة أصحاب الطامع لا تؤدي بالتأكد إلى رجاسة الحكمة. ولم يكن الصراع والصحيح والتمارات الشكل الفضل لحل المشكلات الكبيرة، وحتى لو ارتد هذا الشكل ملابس العلية والديمقراطية. فإن مفهوم العلية لا يخفى التهمة والفرقة وحلق

رسول جزائري أصيدى اصداقاء العرب، وأكثر الشعراء حرصاً على الشعر والثقافة القومية الداخلية والسوفيتية في ظل حملات «الانتقام» و«الانقسام» التي تسود المناخ الأدبي والثقافي في عهد الريستروكا. وأظهر جزائري طيلة السنوات الخمس الماضية مواقف كبيرة هي فوق كل المشاحنات والتناوب والصراع على السلطة التي خيمت على علاقات الكتاب خاصة بعد أن تم الانقسام في اتحاد كتاب لينتفاد، وتم تشكيل مجموعة أدباء منظمة «أربيل» التي يرأسها يفتشكو ومجموعة «الوحدة» ومجموعة «الرافعة» الروسية التي يرأسها راسونين. وبعض النظر عن انفعال الركان الذي طالت حمة كل الأطراف المشابهة الرأي، إلا أن هناك شخصيات أدبية أعطت الثقافة السوفيتية نكهة إبداعية لم يستطع الشعب والسلطة وألسنة النقاد التناول على تاريخها الإبداعية.

وحيث بدت ملامح التغيير تظهر في الأفق ازدهرت عمليات الصيد بآلاء الفكر في صفوف الأدباء، ولكن انتصارات الركان ومجلس السوفيت الأعلى أفضت الطريق أمام هذه العمليات وأكدت أن الإبداع الحقيقي هو جواز مرور لكل فنان من أمة وحيطة السلطة. فقد أعيد انتخاب جزائري وابتنائوف وانتخب المجلس سليمانوف ويفتشكو، وأثار الاندراجاني وبالس نرس اللاواني وغيرهم.

وهنا يطرح السؤال نفسه: هل يحتاج الفنان الذي عاش بريق إبداعه على

وبالتجربة الحلال اخلاقي، وبأس، وتوبة وعودة الى الله والى الكمال على القصر. لقد اعتنينا من عام الى عام بأخطاء الأباء، وسوء الطقس والكوارث الطبيعية، والحوادث المؤلمة والتي يظهر فيها بعد ان المذهب بما لا يتناسبون، فقلوبهم يفتنون الأرض، وكثيرون من يأكلون تراثها. فالتفكير النقي والاستهلاكية والافتقار الى الديمقراطية وعدم تكامل المجتمع وغياب العلية والثقافة، اسس لأرض خصبة لكل البيروقراطية والشكليات والمظاهرية والدعائيات اللامسؤولة واثنان العبارات الفخمة والقرارات السرية، والأوامر، ان في كل واحد منها القليل من البيروقراطية. لقد تحول اتصال ضد البيروقراطية الى شكل من اشكال البيروقراطية. وانا اشك بأن الناشطين الحاليين ضد البيروقراطية والمهاجر الاداري يستطيعون الاستغناء عنها. هذه الاسباب تسير البيروقراطية ببطء في مناطق عديدة ومنها داغستان بلدي.

### المثقف ظاهرة نادرة

■ في ظل الأزمة الثقافية الحالية وتصارع التيارات والاتجاهات الثقافية، كيف يرى الشاعر حزانوف والثابت في الرمان إمكانية الخروج من الأزمة، وما واثق ثقافتنا الى حد ظهور عشرات الجمعيات والنشطاء غير الرسمية والتي باتت تعد وحدة وتأسس الجسم الثقافي والأدبي، غير شعارات تقليد كل ما تنتج الثقافة الاستهلاكية الغربية؟

- قبل البدء بالكلام عن الخلاص من الأزمة الثقافية، علينا ان نجد مواصفات المثقف وماعية الانتماء، ان المثقف بات ظاهرة نادرة، بعد عمليات المحصد الجماعي التي تمت بحق المثقفين في العهد السوفييتي. وبعد ان ظهرت انتلجنسيا السوفييتي والكولخوز، واصبح الابدع ظاهرة «جاهلية»، والشارع نقي في المدن على شكل ملاعب الرياضة حيث تنسج الألاف فكيف من الممكن ان تتعامل مع السرح وكأنه ملعب كرة، وتعامل مع العلم والثقافة من منطلق الظاهرة «الجاهلية»، وقريباً سيصبح الادب كالموضة، وتصبح العضوية في اتحاد الكتاب، كالمعضوية في شق الجمعيات غير الرسمية الجديدة.

ان المثقف الحقيقي قليل الظهور على الساحة والتلفزيون سبب ظاهرة القطر في الثقافة والصراع على السلطة، ومن يتأصل من اجل السلطة ليس مثقفاً في السابق كانت الخلافات والتناقضات تنور حول ما هو الادب، اما اليوم فالكلام عن الادب قليل، انهم يحاولون قلب الرأس ويضعه مكان القدمين يجعل الثقافة جاهلية، وما يدور اليوم من مارك لا يبقى اولاد جدد، ان هذا الزواج محكوم عليه بالانهيار طراً لاتخاذ الصراع شكل الوصول الى السلطة. ولم تشهد سنوات البيروقراطية ادباً او شعراً جديداً، وصمت الشعر الوجداني والمشرح، وبقي فن البالية الوحيد القادر على جذب الانتباه، وليس هناك من ادب بارز في الثلاثين من عمره. هناك أزمة شعر ما يلقى

الروح، ولعل سببها التقدم التكنولوجي العالمي.

ان السياسة تنكر على الشعر لدى، ولدى الآخرين، والسيطرة الغربية، على منحنى الثقافة البيروقراطية، مصدرها ثقافة «الغريب»، ومن تلك جلوداً معرفية شرقية لا تجذب طواهر الثقافة الغربية الباردة. ان الشعر الغربي بارز ولا يجرى، والشعر الشرقي قليل، خاصة في آسيا الوسطى بعد ان جزت رقاب المثقفين المسلمين في الثلاثينات. ولم يعد هناك انتلجنسيا آسيوية سوفييتية تقاوم المشروع الثقافي الغربي. فقد اهتم معظم من تبقى بالدين وليس بالثقافة، فضلاً عن اختلاف الاصول القومية واللغوية للشعبيين، من المثقفين الآسيويين، فالأذربيجانيون، والطاجيك، تربطهم اللغة بايران وتركيا، والعرب والترك في خلاف، والعرب والفرس أيضاً في حرب وليس هناك من تلك جذوراً معرفية منبثقة من لغة القرآن الكريم لقد احرقوا كتبنا وراثتنا المكتوب باللغة العربية واقتلوا مدارسنا، وضروا عننا لغتنا الام وادخلوا اللغة الروسية والحرف الروسية مكانها، فقلقوا غربة الروح لدى الانسان في القفص وآسيا الوسطى، لذلك تعيش أزمة الحوض لكل ما ينتج الغرب نصراً عن انتاج ثقافة حقيقية، انا افهم جيداً ان إعادة الاعتبار للعديد من الآسياء والظواهر والاعمال الادبية التي كانت ممنوعة واثق اصحابها في الغرب، قد اعطت البيروقراطية طابع التصدية والديمقراطية، ولكن لا افهم مسألة ان يكون الغرب مقياساً

ثقافياً يمل علينا شروط علم الجمال وعلم الاخلاق، ان اشركا لم يعد تعبنا واهمنا لظهور الفراء ولكن لدينا من الشعر ما يكفينا للتفاهة بين بعض، في الماضي كانت شعارات «البيت الواحد» والصدقة بين الشعوب خبزنا الروحي، واليوم باتت فكرة الانفصال والاستقلال، والحروب بين القوميات والجمهوريات تنقلنا الشاغل، فحولنا يا ترى الاشتراكية قد جعلت منها امراض يجر الاورال والكيبال، والفولغا والقزوين، سابقاً كنت اسافر الى موسكو حين اشعر بضيق نفسي في داغستان واذا اقتنا سور الصين بين بعض غالى ابن ساهرب من ضجري وفهري، لقد بات العديد من مدعي الثقافة يحسب كم شاعر في كل جمهورية وليس مستوى الشعراء بين بعضهم البعض ليظهر الاهمية والقومية لشاعر محدد. ان ملاحظ شخونية باتت تهدم معالم الثقافة ولا تطرح ندلاً، ومن الممكن انشاء مؤسسات ومجتمعات جديدة ولكن من غير الممكن خلق ضمير جديد، يقول الشاعر بايتير دولوك لآل الشجاع ولد غير جبان، وانا اضيف، دولوك لآل، الطيبين والشرفاء أبناء أوياد وغير شريرين.

### كيف تكسر البرود مع العرب

■ طيلة فترة البيروقراطية لاحظت جود ورود في العلاقات الثقافية العربية - السوفيتية ما هي الامكانيات لتطوير وتحريك هذه العلاقات على مستوى

السوفيت الاعلى بحملة الهجرة اليهودية السوفيتية التي تخلفت عنها البيروقراطية؟

- لقد وجهت الى دعوة لزيارة اسرائيل ورفضتها من منطلق مدني واساني، بحث، انا ان اسافر الى اسرائيل، لأنها تفتن حلات القتل ضد الشعب العربي الفلسطيني وان كنت اود رؤية أرض الديانات، فلسطين، غير ان توقيت السفر مع انتفاضة الشعب الفلسطيني هو موقف لا انساني ولا يمت الى الشعر والثقافة بصفة، لقد وجهت رسالة استفسار الى رئيس الوزراء السيد يركوف بخصوص الموقف الرسمي من قضية الشعب العربي الفلسطيني، وتحدد السياسة السوفيتية بشأنها سيما وان حلة الهجرة تصاعدت الى حد كبير في الفترة الاخيرة.

انتظر جواباً على رسالتي هذه، وأستطيع ان اقول لك بأن الشعر لسان حال الوحيد الذي سيأله عاجلاً أو آجلاً، وترأى كتبت قصيدة عن فلسطين في ظل الصمت المحدي بجمالات الهجرة، لكن اقول كلمة شرف وجدني ويسجل التاريخ، وهنا اريد ان اقول بأنه على العرب ان يتوجهوا لكي يستطيعوا جذب الانتباه لهم وقضيتهم العادلة، ولم يؤذ العرب احد كما اتى العرب أنفسهم من خلال خلافاتهم، فإذا تكلمت مع السوري بطن بالعراقي واذا ناقشت العراقي بنتم السوري، وكذلك الحال بين المصريين والليبيين، وكيف من الممكن تأييد عائلة مختلفة ولا تعيد البيت المشترك بين افرادها، حاولته في موسكو - زينات بيطار

البيروقراطية واعادة النظر بكل ما كان سائداً في عهد الزكوف؟

- لا ادري سبب جهود هذه العلاقات وقد تكون عقدة العرب السيطرة على اذهان المثقفين وادعاء الديمقراطية تربطاً بالعالم العربي علاقات صداقة وصداقة ثقافة عريقة من الضروري تبنيها واصحابها، وعلياً ان تسارع لتشكيل جبهة عربية - سوفييتية ثقافية تضم المبدعين السوفيت والعرب من اجل كسر حاجز البرود القائم، فالقرآن وتوزيعه في الاتحاد السوفيتي لا يكفي لاجاد شيخ الربيع القديم الذي ما زال قائماً بصورة خفية، وعلياً ان تقيم علاقات دبلوماسية مع السعودية اليوم.

■ ألا يرى الشاعر حزانوف عدم توازن القوى في الصلات والاحتكاك المعرفي بين الثقافتين العربية والسوفيتية، ان العالم العربي يطلع على الادب السوفيتي شعراً وتراً عبر حركة الترجمة الواسعة والسريعة، بينما لاحظنا ان الجمهور السوفيتي لا يعرف ثقافتنا وأعلام شعرائنا وتراثنا المعاصرين بنفس الحجم؟

- من الواضح تماماً ان هناك نفرة كبيرة في التبادل الثقافي العربي - السوفيتي مردها الى سوء الترجمة وقلة المترجمين لذلك لم يوفق الشعر العربي ان يكون معروفاً في القارئ السوفيتي بنفس الحجم المعروف به الشعر الاوروي مثلاً، يجب علينا وضع اتنولوجيا الشعر العربي المعاصر بالاشتراك مع العرب انفسهم، واختيار مترجمين اكفاء لنقلها الى الروسية وإلى اللغات الشرقية الموجودة في

الاتحاد السوفيتي، يجب علينا ان نشط من اجل اقامة جسور عربية - سوفييتية في الثقافة من نوع آخر تستطيع ان تقرب روح الشعبين العربي والسوفيتي الى بعض.

■ من من الشعراء العرب قريب على نفسك كشاعر؟

- انا لم أعرف الشعر العربي المعاصر بشكل جيد نظراً للترجمات السيئة له الى الروسية ولكني لاحظت ان الشعر العربي المعاصر بلهت وراء التيارات الشعرية الاوروية ففي السابق كانت اوربوا تقلد العرب في الشعر واليوم الشعر العربي يخلق اوربوا، انتم قلتم الشعر التقليدي العربي ولم تقلقوا شعراً عربياً أصيلاً بدلاً عنه، فأنا لا افهم الاحجاب العربي بشعر ماياكوفسكي، ولا أستطيع ان انكر اعجابي ومحاولي نقله في سن الشباب، ولكن نحن نسود من جديد الى بسنن وبوشكين فالنسر الذي لا ينسج في القضاء ليس شعراً، والعرب عليهم ان يعودوا عرباً في الشعر قبل كل شيء، ومن سوء حظي انني حرمت معرفة لغة القرآن، بعد ان حرمت من الاطلاع على ثقافتنا الأم أثناء حملات الارهاب الستاليني عام ١٩٣٧ ضد اللغات والثقافات القومية الاسلامية ورغم اني لا اعرف شعركم جيداً فاني اعرف شعراكم فالشعراء الجيدين عنهم محتالون، والشعراء السيئين فطرون، اقرب الشعراء الى محمود درويش انه شاعر كبير ومثقف، رغم ان الثقافة تنقل في الشاعر جيلته.

■ ما رأي حزانوف الشاعر وعوضه يجليل



## أهمية أن يكون المرء ماركسياً

● بقلم: بوريس كاغارليشكي  
● ترجمة محمد المجدي

المعنى، لكي يبرهنوا لأنفسهم وللناس، أنهم لم يحصلوا على الجائزة مقابل لا شيء. وما كنت سأفعل الشيء نفسه لو كان الوضع السياسي في بلدي مختلفاً إلى حد ما. وتو لم تصبح الديابات منظرًا مألوفًا في شوارع العديد من مدننا، لكن مع الآلاف، ذلك بالضبط ما تطور إليه الوضع. اليوم ينظر كل إنسان شخصاً وصل لثروة إلى الغرب من الاتحاد السوفيتي، على وجه التحديد عن الأحداث السياسية الجارية. وأنا أتوي الكلاب لا عن التاريخ، وإنما عما يحدث في بلادنا اليوم.

الزمن لا يتيح البحث الأكاديمي الجدي. لكن هل يتبع عن ذلك أننا نستطيع في هذه الأيام العاصفة، أن نستعين بالطريقة بالرة، لعله يبدو أن العدد الأكبر من

تشرت هذه الديارات الجديدة البريطانية في صيف عام ١٩٨٩. مثلاً بخران واحدة أن يكون المرء ماركسياً، وبخلافه لا يشر هذا المثال كوجهة نظر لما يصدره من أفكار عديدة حول «البرسرويكاه» فيها ترحيب بأي وجهة نظر جادة تأتي كره على الدراسات المعقدة التي بدأت يشرها منذ أواخر عقد ستينيات القرن الماضي.

■ أمل الا يذوي هذا العنوان الوابدي للماضيتي إلى سوء تفاههم... أتوي أن يكون جدياً تماماً. لكن كان ثمة مكان للسخرية في حديث اليوم، فإنه لسوف يكون واحدة من مسخرات التاريخ، التي كتب عنها اسحق دويتش بالكتير من التوبة. فكوت طويلاً فيما أسأله في هذه الحاضرة. عادة، عندما يتلقى راجحو الجوائز جوائزهم، يجادلون أن يلقوا خطاباً شديد الحكمة



الاتلنسيا الليبرالية، إذ يتكلمون من على منبر نواب الشعب، وفي التلفزيون، وعلى صفحات «أنايم موسكوف» يعتبرون أن ذلك هو الصحيح وعلى كل حال، هذا القطاع من المجتمع هو على أشد الاعتناء بأنه يستطيع أن يحل الأمور جيداً في كل الظروف من دون الماركسية. من الممكن جداً أن يكون أفراد هذا القطاع على حق. يستطيعون أن يعيشوا من دونها، ولكن هل يستطيع المجتمع أن يعيش أيضاً من دونها؟

على الصعيد الأيديولوجي كانت الستينات الأولى من «البرسرويكاه» مخصصين للانتقام من جبل الستينات. يمثل هذا الجبل وجوداً انقسام دون ما توقع في المقدمة، الكتيرون منهم وجوداً. أنهم يمتلكون سلطة حقيقية. «الشيوعية الليبرالية» التي حركت وتكتبت هزيمة سامة بعد تدخل القوات السوفيتية في تشيكوسلوفاكيا، يبدو أنها كتبت نفسها جديداً. أمن الناس من جديد بإمكانية الإصلاحات التدريجية من الأعلى. وبأن الإصلاح اللبرالي للسوق الذي ينظر إليه، على أنه طبقة ثانية من سياسة لينين الاقتصادية الجديدة، والذي ينفذ تحت إشراف قادة الحزب، الواجين سؤوليتهم التاريخية. سوف يقدونا بيات، وبشكل هادئ، إلى الديمقراطية. والاتلنسيا القديمة سوف تساعد في هذه العملية بالتصحة وبالتفكير البناء.

مع الأسف لم يقدّر هذه الايجابيات. إن تدوم طويلاً: سرعان ما أصبح واضحاً، أن خلف

الصراع العام من أجل «التغيير» تكمن مصالح متناقضة، وأن إصلاح السوق، الذي أجبرته السلطات، كان ذا فائدة واقعية لأحدث قطاع من الجهاز - للتكنولوجيا - لحلق مؤلف من بعض الشركات الدولية وبعض الأساليب البيروقراطية التقليدية، ويتم من خلال نظام المؤسسات المختلفة. لا شك أنه وجدت بعض التغييرات الحقيقية وبعض الأساليب البيروقراطية السوفيتية. يستطيع الآن الاطلاع على الكتابات، التي كانت تعبر قبل أقل من أربع سنوات خطراً شاملاً، وأهميته لا تنحصر فقط في حيوته بالسياسة للمثقفين، ورغم الكثير، من البيروقراطية، لن ثمة مجال للشك في أن إجراء الاختبارات في مطلع هذه السنة، وأعمال الكونغرس والسوفيت الأعلى، التي نلت لذلك أفضلت الحركة السياسية، واتاحت للناس سماع الأصوات المعارضة. لكن إذا تحدث المرء حول حياتنا اليومية، حول



البرالية والشيوعية. اليوم يبدو للكثيرين منهم أن انصار الإصلاح يذهبون بعيداً. لكن السيطرة الأيديولوجية لم تعد في أيديهم، وأسوأ ما في الأمر، أنهم ليسوا بقادرين على طرح بديل استراتيجي، أن لبرالية الثمانينات تبدو للمجتمع، وكأنها الوريث الصحيح للبرالية الستينات.

### توجه تكنوقراطي

إن المجموعة الحاكمة قبل أكثر فأكثر نحو طريق تكنوقراطي بتوجيه نفسها إلى قيم المجتمع الغربي المهيمنة بمعنى ضيق جداً وأبتدائي جداً. فالتقارب، الذي تطمح إليه النخبة والبيروقراطية البرالية ليس حضارة عمرها ثلاثة آلاف سنة، وإنما هو تكنولوجيا واستهلاك، والزخرفة في أن يكون المرء جزءاً من هذا الترددوس الأرضي، لغرض سياسة هدفها نسخ الأساليب الغربية، بصرف النظر عن مدى صلاحية هذه الأساليب لمستوياتنا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. الآن لا

كفاحتنا اليوم من أجل البقاء، فإنه ليجد، بأن «البرسرويكاه» لم تكن مفيدة للجماهير.

البراليون، من النوع الذي كان في الستينات، وجدوا أنفسهم وقد تحولوا إلى الدجاج، لقد حل محلهم براغفون اند تياتاً عن الأيديولوجية الشيوعية - لبرالية (البرالية الجديدة) أنهم المعجون بالسيدة. تانتشر ورونداك، رغن وسواه كما تحب أراء هؤلاء الآخرين، أم لا، فقد كان فيها، على كل حال، من المنطق أكثر من أراء الشيوعيين - البراليين. فعلاً، إذا كان المرء مع الحرية غير المحدودة للسوق، ومع تعددية الملكية فإن ذلك يعني عملياً خلق قطاع خاص وبيع أسهم من مؤسسات الدولة، وإذا كان المرء يرى الأمل الوحيد للبلاد معقفاً على القاولين الديناميكيين، وليس على الطبقة العاملة، وإذا كان المرء يجادل لصالح الحاجة التي تتجبر القرية والرعاية الصحية، وباختصار، إذا كان المرء يفعل، أو يتبادى بنفس ما فعله، أو دعا إليه أعضاء الجناح اليسبي في الغرب، فما معنى الحديث حينئذ عن الاشتراكية، أو عن العودة إلى «الدين الحقيقي»، وبعبارة المشربات، إلى الشيوعية - لبراليين المنطقين مع أنفسهم لم يروا في كل تلك الرموز الأيديولوجية سوى إعطاء رصيد للماضي وللظروف السياسية، وسوى ستارة، لم يعد المرء بحاجة إليها في ظروف «الفلانستوت» (العالية). اعتاد لبراليو الستينات، أن يذكروا بشكل متلفظ، كانوا يؤمنون بصدق في إمكانية التوفيق بين الأيديولوجيين

يؤكد خطأ حقيقياً على النظام، في حينه، الخالي، بل أن الصحافيين يشكون من أن الرقابة أصبحت في أواخر ١٩٨٩ أشد صرامة. قبل عشرين سنة تكلم اسحق دويتش عن الوعي الشيوعي - السابق، فالشيوعيون - السابقون يرفضون للثانية لا يبالغون فقط عن قيم البرجوازية، وإنما يبالغون عنها بالتصميم الساتلي التقليدي نفسه. لقد أصبح الوعي الشيوعي - السابق نوعاً من الحمية الجماعية لبعض الناس، الذين يسيطرون على أكثر قطاعات الاعلام الرسمي تقريباً في الاتحاد السوفيتي.

في ١٩٨٩ نشر مؤلف الفيلسوف المشهور الكسندر تسينكو حول صناعات الساتلية في عدة أعداد متتابعة من المحلة الشعبية «أدوكا» إي جيزنه «العلم والحياة»، وكما يتوقع الماركسية، أثار المقال رد فعل غامضاً لدى الماركسية والترات الاشتراكي، الذي يؤدي في خط مستقيم إلى «الفرار» هذا ليس فيه جديد للفكر، الغربي، تسينكو يكرر بشكل أساسي أراء هابك، وسولنستين، وفلاسفة المجدد الفرنسيين، والمؤلفين الآخرين العديدين، الذين كتبوا قبله برمن طويل أمع فرق واحد هو أن تسينكو يميل المرحمة الأدبية أكثر، بشكل واضح، ويكثر من ساقته، أثار المقال رد فعل غامضاً لدى لبراليو الستينات، نشر أوتو لانسيس احتجاجاً على ذلك رد في إحدى المجلات أكثر شعبية في موسكو، وهي «زناميا». حدد مواطن الحال المعقدة في مقال قصصه، ونقاط عدم الدقة في أراءه الواقعية، وأشار إلى خطأ

يؤكد المرء يميز بين النخبة السوفيتية الحاكمة، والنخبات التكنوقراطية والتجديدية الموالية للغرب، في أغلب البلدان الثمانية. حيثاً، لا أحد ينوي، أن يشرأ رسيماً من المرازويولوجيا (أي: صيغ التعبير المألوفة) الاشتراكية، ولكن أصبحت الحاجة إليها أضعف فأضعف، ففي البداية، حيثاً كانت الأطر الأيديولوجية لـ «البرسرويكاه» ما تزال في طور التعميد، صاغت غوزينتشوف والمؤلفون الآخرون على عجل شعارات من نوع «المزيد من الديمقراطية هو مزيد من الاشتراكية» ونحوها. بفوائد الإدارة الاقتصادية الذاتية، أو المساهمة المعالية في صنع القرار.

كل ذلك هو في ثمة الماضي. وانقطعت العريضة للأولويات الأيديولوجية الجديدة، أصبحت أوطح شيئاً فشيئاً، على صفحات الصحافة الرسمية («لبراتورنيا» غازيتا» «الجريدة الأدبية») يستطيع المرء من جديد، أن يقرأ انتقاداً للفيلسوف الروسي بيردياييف بسبب أمر ما، لم يفهمه، أو لم يتجزه. هذه المرة هو منهم بعدم انجاز «حقيقة الرأسمالية»، ويكرهه غير قادر تماماً على التغلب على التأثيرات الماركسية في عمله الأدبي. «أولغونيك» و«دوريات» أخرى تحدثنا عن جرائم اللاشفقة الذين فعلوا آخر قصير روسي، ونقد تروتسكي والتروتسكية بلغ درجة لم يسبق لها مثيل منذ أيام ستالين. ليس هذا بأي شكل مظهر للتعددية أو دليلاً على ضعف الرقابة، إن الرافقين يعملون، ويتفقدون كل مرة، يلتقون فيها بشيء،

مطعمه طريقه صحيحه تسيكو خلال النشر، ما نشر على انه ترميدور، يجب ان يقرأ بروبريه كل ذلك بما مقفلاً قامة، لكن مقال لانسيس لم يذ. ولا يستطيع ان يثير صدى مماثلاً لصدى مقال تسيكو. لم تكن المسألة مسألة مستوى المعالجة لدى هذا المؤلف أو نظيره، الأهمية الأكبر عملياً في هذه الحالة، هي للمكان الذي يعمل فيه تسيكو، قسم الابدولوجيا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، هذا المنصب يسر دون شك، لماذا يعمل تسيكو على رسم «الفرس القديم» البشفي، و«مروج التراث» الماركسي بالبنائية، ويتحاشى بعناية انتقاد لينين. لكن هذه الابدولوجية القبرالية الجديدة، التي تتناقلها ملايين الجرائد والصحف، و«برامج الراديو والتلفزيون» لا يمكن بأي شكل ان تصبح «ابدولوجية الجماهير» الدراسات السوسولوجية تؤلف دليلاً على كون الأغلبية من السكان تزن، كما كانت تزن من قبل، بفكرة العدالة الاجتماعية، وتطالب بالمزيد من المساواة. الإجماعات العملية لإدخال إصلاحات السوق لمقتت القابلية، حتى في الأماكن التي يجمع فيها الناس على القول، بأن مثل هذه الإصلاحات ضرورية. اضطراب عمال الشاجم الكبير في تونز (بوليو) وأب (اغسطس) أظهر وعياً متزايداً لصالح العمال الموهومة بصبح، تؤلف بها عائقاً ضخماً أمام إصلاحات السوق، بالشكل الذي يتابعها به الخبراء الليبراليون. يتر هذا كله أفكاراً حزينة جداً، بين الابدولوجيين الليبراليين، واد يحسون

بالخطر، يقوم الليبراليون الجدد بانضواء مواقفهم الابدولوجية الخاصة. لمراجعة جذرية. بعد ظهور مقالات تسيكو بطلب، اتى في الصحافة أخبار كتابات تسيكو، والتدانيك ميرانيان، ليرفضا. لا الماركسية، وأما الديمقراطية لصالح ادخال اقتصاد السوق، يريان، ان الوسيلة الوحيدة عملياً لتطبيق الإصلاح الاقتصادي الليبرالي هي خلق نظام سلطوي قوي، قادر على أن يزيل بشكل فعال مقاومة الجماهير. ليس هذا جديداً بالنسبة لروسيا، ان انتقال المستعدين - الليبراليين الى المواقع المناهضة للديمقراطية هو امر تقليدي ومعتاد بشكل مطلق. فبعد ثورة ١٩٠٥، كتب طائفة كاملة من المفكرين الكبار، ذوي التول الليبرالية - بولفاكوف، ويرديايف، وسوروف وغيرهم - في مجموعة بحثي «دعائم الطريق» عن ضرورة المصالحاة مع القيصريّة والحفاظ على نظام سلطوي صارم، يستطيع ان يحسم النخبة المثقفة من غضب الجماهير. حقيقة التجربة التاريخية اظهرت ان الحليلة، لم يكن من الممكن الاعتماد عليها. لقد حدثت الثورة رغم ذلك، وتبين انها اكثر دموية من اي تصور كان يمكن ان يخطر للثورة في ١٩٠٥. وقادة الليبراليين الروس - الكاديت - ابتعدوا بانفسهم، ايام فيخي، عن المفكرين، ولكن بعد الثورة وجدوا انفسهم في المخذق نفسه معهم.

### تناقض «الاستغراب»

بعد التاريخ نفسه - مرة على شكل

تراجيديا، واخرى على شكل هرج - الآن نحن مع النهج الجمهور الليبرالي غاشب لحياة كلياتين وميرانيان، لكن مع الألف ميرانيان وكلياتين هما بعدان جداً عن مستوى بولفاكوف وسوروف، اذا لم نذكر مفكر كبيراً مثل بيرديايف، و«تفاداتها» هي بعيدة جداً عن مستوى نظرياً لدى قادة حزب الكاديت في ١٩٠٥، الذين كانوا يضمنون في ايديهم أبرز المثاليين للاتساحيا البرجوازية الروسية في ذلك الوقت. كما كان الأسر في الماضي، لمجد الابدولوجية الاستغرافية نفسها الآن ومن قبل في تناقض متعصب على المل، لمي غياب إلى الاجتماعية والطبقات من النوع «الغري» تكون القوة الوحيدة الفاعلة على القيام بالتغيير في المجتمع على الطريقة الغربية أي يجرهم الأمر على ممارسة القوة في مجال العملية الطبيعية للتطور الاجتماعي، هي النظام الاستبدادي السلطوي، الذي لا يشترك في شيء مع التقاليد الغربية التي لا تدعى النظام يؤهل لقيام به الدور ان كون البيروقراطية الرسمية، التي تستند شرعية سطوحها إلى وعدها بقيادة البلاد نحو الازدهار عبر طريق غير رأسمالي، تنجح الآن الى الأساليب الرأسمالية، ما بعد ذاته دليل على افلاس النظام الكامل الابدولوجي والتاريخي، وعلى الورثة الواضحة للستاليني، التقليدية غير ان تحول هذا النظام الى نظام رأسمالي هو غير مرجح الى درجة كبيرة، انما مع تناقض المثلي للنظام ما قبل الترميدوري. ان ترميدور ستالين يوجهه

كان، كما كان الأمر مع الترميدور الفرنسي، ثورة مضادة، ولدت من الثورة نفسها، وكانت الى درجة كبيرة استمرارية، وتكملة للثورة، وأهمهو الرامية الى فصل البشفية عن الستالينية، والجهد المبذول لتقليص البشفية الى مجرد مقدمة للستالينية هي، فإن، في كلا الحالتين غير مقصدة. والنظام الذي استند الى حد كبير التراث الثوري من أجل تزيير نفسه ابدولوجياً، يكون بدوره شعباً هذه المرة، لم يتخل عن ذلك التراث، ولكنه غير قادر على فعل ذلك، فالقاعدة «بالطريق» غير الرأسمالية ما يزال أساسياً من أجل الحفاظ على استقرار النظام السياسي، حتى ولو كانت المعارضة تناقض هذا الشعور من جهة أخرى، ما تشهده اليوم ليس هو تشكيل العلاقات البرجوازية والرأسمالية بالمعنى الغربي للكلمة، وأما هو ظهور منحنى نوع من التقارب السياسي، الذي يضم أرباب الملاحة في كلا النظامين، الغربي والشرقي، ندعو هذا بستانلية السوق، كم ميمر هذا المسح، يري انه لسؤال وصيه على الأرجح يبقى طويلاً. التفكير الكامن في القلب من استراتيجة التطور الحالية هو تقليدي كالملة. نة اقلية اعطيت الحق في ممارسة القوة على الأغلبية باسم الحق في الثورة، وتطور الاقتصاد، وبناء المؤسسات الحديثة، هذا ما جرى، على انه الحيار الوحيد للتقدم، لكن كان البلاشفة يرون الاقتصاد، على انه مصنع كبر، فإن المجتمع والاقتصاد يجب ان يدار، في رأي

الليبراليين الجدد، على انها سورماركت عملاي وهما متاثران، ومقاربة مبسطة جداً للحقيقة، وهذا مجموعه يصل ستالينية السوق الحالية بستانلية ١٩٢٠ السابقة، وتشكل ضمن الحرب البشفي، في جوهر الاثنين نية مفاهيم مشوهة للرايكاكية والتقدم، في كتابها، تبي مثل هذا الشط، ولو لدى جزء من الانتساحيا، هو دليل على الازمة العميقة ان مدائح السلطوية، والصناعية، في شعر ماياكوفسكي اغضبت نقاده الذين رأوا في ذلك خطأ توجيهه، ولكن ليست اقل بشاعة الاحاديث، التي يدعيها معقود اليوم، والتي تعمد حق الثوري المبني على فن التجارة، وتعط بالاستهلاكية كأعلى فضيلة، غير ان النهج هو النهج - هرج - فليس بينهم، بعد ماياكوفسكي جديد.

أزمة الانتساحيا ما تزال اليوم في الطريق، ان رفض المثل الديمقراطية وافكار «الصالح العام» ما كان أساسياً بالنسبة للانتساحيا القديمة بعض الطر عن العضوية الحزبية، وما كان لا يزال موجوداً في الستينيات، يعني (أي: الرض) عملياً، رفض الانتساحيا ودورها الخاص في المجتمع ككيان جماعي، تصب فيه القيم السياسية والاخلاقية، واستبدال منطق الانتساحيا الروسي بالثقافة الغربي، ولكن من دون تربة وكفاءة غربيين، مادما ايها، ان تكون «انتساحيا» بالمعنى الروسي للكلمة، ولم تصبح مثقفين غربيين افحاء، فإنا مهددون بالزوال لاننا استبدلنا انفسنا بـ «اللاشي».

### تكوين البديل اليساري

لمن الخط ان الوضع ليس مواتياً منه، ان شكاري الليبراليين والرمسين حول الصعود الجاهل لـ «الرايكاكية اليسارية» ليست عديدة الأساس قاساً. فبجمل الانتساحيا الجديد لا يستطيع، مثل سلفه في الثلاثينيات، او مثل سلفه قبل مئة سنة، ان يجد لنفسه مكاناً في النظام، الذي بنى الآن. وقرر الجيل الجديد تعير عنه حالاً موسيقى الروك اكثر من الأدب (رغم ان الصفة الأدبية لاغالي موسيقى الروك بدأت للمفارقة تتحسن، فجأة، بسرعة)، وضوحاً، ما يزال علينا ان تصبح متألمين مع الاسماء الأدبية الجديدة، ولكن الشعائر السياسية الجديدة أصبحت في متناولها، فالانتساحيا الشابة هي بالضغط التي شكلت العمود الفقري للحركة الاشتراكية، التي قوت بسرعة نادراً ما يعثر المرء في الصحافة المراقبة على نقد للأساطير القبرالية، ولكنه أصبح المضمون الأساسي في الدورات السرية الجديدة، ان بدلاً يسارياً بشكل. الحركة الخامسة، التي تستند لها الآن هي معركة الانتخابات الجمهورية والبلدية، التي ستجري خلال الاشهر الستة القادمة، ليس مستبعداً ان يحسم الجهاز السيطرة على عدد من المدن الكبيرة في روسيا، وعلى عدد من الجمهوريات، لصالح حركات الجبهة الشعبية بل في روسيا تعتقد ان قوى تحالف الجبهة الشعبية تستطيع ان تال الأغلبية في سوفيتي موسكو وليننغراد، تعتقد انه يجب على الجبهة

الشعبية حينئذ ان تتطلى بحلولها لشكالات الحياة اليومية، فتتارس الاشراف البلدي على البنية الاقتصادية والامارة الاجتماعية وتقوم بمقرطها. نة مطلب من أجل الأفكار الاشتراكية في المجتمع، وهذا بالضغط ما يجعل هذه الأفكار تير الحق لدى السلطات القائمة ان نشر كتب تروفسكي تحيف أكثر من نشر كتب سوجنستين، «أرخيل غولاغ» يتابع منه اليوم آلاف النسخ، لكن كتابات تروفسكي الرئيسية ما تزال تتداول سرا، أما يجب ان نعي جيداً، ان مطالب الجماهير للعدالة الاجتماعية لا تعرض البديل الحقيقي الذي هو في نفس الوقت ثقافي واقتصادي. ان شعار العدالة الاجتماعية ليس بعد بالمعنى الضيق للكلمة، لا شعاراً اشتراكياً، ولا شعاراً ماركسياً، فعادية كارل ماركس لا تتضمن مطلقاً مجرد ارتباط الإنسانية بالاقصاد - هذا معروف قبله زمن طويل - والا تتضمن بالدرجة الأولى الصلة العميقة بين بنية المجتمع وطق الانتاج، الذي نشأ في داخله، ومهمة الاشتراكيين هي بالضغط تغيير العلاقات بين الناس في عملية الانتاج، وليس اعادة توزيع الملكية أياً بين الفتي والفقر. هذا الموقف البلدي غالباً ما كان متشابهاً سواء لدى الديمقراطيين - الاجتماعيين - الاشتراكيين المتدخلين ام لدى الراديكاليين من كل نوع، الشاثرين باللاوتويا الجديدة، أو روسيا السوداء الشاملة. يجب ان نجد أجوبة لاستة «عديدة» الأولى منها هو، كيف نوفق بين العدالة

الاقتصادية ولحقق آمال الجماهير في مزيد من العدالة الاجتماعية في هذا المجال، لا فائدة من الاجراءات الجزئية المأهولة لتصبح تطرفات السروي الطريق الذي نستطيع ان نراه هو ادخال علاقات السوق ضمن بنية شاملة للتخطيط الديمقراطي، وللاذارة الذاتية، وتوظيفها ذلك في خدمة مصالح المجتمع، لهذا السبب بالذات لا نستطيع ان نعمل، ويجب ان لا نعمل مكاناً مركزياً في منظمة القيم لدى المجتمع الذي يكافح ليكون ديمقراطياً وانسانياً، كل فرد، بعض النظر عن مواهبه وموارده، وحظه، يجب ان يكون لديه الحق بحياة كريمة، والمجتمع، الذي يحول هذا المبدأ الى ممارسة يومية يكون مجتمعاً اشتراكياً، والناس، الذين جعلوا هذا المبدأ رئيساً بالنسبة لحياهم، لا بد من ان يصحوا اشتراكيين حثياً. نحتاج اليوم اكثر من ابي وقتنا مضى، الى منظومة جذرية من القيم، ولكن ليس هذا كافياً، يجب ان نلهم، ان دالكيات التطور يتبع عن القائد الجملة الناضجة، ويتجاوز الرؤية المبسطة للتقدم، على ان تركز للقيم المادية، اليوم نحتاج بلداناً والعالم الناس القادرين على التفكير براكيتيكاً، الناس الذين همهم مصالح المجتمع، والذين يتبنون بالجماهير، الناس الذين يوفون بين المعرفة النظرية والتحرك، فـ يرى بعضهم طريقاً آخر - رغم انه شخصياً لا استطيع ان اتصور تطور مثل هذه النظرة العالمية إلا في إطار التراث الماركسي. الماركسية، التي تتضمن ثراث والتقليد



١٩٨٨، وألفها بريس كافالينسكي في ١٨ أبريل  
(سيفير) في مدرسة لندن للاقتصاد.  
(\*\*\*): لغة مسريحة لإسكندر وألفه بعنوان «أمنية إن  
يكون المرء جانيه»

## من روائع الشعر العربي القديم

### امراًة

#### لاي صخر المذلي

لقد تركتني أحسن الترحش أن أرى  
السفن لا يرونها المذمر  
نبا حبها زدت هوى كل ليلى  
وبما سقوة الأيام موعداً المشر  
عجبت لسعي الدهر يسقي ويسقي  
فلا ألقى ما بيننا سكن الدهر  
وما هو إلا أن أراها لحيات  
فأبنت، لا عرفت لذي ولا نكر

جداً، خارج حدود أوروبا، الهمة لا تتركز فقط  
في الكفاح من أجل أوروبا العمال التي يجب أن  
تعمل على أوروبا الشركات والبروقراطيين، وإنما  
أيضاً في أن تجعل أوروبا هذه جزءاً من عالم  
أكثر عدالة وإنسانية.

الحديث الدارج عن القيم الإنسانية المتأصلة  
لا يساعدنا دأه في ذلك، فلكي يحقق المرء  
حقوق الإنسان عملياً، يجب أن يغير التي  
السياسية والاجتماعية، وأن ينضم بالتالي إلى  
كفاح المضطهدين ضد مضطهدهم، والمستغلين  
ضد مستغليهم، ذلك هو الجهد الفعلي للأحالي  
الماركسية، التي من دونها لا تكون النداءات من  
أجل الصالح العام سوى كلمات طائفة في  
المرء، أو تصبح تبريراً للسياسة المرتزقة جداً  
لدى التراجع الاجتماعية الحاكمة في روسيا، وفي  
العديد من بلدان العالم الثالث التي تعلم، بأن  
تدخل في يد الطغاة الحاكمة في العالم، والحصل  
بذلك على مساهمة من الكلمة الكبرى.

حان الوقت الآن لرفض الأثر المختر  
للكلمات البرالية، ولقيام بالاختيار، إما أن  
يكون المرء مع النخبات الحاكمة ضد الشعب، أو  
مع أغلبية الإنسانية ضد كل شيء يحول بينها  
وبين الحياة ككائنات إنسانية. هذا السؤال  
يراجعنا اليوم جميعاً في مختلف اجراء الكرة  
الأرضية، ولكنه مطروح بقوة كبيرة في روسيا،  
روسيا تريد من جديد أن تصبح جزءاً من عالم  
واحد، والسؤال هو أي نوع من هذا العالم  
سيكون، والجراب من هذا السؤال يتعلق إلى  
بعد كبير بنا ■

□ هوامش :

• هذا نص محاضرة مختصرة لأدري إسحق دويتشر في

الكلابسيكس، والتصحيحين من كل نوع،  
والأبحاث التي - فرويدية (الفرويدية  
الجديدة) لماركوز وفرويد، والوجودية المادية  
لسارتر، وتحليل غرامشي الدقيق في  
مذكرات السجن، والفكر المتناقض،  
والثوري المرحس دوماً في الوقت نفسه في  
مؤلفات تروتسكي، يجب أن ينظر إليها على  
الأقل كمصوغ من النصوص الأصلية،  
وغير الأصلية تحتاج النصوص من أجل  
هدف وحيد فقط كي نستوعب المروس في  
الأسلوب الشديد، الذي يحتويه، كي نطو  
لثقافتنا الفكرية الخاصة، وكي نوفر دفعا  
للتعامل نظري جديد بنسج لنا الأجابة عن  
الاستئلة، التي تواجهنا اليوم.

#### طريق إلى العالم

الماركسية هي الطريق إلى الحضارة  
الأوروبية، الطريق إلى التراث الغربي، إذا  
نظرنا إليه لا كخوف للسر ماركس، وإنما  
كثروة حقيقية من التجربة السياسية والثقافية  
والاجتماعية بكل تناقضاتها، في الوقت الذي  
نحافظ فيه على هويتنا يجب أن نتجاوز  
الاقليمية يجب أن نتق لانفسنا طريقاً إلى  
العالم، الذي ليس هو تماماً الغرب. الجبراً يجب  
أن نتجاوز الانغلاق التاريخي، الصعب جداً على  
الثقافة الروسية من الأوروبية والغربية إلى  
التسوية، والأهمية للماركسية يمكن أن تساعدنا في  
ذلك.

ان نظام غورباتشوف ليس اليوم سوى  
تبرير، كي يدبر المرء ظهوره بشكل نهائي إلى  
أغلبية الإنسانية التي تعيش، كما هو معروف

## الجراد يحب البطيخ شكل فني جديد من عناصر التراث

● بقلم: ابراهيم فتحي ●

□ يسر «الجريدة» ان تنشر فيما يلي هذا البحث للناقد الأدبي المصري  
المعروف ابراهيم فتحي عن ملحمة «الجراد يحب البطيخ» للكاتب راضي د.  
شجادة، ابن قرية المغار والمقيم حالياً في القدس. وقد صدرت عن «دار مصر  
للنشر والتوزيع» في القاهرة. وتستعرض طبعته المحلية في البلاد قريباً □

والأحداث بعين صحفي أو سائح، كما ان  
الراوي - على العكس من الراوي القديم  
الذي تفصله عن روايته مسافة زمنية تصل  
إلى قرون - حيناً يطل من شاك بيته أو  
زنتانه أو من خلال العصابة على عينه، في  
أثناء التعليل، يحاشي على الفور صورا  
«ساحرة» صادقة كل يوم، ويصبح اليوم  
العادي أساطير وعالم، عساكر، فلان حصار  
منع جيول، نفى، سجن، هدم بيوت، صراخ،  
جوع، نشرات الجيار عربية مبهمة  
واسرائيلية مسومة، أي يخلط المشهد

«هذه أيا السادة الكرام، بعد الصلاة على  
خير الأنام» حكاية تعريبية أهل فلسطين  
وأصحابها، وانتفاضهم وأهوالها، وهي جذيرة  
بأن يكتب، بأطراف الإبر على أفاق  
البرص...  
وسطورها الحية تدفق في هديرها على  
لسان «الراوي» كما عرفنا، وكما شكله تراثنا  
القصصي العربي وكما شكل وعينا ووجداننا.  
فالسيرة الخلاقية القديمة مبدأ تتشكل مع  
مدى أخرى في بناء التجربة الفلسطينية  
الماصرة، فلسنا نألم نظرة للأشياء

الاجتصاب، الأجنبي، سواء الفارسي أو  
الغارات الرومية أو التتار والصليبيين،  
وتقدم هذه السيرة العربية - بالإضافة إلى  
ما تتميز به شبهاها الغربية - نظرة شعبية إلى  
التاريخ، فهي لا تكن نابعة عن بلاط ملكي  
ولم تكن تنشأ في الحقل الأول داخل القصور  
بل في حلقات القصص في الأسواق لجمهور من  
العامة.

وينبغي ألا نغيب هذا الطابع الشعبي  
بعيدا إلى حد القطيعة والتناثر مع الحكام  
والسلطان ورفاساتهم، فلم يكن قد وصل بعد  
إلا إلى غايرواضح فحسب وراء قيادة السادة  
والحكام القوميين، لذلك يرى في السير  
العربية على خلاف الملحم اليونانية  
والرومانية دور أبطال ثانويين، يخوضون  
القتال وينتمون إلى الطبقات الشعبية، ولهم  
أدوار مختلفة، وفي التجربة الفلسطينية تتناغم  
هذه الأدوار وتنتقل إلى الحقل الأول.  
وهذه الأدوار والخصائص كما كشفت عنها  
الدراسات العميقة (د محمد رجب التجار،  
حكايات الشطار والعباريين في التراث  
العربي)، جزء من العنونة للملحمة القومية،  
عسيرة، عنفة، استوعبت بطول صعاكيا  
المجاهلة، وسيرة جزء العرب بطول شطار  
العراق ضد الظفر الفارسي: «شيبوب» في  
الأول وعصر العبارة في الثانية، ومنجد بعد  
ذلك عثمان بن الحنبل بمثل اللامة الصفرين  
في سيرة الظاهر بريس وجمال الدين شيبو  
(صاحب ملاييب، شيبو الشهيرة)، ممثلا  
للغامة في الشام من صفحات سيرة الأميرة  
ذات الحمة، وأما الكثير من أبطال السيرة  
الفلسطينية فتتوزع عليهم خصائص

الفلسطينية ويجمع شتاها وأصولها وأصلاتها  
في جسد واحد متضخم يتكامل وينمو كل يوم  
ويكتسب أبعاد عملاق.  
ومن المؤكد أن السيرة الفلسطينية ملحمة  
الطابع، فهل تكون الملحمة هنا زينة خطابية  
تنتمي إلى تعيد أبطال المعارك في القتال أكبر  
من أن تكون سمة فنية تنتمي إلى الابداع  
الأدبي؟

#### «السيرة» شكل ملحني تراثي

إن هذه السيرة الفلسطينية لا تتزلق في  
زينة خطابية إعلامية، فالجسد الأدبي لا يلف  
عند أن يكون صيغة شكلية معلقة في الهواء،  
بل يرتبط التشكيل فيه بجبال معين أو متطفة  
إبراك حسي قومي يحدد تشكيل العالم.  
فالملحمة (هنا السيرة الشعبية) مصدرها  
عند اليونان والرومان والعرب تقليد قومي،  
وتستلهم دائما ماضيا قوميا بطوليا وجنوبيا  
تأسسية، إنها تصور عالم بدايات وأزمنة  
قومي، عالم الأبناء المؤسسين (ياجنين)، أول  
الأوائل في هذا الملحم القومي أو ذاك وأفضل  
التضلال، وإنياء لفارقة خصبة أن يكون  
«الأبناء المؤسسون» للسيرة الفلسطينية هم  
أطفال الانتفاضة وشباب الثورة في أحضان  
قداسي المخابرات، طبيعة الحال، (صهر  
بركات استمرار على أعلى مستوى لمجاج  
والرجادي) وينطلق ذلك على سيرة عنتره  
ومرزة العرب والظاهر بريس والأخيرة ذات  
الحمة، كما ينطلق بوضوح على السيرة  
الغالية: بطولات قومية في مراحل مختلفة من  
التكون ضد التمزق الداخلي في مواجهة

البطولات الشعبية في السير القديمة. وقد تكون الإجابة المباشرة إلى السيرة الخلاقية في السيرة الفلسطينية ذات دلالة هنا (لقب الشخصية الرئيسية بركات الخلال، حصار «الغلاية» من قبل الصهاينة، الجوع، فالسيرة الخلاقية تتميز في السير الشعبية بأنها تغلو أساساً من البطولة الثانوية المساعدة لشخصيات تنتمي إلى العامة وتقوم بدورها ذي السمات الخاصة. فالبطل الشعبي أو زيد الخلال - كما أشار الدكتور النجار - قد جمع بين بطولة الفرسان بالسيف وبطولة العوام المتميزة بالكرم والحيلة واللاعيب والتفكير، أن سكة «أبي زينة» كلها مسالك. وترى في السيرة الفلسطينية ما يقوم به الأبطال الصبية والغنيان والنساء من ظروف كيد وحيلة وخداع للعدو لتطوير العناصر من السيرة الشعبية العربية وروعتها إلى مستوى جمعي ينتشر بين الكثيرين في مواجهة عدو متفوق العدد.

كما أن شخصية «أبو زينة» في السيرة الفلسطينية يكاثر بتطويع عليه جزئياً ما يحى على لسان الراوي القديم في وصف «شبيب» في سيرة عترة من أنه «أبو الدواهي والأمر» وأبو الحيل الواسعة وصاحب الثقات الضحكة كما تتوزع صفات شبيب الأخرى على أطفال الانتفاضة بسقي في عدوه الغزال ويصف الأرض لسفكاً كأنه الثمر الحردان، خفة وحركة وطرفاً يوقو الشيطان المرید لا يباريه أحد، وفعاله كلها عجائب وتقدم السيرة الفلسطينية تجسداً درامياً حياً، تلتقط كاسراً سينمائيًا باللفظ التوسط في أكثر الأحوال تصور حركة الجوع وانتفاضها

الذكية وانعطافاتها الحافلة بالدعاء ومباغياتها المحيرة ومقالباتها للعدو «بالرمح وسط الحرايب والدم المسفوح وجول الآلام». **آخر السير الشعبية التراثية... مفارقة الزمان الفني**

وتذهب الدراسة العميقة لهذا التراث، عند تناول آخر ما كتب من سيرتنا الشعبية «سيرة علي الزريق العمري» التي كتبت في أوائل الحكم النضالي، إلى نتائج تلي الضوء على السيرة الفلسطينية. فالبطل هنا على الرغم من فروسيته تغلب عليه الصفات «الشعبية» في مواجهة الأعداء الأقوياء، معركة طويلة الأمد لا تحبسها «مبارزة» واحدة حاصلة، الاعتماد على «دعوة وعصبة» منظمة تضم ريعين من اللقائن، وسلسلة من التكتيكات المرنّة تقوم على الافلات من ضربات العدو وإتقان حصونه في ضعف حلقاتها.

سجد في السيرة الفلسطينية من يثقب الجبل ويسرع الكمل الفلسطيني من عيون الصهاينة «حيلة العمل» في القلا اليهودية وحفر البستان لاسترجاع «الكثرة» وهي تيمة متكررة في السير الشعبية ويستوحى على نجوم السباد.

وللأسف عذرة اليهودي في سيرة الزريق قصرة بنيت حيلاته طرية من ذهب وطوية من فطنة ويتحدى شيان مصر المقاتلين والمجاهدين «منظاره مصر وفيتان» (العراق) وكثيراً ما سحرهم إلى فردو وجير وخنازير فهو تاجر ساحر يستعمل الحيل (الرهاس

بالبحرية المتجددة التي تعيد تشكيل هذه «الذاكرة» فالسيرة الفلسطينية تتميز بأنها لا ترى «العالم الملحمي» متكسلاً على نحو نهائي باعتباره واقعاً فكرياً وقيماً، ولا تصنع صورة وراء الشمس المباشرة الملحمي بالمحاضر المنطوق غير المكتمل الذي يواصل إعادة التفكير والتقييم.

إن الماضي ليس بالصدر الوحيد لكل واقع حق وكل أصالة، بل هو نتج متجدد، وروايف بعضها يخبى وبعضها يتدفق كما إن تأكيد القيم يصدر عن حاضر تطالي ومستقبل مأمول لا عن أديلة خارج الزمان، وعلى العكس من أصحاب التراث بوصفه المخزون المنصهر، يكون المستقبل هنا فقيماً وابتداءً حراً مستعصياً على التوقع وليس توسعاً لعالم الماضي المطلق أو رجوعاً أو تكوياً.

ألا إن الشعب الفلسطيني في الرواية إذا تعرض لافقاع جذوره وهو ذاكرة: وفرض التثبات عليه. فلا بد أن تكون تجربة الجذور والذاكرة وأوصالة العربة مكونات رئيسية في خلقه لمستقبل، ومن ثم كان استلزام شكل السيرة وتطويره أداة شديدة الأهمية في خلق الرواية الفلسطينية. ولكن تلك السيرة الفلسطينية لم تخلق نخبة فرسان أصحاب فردية خارقة، ولم تحتفل ببطولة متفحجة جلي كساحتها الشخصية المزعول على عكازات خطافية عالية.

وفي هذا العمل لم ينع الطريق إلى مكان ما بين الماضي/ التراث والذاكرة من ناحية والحاضر المتناقص المألوف من ناحية أخرى. فخصوصية الملحمية الفلسطينية الراحة لاستعادة الأرض المكان الجسم الروح في

بأسرائيل واعتمادها على التكنولوجيا الأمريكية). وكان هناك سراع بين شطار مصر وفيتان العراق أوقفته الحيلة الشعبية عند البواراة والتناصف.

ومن الناحية التاريخية كان علي الزريق المرتبط بفترة العشرين بحدود (١٩٤٤ هجرية) من أب عراقي وأم مصرية، أما دليته «الفارسية» التي كان يجازيها فقد ذكرها المسعودي باعتباره عاشت أثناء القرن الثالث الهجري، كما إن أسلاف الزريق وهو أحد الأتق (والى يقدمه) قد لقي مصرعه عام ٣٩١ هجرية!!

وبالإضافة إلى الطابع القومي الخيالي الملحمي للاحظ أن «الزمن التراثي» فيه هو ماضٍ مطلق غير مكثرت بمرور الزمان، ماضٍ تم تجديده عن الحاضر واكتمل وانغلق في دائرة، وبطبيعة الحال هناك أحداث جزئية تسبق أحداثاً وهناك سياق للتتابع، ولكن داخل الزمان التراثي الملحمي المكتمل والغلقي داخل دائرة تنصع كل التقاط متساوية البعد عن الزمن «الواقعي» للحاضر، فالزمن التراثي ليس نسبياً مطلقاً بالحاضر والمستقبل، إذ يحتوي داخله الاستلا الكمال للزمان ومن ثم فالزمن التراثي في أشكال القص بعيد تماماً عن أي احتكاك أو تماس مع الحاضر بكل فتحة تهايته.

وعلى العكس من ذلك نجد «السيرة الفلسطينية» تقوم من حيث مفهوم الزمان على منطقتين متباينتين تماماً، منطق الحاضر وهو يتمز مستقلاً مفتوحاً، فهي سيرة «لم تم بعد» ولتصعب القرائ الأخير في شكل ومضمون

تأنيدها وليس من الممكن أن تكون «الزيرة» حتى الصورة منهية كما تنهي «علي الزريق» بأن هارون الرشيد الذي كان معاصراً لأمير طرولون (١١١١) أكرم الأبطال غاية الأكرام وأمر بأن تدون الحكاية كلها وتوضع في خزنة الخليفة باعتبارها سيرة من عملة السير لأمة خير البشر. ليعمد أو ليأمن الجميع في أرغد عيش واهناء إلى أن يأتيهم غازم القذات ويفرق الجماعات.

ويجب ألا ننسى أن أبنه التاجر اليهودي القديم آمنت يا يؤمن به علي الزريق، وهي التي قبلت هذا العدو ثم تزوجها علي الزريق بالإضافة إلى زواجه من حبيته الأصلية ليكون الخير خرين في حل سلمى سعيد مع الأولاد والبنات الطيبين والطيبات.

## الفرق بين السيرة الفلسطينية والسيرة التراثية

وفي سيرتنا الفلسطينية نرى الاهتمام كل الاهتمام منصّباً على تصوير حي الواقع معاصر في عملية خلق مستمرة مفتوح للبهات، أنها تلتقط الأمل والفجرية للحاضر في اللغات صريحة عاطفة وتكتشف اقتراحات جديدة وملاحج جديدة للناس، والاحداث ما تزال في مرحلة الصنع، وتتبدل غيرار التطور في حالك الطلقات.

فالعمل الذي تناقشه وأع بذاته الفنية أكبر وهي، يطرح للناشئة ويصور عمليه كتابته وتناقضاتها، فهو لا يقدم «سيرة» مكررة من السيرة التراثية حيث «الذاكرة» هي مصدر الدافع الخلاق بل يربط الذاكرة

عالم اليوم، ماثلة في أنها تقدم إمكاناً للتعوير على «الذاكرة» الصحيحة للنظر بالعينين الأتئين.

لذلك تغلب بركات وجزء من طابع التصوير التقليدي لشخصيات متعددة الحدود ساعة التشكل، فخيالية السباد. فقد انتقلت الأساطير الملحمية الرفيعة إلى سياق الحياة اليومية.

وفي الأشكال القديمة لم يكن ذلك ممكناً، فالشخصيات الرئيسية ونقاط التحول الكبرى في حياة أبطال السيرة التراثية لا يمكن أن نجد ما يحدد في تيار الحياة اليومية بل في مشكلات الدولة والحرب والغزو مبدعة إلى ساحات قتال تالية وفي مقصورات وخيام دونها الحراس والمجانب.

أما في السيرة الفلسطينية فقد أصبح الزقاق والبيت والخيم والمصوّل على الطعام والتعاب إلى العمل والمدرسة والخروج إلى الشارع ساحة قتال ومواجهة عمومية. تحدث تحت الشمس أمام أعين العالم على نحو عمومي وفي حضور «الحققة» «التراجيدية»! لذلك لن تكون طريقة سرد تعتمد على تيار الشعور لرد معزل عن الأمصال النفسية إلا شديدة المصنوعة في قدرتها على تصوير هذا العالم الواسع.

ولكن يمكننا أن نذكر أن شكل «السيرة الملحمية» وهو من الأشكال البلاغية الخطابية قد تعرض للجمود والتوقف منذ زمن بعيد ولم يتسع لتصوير المعارك الحديثة لدى الشعب العربي، وما أقل ما استلهمه الأعمال الأدبية. كما أن «البطولات» في صنعها المكررة تعجزت في هياكل عظيمة

وقوالب طائفة متكيفة عجزت عن تصوير الحياة الخاصة الباطنة لسلط القومية البرجوازية الذي أخذ على عاتقه حاربة بقايا الصور الوسطى والاستعمار الأجنبي في الأدب العربي الحديث على أرض الحركة الوطنية واليهودية.

**الجراد والحرافيش والاستعارة البيولوجية**

ولكن الخيال الجمعي لعامة الناس في الانتفاضة الفلسطينية من أجل مثل أعلى قومي ينتمي إلى التاريخ وإلى تضال الأسلاف، واضطرار الوعي الذاتي الفردي إلى أن ينظم نفسه حول فكرة «القضية» جعل الوعي الخاص «عومياً» متفوقاً تاريخياً، ومن الواضح أن كل ذلك خلق الظروف

وقد تبدو تلك الطريقة في التصوير غريبة على الأدب الحديث الذي يركز على الباطل النفسي في تفتت وعمل رفض الواقع وقبلة بالتصوير في هذه السيرة الفلسطينية بحتت الوجود الانساني مرتين متسوّجاً بالكمال، ويعبر عن الانفعال بدرجات متغايرة من الحركة الخارجية، ويكاد الداخلي والخارجي فيه يقعان على محور واحد، بل إن الوعي الذاتي لأفراد العمل الذي تناقشه منصب بالكمال على تلك القوالب من شخصية الفرد وعيانه التوجه إلى الفعل وسط اعله وإزاد العدو.

وتجسد في الشكل التراثي للسيرة، كما لدى

بالبحرية المتجددة التي تعيد تشكيل هذه «الذاكرة» فالسيرة الفلسطينية تتميز بأنها لا ترى «العالم الملحمي» متكسلاً على نحو نهائي باعتباره واقعاً فكرياً وقيماً، ولا تصنع صورة وراء الشمس المباشرة الملحمي بالمحاضر المنطوق غير المكتمل الذي يواصل إعادة التفكير والتقييم.

إن الماضي ليس بالصدر الوحيد لكل واقع حق وكل أصالة، بل هو نتج متجدد، وروايف بعضها يخبى وبعضها يتدفق كما إن تأكيد القيم يصدر عن حاضر تطالي ومستقبل مأمول لا عن أديلة خارج الزمان، وعلى العكس من أصحاب التراث بوصفه المخزون المنصهر، يكون المستقبل هنا فقيماً وابتداءً حراً مستعصياً على التوقع وليس توسعاً لعالم الماضي المطلق أو رجوعاً أو تكوياً.

ألا إن الشعب الفلسطيني في الرواية إذا تعرض لافقاع جذوره وهو ذاكرة: وفرض التثبات عليه. فلا بد أن تكون تجربة الجذور والذاكرة وأوصالة العربة مكونات رئيسية في خلقه لمستقبل، ومن ثم كان استلزام شكل السيرة وتطويره أداة شديدة الأهمية في خلق الرواية الفلسطينية. ولكن تلك السيرة الفلسطينية لم تخلق نخبة فرسان أصحاب فردية خارقة، ولم تحتفل ببطولة متفحجة جلي كساحتها الشخصية المزعول على عكازات خطافية عالية.

وفي هذا العمل لم ينع الطريق إلى مكان ما بين الماضي/ التراث والذاكرة من ناحية والحاضر المتناقص المألوف من ناحية أخرى. فخصوصية الملحمية الفلسطينية الراحة لاستعادة الأرض المكان الجسم الروح في

في لغة شاملة تقدم «السيرة الفلسطينية» قلب الواقع أيضاً، تنافس زخارف صوفى متراحة من أجساد بشرية وحنش الشهيد نائماً متبرعاً مفروساً فوق الأيدي المبلودة إلى الأعلى كأنها فروع أشجار الزيتون المعرة التنتية بجودها بأموها، والتعش خفاق نابض بين الأيدي يتلف على ثمرته بين الأضواء والقرع.

٤٧

٤٨



المؤرخين القدامى للطبقات الحاكمة تسمية «العامة» في تضامهم ولدهم وخروجهم على قواعد ومعايير المحاكم تتراوح بين تسميتهم بالخرافيش والزعان.

ينبغي دمج رجب الحجازي إلى أن كلمة حروف متقلبة عن كلمة «حرف» بمعنى أن الحرف المزهول كثير الأكل كثير العدد الذي يضر الأخضر واليابس على ضافة جسده أكثر مادة حشوش أو حشاش في «حياة الحيوان الكبرى» للدميري، كما أن الحرفوش في المعاجم اللغوية هو ضم الحلق والحلق. وكذلك أحرفش الرجال إذا تصارعوا، وأحرفش الديك أي تباها للقتال (ابن منظور في معجمه).

وكان هؤلاء العامة من الجراد دور مرموق في جيش صلاح الدين، فهم طلائع للجيش النظامي، وكانوا واسعي الحيلة في اختطاف جنود العدو وبتر العقب في جيش العدو. وفي الحملة الفرنسية كانت لهم بطولات كثيرة، كما أن العوام كما جاء في ابن أبي، طاروا ممالك بلقاء الذين كانوا كالأسماطين - يبتدون على الناس والنساء ويهينون ويظلمون وقد طاروا الممالك وكل سلاح العوام كصبيان الانتفاضة هو المجارة والمالغ.

الخرافيش (الجراد)، ومردوهم «الزعر» و«الشلاق» الذين يستخدمون السياف لإدخال الحرف في قلوب الأعداء (كما سب العامة في السيرة الفلسطينية صبيانا وقية جنود إسرائيل بالعربية والعبرية كجزء من حيل الاستدراج، الخ).

ولكن الجراد الفلسطيني له في سورتنا

ومزية حيوية شاملة، أنه كما يجيء على لسان امرأه مناضل قديم جراد خير، يصر القلب، فهو لا يأتي من الغرب بل مع لسعات الصراصير، أنه جراد الطبع الذي لا يكتسب لونه الحق إلا حيناً بقات يطبخ ينتمى إلى بقاع معينة من الأرض. وتراه امرأة المناضل وهي تقرأ فتجان الراوي. هذا جراد الطبع المنتمى إلى أرضنا، جراد فعل شديد الحفوية ما أن يتم الأثر الإنسانية حتى تنجب أربعة، أو ثلاث.

والراوي يتأكد من مصداق رؤية العجوز وفيرة الدور حيناً يذكر كتاب الجراد الذي درسه في العراق دراسة علمية. جراد يتكاثر بسرعة، صغاره كأولاد الانتفاضة منذ خروجهم من البيض تنطلق فوراً حاملة مهام الحياة... وهذا البيض حيناً يقضي بفرج من شقوق الأرض صفوفاً صفوفاً بالملايين كأن القارة قد جات ساعتها، (يوم القيامة، يوم يكون الناس كالغرائس الميتة، أي كغزاة الجراد المنتشر المتصادم حرة حتى تحين ساعة الحساب (عن تفسير الجلالين كما ينقله الراوي).

ويتعرض هذا الجراد للإبادة بالنسم (البنترنوم)، الذي ترثه الطائرات على هيئة مقذوفات الغاز المسيل للدموع الذي يخنق الجلد ويعرقه. ولكن هذا الجراد مع مرور الزمن يكتسب ساحة داخلية ضد تناهات المبيدات ويتحصن جزئاً في صراع البقاء، والقضاء عليه مستحيل فإن قتل العدو الغا في ساحة ولدت الآليات المقاتلات الف مليون في نفس الساعة.

ومن خرافيش السيرة القديمة، فإن

السيرة الانتفاضة قومية الطابع تشمل المصري «بكرة» و«العراي» ومحمد النبي «شند» والسوري «بلاي». وفي يقوم الجراد بالهجوم أنه من هجوم عام ١٩٤٩ وظل يذبح ١٣ سنة، ويكن في الأماكن الخائفة القاحلة. ولكنه حيناً يقرر العزوف فإن ذلك يتم بنة دون سابق أنذار ويحفظ مساحات الأرض خفقا.

وحام السيرة هزبية تطاردها عين أمير وتبدو «الرؤية» كأنها نهاية العالم، كأنها القارة، الجبال وصغراء العالم العربي كالمهين المتفوش منهزمة تحرق فلاعاً شديداً السادة عرباً وإسرائيليين وأمريكان على الرمال. وكانت لساعات عقة يشق الطبع الأسيل دليل جحافل الجراد نحو الهدف.

تهدم الأسوار بين التجمعات، ويكر المصري في طليعة جحافل الخرافيش، وليس من الممكن التمييز بين الجراد والبشر. وحل الفز الأديسي الذي تقدمه التوحش الأسطوري يقدم إضامة إنسان واحد متعدد الرؤوس ملتصق بالجلود.

رصة الحرية الفلسطينية، رصة جراد الصرخاء الشرقي في طليعة الزحف الفلسطيني، الصديق الليبي والسوري والعراقي، جنود العدو تتضام كالفران والخرافيش يكتسبون أبعاداً خرافية والأرض مكسوة بلون الحياة المتدفقة في السماء والتار والتورة خضبة تبت فواكه وأزهاراً، وأعلام فلسطين تنطلق من الباليونات والطائرات الورقية.

والطبع يتر شاة في غير أوانه، فصل الانتفاضة والإبداع، والنصر الرافض في

أحدى الأسرى بالقضية الفلسطينية في السيرة تنقل إلى الأرض وتنفقها والنهب الخيرة في أعينها التذكور التائق في تبارها والى نسمات هوائها وسحبها ورسائنها، إلى دونها وحيواناتها وحشائنها ولن تستطيع أن تفصل شعب فلسطين المجوع بأرضه رسائنه وكل القوى الحوية في وطنه داخل دائرة معزولة في مهجر أو شتات. لذلك جاء الألق الرمزي الأسطوري مكملاً لواقع الحياة اليومية منجزاً بها.

## التوازيات المتناقضة

ولكن هذه السيرة الفلسطينية لا تنح لوجه «اللاجئ» على الأشكال القديمة والأساطير القديمة لتملأها سكان جدد ولا تقترض شخصيات ملحمية مثل «أبو زيد الهلالي» لتقوم بترميمها وإدخال تعديلات عليها. بل نحن أمام إعادة اكتشاف لمنطق التوازيات الملمح في الملامح المعاصرة لأبطال ينشقون من الصفوف العادية للناس، ولم يعد هذا النموذج مجرد صفة رمزية خفية لشيء معاصر، بل تعبيراً جماً حياً عن الفعل البطولي للشعب. وقد تفقت السيرة من مخاطر أن تفل الصبغة التالية التراثية على الحياة الإنسانية، وأن يترك الأفراد منهم مرة على أيدي الضحايا ومرة على أيدي التجريد الرمزي القصصي، لسنا أمام تجسيد حشري (نسبة إلى حشرة الجراد) لأي زيد الهلالي ولا أمام نسخة جديدة من ملحمة قديمة. بل أمام رواية معاصرة تتفق منها ملامح السيرة الملحمية، ومنها تتحول الشخصيات القروية

الواقعية إلى أسطورة يعبها الناس. ولننفي في سورتنا تشاهد وعروض درامية حية تخرجها وقتلها حركة الجماهير دون فاصل بين خشة المسرح والفعل اليومي المعاصر، في المعارك والمجازرات وتفصيلات التحقيق والتعليق.

بل إن درامية المشهد والفعل والصراع تنحلي في السيرة بالصاحبة الموسيقية، والجوقة، والأغاني، وخصوصاً «أغنية العمل» في الحفر والبناء اللازمين للمعركة. ويناق الطابع الجاد الكوميدي في منطقتي غيل ادبي لاقصى اقتراب (أو احتكاك) من الأشياء والأحداث، فالتفعل السياسي الجماهيري الذي يستغرق الليل والنهار يبتك بكل شيء ويعبر وينزع ثيابه شاحكا محطاً الخوف والحيية والطاعة للوطني والرضا والعرية الشدة. ولكنه احتكاك مباشر شاك ملون بالحرى والدم الأطفال والفتيان على مستوى ومحاكاة يسرون ويعفزون ويعبرون دولاً احترام أو توفير لأوامر وجنود وأسلحة العدو، يلتفون حولها، وتكتب مؤخرات الأشياء وأجزائها الخلفية أهمية خاصة، ويصيح للتهكم والتخيرة من قدر ما كان محيلاً مرعباً دوراً بارزاً في العمل الفني، ويصيح للألمة المنيرة، والمهرج المضطهد دور يسترعي الانتباه ويغني حكمة عبققة، كما تزول النعمة الواحدة الوفور عند الكلام عن الأعمال العظيمة وتصبح والكلمة نائية حين تحضن علامات مرح متهج جهور.

وترى في السيرة الفلسطينية أشكالاً من «التوازيات» مع ملامح قديمة من اللامح

والأساطير تتشابه في نفس الوقت مع أشكال من الحكايات الخرافية أو الرحلة للأجناس الأدبية الرفيعة، وعلى سبيل المثال (حقل زيت يا حبة تانلي تانلي قرص المعج) محاكاة للتشيد الوطني بطريقة أغنية الأطفال.

كما تورد السيرة توازياً شاحكا على الرغم من مرارته يقوم به المحقق الشاذ الإسرائيلي وهو يعذب المناضل ساعراً من مؤخرة أي زيد الحمراء، وتكونه المكتشف، ويرد المناضل له الجمل وباعتزافه عن أنه ورفاقه هم الذين أطلقوا الدفاع على بطلي كاتب ديفيد وأودود صريحاً.

ونلاحظ أن اللغة في السيرة الفلسطينية تشمل مستويات مختلفة وتعارف في اللهجة، فهي تضم الصيغ الأسلوبية المجردة للسيرة التقليدية، واللهجات الحية على الألسنة خارج الأدب، وتضم اقتباسات وتضمينات مرة مع تأكيد أصلها ومرة أخرى نصف مستترة أو قد أعيد تفسيرها ونلاحظ أن الحدود في النص والتعليق وبين لغة نصوص أخرى مضطربة وتراثية ومكتلة للمحكمة وبين اقتباس تتخلله رنة تحكيم وانتقالات بين كل ذلك.

إنه عمل فني يجمع عناصر متعددة من أشكال قصصية تراثية ومعاصرة، متعددة، وعلى الرغم من اختلاف هذه الأشكال فإنها تنفلي في الساتل منسجم لتصوير الحاضر، لتقديم كلاً قياً له خصوصيته المتميزة عن عناصره.

(القاهرة)

## قضايا راهنة أثارها فرح أنطون سنة ١٩٠٣

بقلم: محمد الناصر التزواي

في الوقت تصورات الناس حول تطور المجتمع وتطور الأفكار. الحقيقة أن القضية، لأن الفكر العربي الحديث عموماً يتطور بدافع رة الفعل لا بدافع حركي ذاتي، وكثيراً ما تكون ملامح بعض الروى الفكرية نتيجة تأثر خارجي صرف، ولذلك فمن الضروري أن يعتمد الإنسان في تناوله مثل هذه القضايا على أمرين:

(١) التثبت من أن جميع عناصر رؤية ما متواجدة عند كاتب من الكتاب حتى وإن كان بعضها يبدو أكثر كموثناً من البعض الآخر.

(٢) التثبت من وجود قاعدة ثقافية قد تختلف خطياً وإسباعاً على الأقل في الفئات الشفقة التي يصنف حسبها أحد المثقفين.

● عنوان هذه المقالة القصيرة والتواضعة يعبر في حد ذاته عن تساؤلات: كيف يمكن لكاتب رأي كاتبها أن يطرح في بداية القرن في مصر التي لم تعرف اصطفاً طبقياً اجتماعياً وسياسياً وثقافياً واضحاً أن يطرح قضايا عصر كعصرنا يختلف كثيراً عن العصر الذي عاش فيه فرح أنطون: والتفكير في الغالب لا يطرحون من الانتفاضة إلا ما يدفعهم الوضع المخصوص على طرحه، خاصة إذا كانت هذه الانتفاضة بعيدة عن المسائل المباشرة، ولصيقة أشد القصوى بالسلطة الاجتماعية، ثم ليس توجه بعض الدارسين إلى اعتبار بعض الإشارات والملاحظات العابرة، التي ترد في ثنايا آثار من يدرسون تعبيراً عن رؤية كاملة، سبباً في إيقاع انطباعهم وإيقاع غيرهم في خطأ يشوه

## فرح انطون... والحساسية الرومانية

ونحن، انطلاقاً من هذين الشرطين، ندرج فرح انطون من غير تردد ضمن حساسية جديدة ظهرت في بداية القرن. في مصر خاصة، يمكن أن نسميها الحساسية الرومانية، ولتفهم من الرومانية ظاهرة كلية لسن ذات الإنسان جميعها وليس مختلف ما تتعامل معه هذه الذات ولا تنعصر على ما يؤيد الباطن إن يحصرها فيه من شعر وأديب والرومانية كظاهرة كلية تعبر عن تروء على كل أشكال التطلب وعن خلق فردي يبلغ أقصى مدى في التضخم، خاصة عند متلقي الأقليات. وإذا كانت الرومانية قد خلفها بعض المعاني الجافة الاستهجانية فقد يكون مرءً ذلك إلى تأثير بعض منتقلي البارزون، في حين أن في الرومانيين من كانوا مثمرين سياسيين من الدرجة الأولى ومناخين من أجل قضايا تتجاوز حدود ذاتهم الضيقة. ونحن نحتاج في بلادنا العربية إلى دراسات جديدة حول هذه المسألة حتى لا نضع كل الرومانيين في «سلة واحدة»، كما نحتاج أساساً إلى التفريق بين الرومانيين المسلمين وغير المسلمين لتفريق مجال مطالب التغيير عند الأوائل والساعيا عند الآخرين حتى لا نضع كذلك في سلة واحدة وفرح انطون «النازلي» مثلاً.

لقد كانت مصر في بدايات القرن العشرين في حالة مخاض أساسي لأنه من

نوع جديد. فالأزمات أصبحت أمراً عادياً حتى أصبح المرء يخرج من تعداده، غير أن بدايات القرن شهدت شعوراً متنامياً بالفردي وبراغماتها الوطنية، أي المصرية ولا يهم هنا التصنيفات السياسية أو المواقف الأيديولوجية من الأشخاص بلقر ما تهم النظرية الموضوعية للأشياء، فلفظي السيد (أوالمريضة)، الذي يعده البعض منبئة الانقطاع والانتكيز ويؤاخذ البعض الآخر على أصوله الإقطاعية، سيكون له دور في التحديث الفكري قل أن شابه دور كثير من اللاتقيين، فهذا سلامة موسى القبطي (أي المنصلي إلى أقلية) والتشويحي في فترة لاحقة يقول عنه وعن ساميين آخرين أقاموا مصر في «ترتبه» (ترجمته الذاتية) وقد كان هؤلاء الثلاثة يحقوب صروف وفرح انطون ولطفي السيد من الثبات التي صاغت شخصيتي الثقافية الدينية، فإن الأول وجهي إلى طريق العلم والثاني بسط لي الأفق الأوروبية للأديب والثالث جعل من المستطاع لي، بومف في غير مسلم، أن أكون وطنياً في مصر» (٤٩).

إنه لا يوجد في الطاهر ما يجمع بين الأربعة الذين ذكرنا: واحد إقطاعي مسلم هو لطفي السيد، ورجل ينتمي إلى ما يمكن أن يدخل ضمن الطيف الوسطي القبطي هو سلامة موسى، وسيمحان واحد غلبت عليه النزعة العلمية هو صروف، وآخر النزعة الرومانية هو فرح انطون ولكن من يتخفق في عمل الجماعة وتغيرها يثر على غطاء اللقاء بتسرده الروح الجديدة التي بدأت

تشهدها مصر في تلك الفترة. وهي روح إنسانها العقلانية وثقلها أملياً لا تكل شيئاً كثيراً في بحر الحاشية السائرة أو الملقاة لأنها كانت في شبه غربة عن العدد الفلاحي الجاهل وعن الطبقات الشعبية الأخرى. لورد هذا الكلام حتى تقطع مع عادة قديمة أصبحت تقليداً عند البعض منا وهي تركيز الاهتمام، مثلاً، على ما أحاطته ظروف تلك الفترة نيابة عن الوطنية وإحالة أن رؤيته للأشياء تنصب في كل ما يطر بالوطنية ينشأها العنق. ونحن على الأقل نل تحكم مثلاً على فكر لطفي السيد في تلك الفترة قديم، كما يفعل البعض، صفها في بحارة إقليمية، إذ أن تلك المرحلة هي مرحلة تحرر وهي الحلقة الأكثر ساعاً في مجال القومية الناشئة. ويمكن أن نجد لها تعبيراً في شعر الشعراء، وفي نقد النقاد وفي قطاع الراسمالين الناشئين (طلعت حرب) وفي دعوة محمسة للفصل بين الدين والدولة حتى عند بعض النشيين (لطفي السيد).

غير أن الملاحظة الثانية ذات الأهمية التي لا بد من إبدائها فيما يتعلق بهذه الفترة هي غياب الاتصالات المعالية تبعاً للسياسة الاقتصادية الإنجليزية المتبعة. ولشبه غياب الصناعة، فغالب تبعاً لذلك الانهماك الفكري عند المثقفين بما يسمى به «السألة الاجتماعية» يقول سليمان محمد الخطيبي في كتابه «المركبة المعالية» في مصر وموقف الصناعة والسلطان المصرية منها من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٥٢: «كان أول خبر لإضراب عمالي عثرنا عليه في الصحف

المصرية هو إضراب عمال شركة البواخر الهندية التي نشرته الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٨٨٩... كذلك وقع إضراب عمال المركبات (الحوايين) بالاسكندرية يوم ٩ فبراير ١٩٠٦ بسبب فرض ضرائب جديدة على المحول التي كانت مستخلصة من جرّ عربات الركوب من قبل بلدية الاسكندرية بقصد جمع مائة وخمسين ألف جنيه في العام لإنشاء ملعب للجوقات الأوربية. هذا المحول العمالي لا يبره الوضع الاقتصادي الذي كان سيئاً ولا وضع أغلبية المصريين فيه يقول نفس الكاتب، وقد ذكرت الصحف المصرية الصادرة وقتئذ أن أسعار حاجيات المعيشة ارتفعت ارتفاعاً كبيراً بالرغم من قلة الأجيور، ونشرت الأهرام بتاريخ ٦٠ يناير ١٩١٠ أن أسعار حاجيات المعيشة زادت زيادة مطردة... الخ الخ.

### انحياز وأع لرجال العلم والعمال

ومع ذلك، ومنذ سنة ١٩٠٣ نشر فرح انطون قصته «الدين والعلم والمال» وطرّح فيها من القضايا ما يعينه اليوم من مثلاً قضية حياد الدولة في السألة الدينية. ● اعتبار المسألة الاقتصادية أساس كل المسائل الأخرى. ● التناول حول الحل الأفضل: الحرية الاقتصادية المطلقة أم تلك العمال ومساكن الانتاج أم اعتماد القطاع العمومي أساساً اقتصادياً للتنمية.

## ● تحالف المثقفين (اليساريين) مع الطبقة العاملة.

● تحالف رجال الدين ورجال الأعمال. ● استعمال الدين مطية لأغراض سياسية. ● تكثير رجال الدين للعلمانيين. ● اتفاق رجال الدين ورجال الأعمال على ضرورة بحارة «النظريات الهدامة» ● انقسام المثقفين إلى ما يسمى اليوم بأقصى اليسار وباليمين إلى الخ الخ... كل ذلك أوردته فرح انطون واضحاً ومفصلاً وعلى صورة ما يشبه المرافعات القضائية التي تشي بوقوف مناصر لرجال العلم وللعمال راضين لمفاهيم رجال الدين ورجال الأعمال رغم أن كل الظروف الموضوعية السائدة إذ ذاك في مصر (حتى لا نتحدث عن بقية البلدان العربية) لا تفرض ميداناً بلحاح طرح مثل هذه القضايا، فهل نحن إزاء تائر بعض بقضايا عالم غير عربي أم أن وراء ذلك معاناة حقيقية، وما هي أسباب هذه المعاناة التي لا تبدو واضحة الأسباب على الأقل فيما يتصل بالصراع الاجتماعي الذي رأينا غفرة ؟

لقد بدا لي بعد قراءة متكررة لما كتب أونيس المكرة في نقدته الثري للقسعة أن انتفاء الأسباب المحلية المباشرة والواضحة لكثافة قصة طرح أساساً قضية «السألة الاجتماعية» يدفع إلى التساؤل: أليس قصد الكاتب فرح انطون الأخير هو التعبير عن رفض مزيج لوانع الحضارتين العربية والإسلامية والحضارة الغربية في شكلها

الراسمالي جبراً، انطلاقاً من نظرة عقلانية مشوبة بروحانية وطوباوية رومانية ليست غريبة على الرومانيين، لا الدعوة إلى مثال غربي يكون موضع اقتداء ؟

ذلك أن فرح انطون يبدو من خلال هذه القصة على مستوى عالٍ من الثقافة فهو على اطلاع غريب، مقارنة بعصره، على المذاهب الغربية بدءاً بالليبرالية وصولاً للماركسية، وعلى اللذاهب الفلسفية كالوضعية وما شابهها، ولكن قارئة يخرج بافتتاح كامل بأنه يتجاوز كل هذه المذاهب ولا يذوب في واحد منها.

ومن هنا يكون التركيز الشديد على تحليل أحوال أبطاله المصريين عن هذه المذاهب وهو المنهج الذي نجهه أدونيس المكرة في مقفته الثرية وغير القضاة وسيلة تدل على سعة ثقافة فرح انطون ولكنها لا تحدد نهائياً ملامح فلسفته.

إن الرجل كتب ما سماه رواية وكان عازفاً بأنه لا يكتب رواية إذ يقول «يوقد سيمياء [أي هذا الكتاب] هنا (رواية) على سبيل التساهل لأنه عبارة عن بحث فلسفي اجتماعي في علاقة المال والعلم والدين وهو ما يسمونه في أوروبا به «السألة الاجتماعية» ص (٤٤).

والرجل تناول المسألة الاجتماعية، وهو يعرف أنها غير مطروقة في مصر إذ يقول: «دورنا قبل أن هذا الموضوع غير لائق بنا كل القصور لأن المسألة الاجتماعية لا تزال صغيرة عندنا بما الدافع الحقيقي للكثافة في الموضوع إذن ؟ إنه ما ذكرنا من تعلق فرح

انطون بحضارة حية تقدم على عقل فاراجة روحانية تتمايل على التبعان المرحلة سواء كانت مادية أو دينية يقول صمراً عن هذا التداد: «كان الشاب الذي ألقى على عتبه الشيخ تلك الأسئلة في نحو الثلاثين من العمر (نفس عمر انطون عندما كتب الرواية) وقد جاء سائماً لشاهدة هذه المدن الثلاث التي سمع بها من بلد، وكان رجلاً قد درس علوم المتقدمين والمتأخرين، ووقف على المبادئ القديمة والحديثة، وصار يطلب حاله بينها على غير فائتة، فلا المديتات القديمة كانت تعجبه لأن حقوق الضعفاء كانت مهضومة فيها، وبتأنها قائم على القوة والعدل، ولا المديتات الحديثة كانت أرضيه لأنها جعلت الحياة عراكاً وجهاداً عظيماً بين الناس» (٤٤).

إن الرواية كلها يمكن أن نغزّل في الشاهد الذي أنشأ والذي يمكن أن نوضحه أكثر بتلخيص للفصل الأول وهو بحران «علم والمال» الثلاث التي كان يجمع اليها الناس، يبدأ هذا الفصل بحلول الراوي حليم (وهو فرح انطون) يدخل المدن الثلاث «التي كان يحسها الناس جنة الله في أرضه» ص (٤٦) مدفوعاً بحب الاخلاص، فإني جئت من أقاصي البلاد لأشاهد المدن الثلاث التي سار بذكرها الركان ورياً استغرقت إقامتي عندهم كسراً على الأقل، لأنني سأزورها واحدة واحدة وأبحث في شؤونها بحث مؤرخ دارس. لا بحث متفرج» ص (٤٦). إن هذه المدن الثلاث كانت بادية لأشرف تمل في تصور الراوي الدليل التالي

عن وضع البلاد العربية، شأنه في ذلك شأن الكثير من المثقفين العرب الذين اجتنبهم الحضارة الغربية عن سماع، فزاروها واستقصوا أسباب تشوها رقيها، ولذلك لرى الراوي يسأل بحمته بالحاج «هل عرف يا عم تاريخ تأسيس هذه المدن بالتدقيق؟» ص (٤٦). وقصه تأسيس هذه المدن في حد ذاتها تفصيل إبعاء ورمية خطيرة، فهذه المدن لم يأسسها خليفة ولا فاتح وأما أسسها وفي فقره يتم بتحول في المدن، يطلب عملاً، فتدق في حياء كل أنواع الفسادية ص (٤٧)، ولذلك كان همه أول ما أترى وجع مالا طائلاً أن يقوم بتسروع كانت تحدد نفسه في منذ صباه، فإنه في ذات يوم، أعلن في البلاد كلها إعلاناً غريباً الصفة في التسارع وقرقه في الناس وبغتره في الطرق والأسواق، وبحصل هذا الإعلان أن كل قن وكل فضاء يتحولان في التسارع بلا شغل ولا رزي واسع إذا قصده فأنه يحطها شغل ورزقا واحداً فلم يرض على هذا الإعلان أسوع واحد حتى بلغ عدد البتائن الذين قصده ٣٢٤٥. وبعد الفتيان ٣٢٤٥. فاشترى الشيخ سليمان هذا السهل الواسع (...) ومساحته ٥٠٠٠ فدان، وأسكن أولئك الفتيان فيه، وأحضر لهم زراعاً وصيداً يدرؤهم على الزراعة والصناعة وأقام منهم حكومة لهم، ومن هذه الحكومة قوانين، وجعل فيها قضاة وبيضا ورشياً أهل تيم أن ذلك كان مضحكاً في بدء الأمر، ولكن لم يلبث أن صار جدماً قهراً. فها أولئك الفتيان والفتيات الفقراء الذين اجتمعوا من كل



الجهات انتظروا هذه العاملة من حالة إلى حالة (ص ١٧) فإنه لم ير على هؤلاء الأولاد نحو ستة من الزمان حتى صاروا يشعرون بالتيعة التي عليهم، ولذلك صاروا يراهنون الحدود في سلوكهم. ومن هذا اليوم يبدأ تاريخ يهودهم من عرتهم (ص ١٨).

ان من يقرأ قصة تأسيس هذه المدينة يحس برومانسية عميقة تهيمن على إحساس فرح أنطون كما يحس به «روبو» جاشوا في كل شأنا القصة، إننا نراه الإنسان الحير فطرة لو الإنسان القادر على استعادة توازنه المفقود.

«إن أجداد سكان هذه المدن الثلاث كانوا من فضلات الأرقعة والشوارع ! فقال [الشيخ]: نعم يا بني، ولكن تذكر أن الورد لا ينبت إلا من الشوك والترجيب. لا يخرج إلا من بصله (ص ١٨). ان شرط وحدة الإنسان عندئذ ان تتغير عوامل مجرته وهي كثيرة منها المال ومنها العلم ومنها الدين (قال الشيخ).

«على اثنين سكان هذه القرية، كانوا يؤمنوا انهم سكان هذه المدن الثلاث على العينة التي عاشها أجدادهم أولئك الفتيان العاملون، لأن في ذلك راحتنا من الاضطرابات والفن التي غام قائلها بين السكان في الأرملة الأخيرة. فأولئك الفتيان كان لا هم لهم غير زراعة أرضهم واتقان مصنوعاتهم والعينة بسلام بعضهم مع بعض. أما اصحابنا هؤلاء فإن دأبهم الزراعة والمصام. فقم الأباء ولكن بس ما ولدوا فقال الشاب، وما سبب نزاعهم وخصامهم ؟ فقال

الشيخ: أنت ترى يا بني ان هذه المدن الثلاث قاجداها تدعى مدينة المال لأن أهلها كلهم يشتغلون بجمع المال، والثانية تدعى مدينة العلم لأن أهلها كلهم يشتغلون بالعلم، والثالثة تدعى مدينة الدين لأن أهلها كلهم منقطعون إلى الدين.

هكذا تبدو «مدينة الانسان» أرضية روسوية قوامها بساطة يعيش البشر أي تزامن فترة الانسان الطبيعي وتزامن فترة توحدهم الانسان كما يبدو «صحيح الانسان» مرادفاً لمجروحه من عالم البساطة والتوحد إلى عالم التعقيد والتجزؤ. وهكذا يبدو المال والعلم والدين من

عوامل سقوط الانسان. ان فرح أنطون يبدو مجزأ بين عالين: هو يريد من عالم (...) يشوه الإنسان ويطمس مبادئه الأصلية ولكنه عالم التشاة والنمو ليرسو فكرياً في عالم منقطع في مبادئه عالم المنشأ غير أن ما يحوزه هو التوحد فكان أنطون مقطوع بين عالم ميت وعالم حية. ونحن لا نعتقد ان فلسفة كلنسفة روسو التي تشربها أنطون يمكن ان تفرد إلى أكثر من الإغراق في الحيرة لأنها تركز على ما يجب ان يكون في ذاتية مفردة، فهي اتهام للتطور الرأسمالي من دون أن تكون فلسفة محافظة وتلك قيمتها الأساسية.

يوصل الشيخ: «وقد حدث هذا الانقسام على ما نرى منذ زمن بعيد. فإن أولئك الفتيان والفتيات الذين أنشأوا هذه الجمهورية الصغيرة، بعد اشتغالهم بزراعة الأرض وإتقان المصنوعات، أصابوا نصيباً من الثروة والسعة. فلما تزوجوا وتكاثروا جاء ابتلاؤهم أرقى منهم وأكثر ميلاً إلى

الفتور: النفسية، فكيف بعضهم على التجارة، وبعضهم على العلم، وبعضهم على الأدب، وبعضهم على الدين - كل حسب استعداد نفسه وقابليتها. فلم ير زمن طويل حتى قام النزاع بينهم على ساق وقدم قارأتى بعض منهم. زيادة في توسيع العينة على السكان ان ينشأوا (ص ١٨) بلدين آخرين قريبين من البلدة الأصلية، ثم رغبة في حصر النزاع في مكان واحد أو منعاً للنزاع، قرروا ان تسكن كل طبقة في بلدة. فطبقة المال تسكن في البلدة الشرقية، وطبقة العلم في البلدة الغربية، وطبقة الدين في البلدة الجنوبية. ولكن هذا التدبير قد نجح سدى بلا جدوى، لأن النزاع ما زال قائماً بينهم (١٩). يكن اعتبار هذا الفصل الذي لخصنا اختزالاً للرواية كلها (عشرة فصول). أذ هو

يحل عن بلوغ التناقض في المجتمع أشد، ذلك اننا نحسنا مفهوم التطور عند فرح أنطون في هذا الفصل الذي يستحضر نشوء المدينة (الحالة المثالية) وظهورها (بداية الانقسام الطبقي) وما يشع بداية افتراضها. ونلاحظ من الآن أن الفصل الأخير قد عنوانه الكاتب به «تحالف الأرض والسما» على تاركى مبدأ الرق والإعلاء وفيه يصف حرق المدينة نتيجة استمرار كل من الرأسماليين والعاملين على مفاهيم التناقض ورفض الحلول التوفيقية والسؤال هنا هو: لم وقف فرح أنطون هذا الوقت المند بكل أطراف النزاع في القضية الاجتماعية ؟ انه لا بد من ان تذكر تاريخ التأليف (١٩٠٣)، فلذا اعتبرنا ان في موقفه الكاتب تشاكراً

كأساً فذلك مره إلى ضنور الحركة الشعبية من ناحية وإلى الطابع الرومانسي لتفكير أنطون من ناحية أخرى. ولذلك فغريته لا يمكن ان تنمو إلا على التشاكز هذا سمح الشاب ما حدث به الشيخ عن نزاع تلك المدن الثلاث أي الطبقات الثلاث سقط أمه وخاب ظنه (١٩)، فحنية الأمل قد حصلت إذن منذ نهاية الفصل الأول وقبل ان تطأ قدما الشاب أرض المدن الثلاث، إنه موقف المشاهد من بعيد. لا موقف من كان متلاً لاحد جوانب الصراع. وهذا الموقف يجعلنا على ما سبق ان ذكرناه من ان الواقع الاجتماعي العربي لم يعرف في بداية القرن الاصطفاء الكفيل بإظهار تيارات متصارعة تعتمد وعياً بالفرق الطبقة. فدافع المؤلف إذن هو دافع معرقي، تنقيسي.

وإن، وفي نهاية المطاف، ما الذي يمكن ان يحتفظ به الإنسان من فكر أنطون ؟ انه لا شك هذا التعلق بالعقل الذي يعمل من الانسان مدار كل شيء وغاية كل شيء. والعقل كما يفهمه أنطون هو الذي يقود إلى التوحد على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع. لذلك رفض موقف التقنين الراديكاليين وموقف رجس الأعمال الليبراليين وموقف رجال الدين المتصنين وحتى موقف العمال القوميين. بضرورة حكم الطبقة العاملة.

هذه هي رومانسية فرح أنطون، وما أصعب ان يكون الإنسان رومانساً رافضاً للقرولية في عصر سيمى بعصر محمد عبيد، ثم ان يمش فرح أنطون نتيجة رؤيته للأشياء

## دراسة

# «الزهرة» بين الخصب والحرب

● بقلم: سيد محمود القمني ●

لعل اجمل كواكب المجموعة الشمسية النجمة في رؤية الانسان القديم، كان هو ذاك الكوكب اللامع الذي غام ما يظهر مع مشرق الشمس ومغربها، بما حدا بالانسان القديم إلى الاهتمام بأمره ومراقبته، حتى أطلق عليه «كوكب الحسد» وكما نعتت الأشعار والأساطير بالقمم وباله فقد نعتت بالزهرة أيضاً، حتى حفت بها الأساطير من كل لون، ولم يكن يعظم ما يبالى. اذذاك، انه سيأتي اليوم الذي ينتزع فيه العلم الحديث عن مثل هذه الكواكب تلك الحالة العظمى من الجمال والتبجيل.

وقد كان للفراعنة، القدماء، وخاصة البابليين، باع واعتماد خاص بعلم الفلك، فصيرت دونه علوم الانسان في بقية الحضارات المعاصرة هي، ووصلت اكتشافاتهم إلى رصد ومعرفة أحوال خمسة من كواكب المجموعة الشمسية السيارة النجمة، هي (عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل)، ثم أضافوا إليها الثنتين الكبيرتين (الشمس والقمر) لتصبح سبعة<sup>(١)</sup>، ويصبح الرقم ٧ «ما يومها» رقماً مقدساً، حيث أنهم جمعوا بين علومهم وبين عقائدهم الدينية، حتى ان العباد كان دور عبادة وعظم، كما كانت في الوقت نفسه مراصد فلكية<sup>(٢)</sup>، وكانت المعبودات في هذه الدور هي أجرام السماء وأفلكتها، وعمل رأسها هذه الأجرام والكواكب السبعة.

ويبدو لنا بما جاء في اللوح الخامس من أسطورة الحق البابلية، وان النجوم هي صور الآلهة. هي رموزها<sup>(٣)</sup>، ان العقل البشري إبان تطوره ارتفع نحو مزيد من التجريد لأخته، فتمثل لها رموزاً في السماء، جاعلاً لكل إله من آلهة رمزاً يتنزل في نجم أو كوكب أو مجموعة أجرام، لكن اعظم هذه الآلهة شأناً تلك التي رمزوا لها بالمجموعة «٧» سالقة الذكر، ومن بين هذه السبعة القديسات كان لعبادة كوكب الزهرة بالذات مكان ومكانة، وأثر بعيد امتد في مده الرمكاني. حتى

ذلك كانت البذرة التي نكتشت عن شجر مورق في كثير من النشاطات الفكرية والادبية.

عن «صوت الوطن»  
مجلة الحزب الشيوعي الفلسطيني

صراعاً كان طرفه الثاني محمد عبده سبب معاناة هذا المسيحي الأرثوذكسي المشحور ولكنه لم يمنع من الإيمان بوجوب تغليب العقل على الشريعة إذا كانت لا توافق الشفق، انها الرومانسية الروسية أحياناً وحتى محاربة للتعبير أحياناً أخرى، ولكنها مع

دغل في سلب عقائده ما زال يعتقد الإنسان في قرنه العشرين.

#### الزهرة من الأرض إلى السماء

عندما كان العقل البشري لم يزال على مدارج بدائية الفكرة يدرج ضوءاً إلهياً مسرته الطبيعية. انتقل ببطء تدريجياً بسبب من عبادة تربة الأرض عرفاناً بما كأم رؤوم كبرى. ومن تعبير جنه في تربة. إلى فصل روح المحصورة عنها. وقتلتها في إلهة تخص يحمل روح المحصورة. بحيث لم تعد المحصورة تتركز في التربة وإنما في قوة كونيّة اختص هذا معروف. حينئذ العقل الرافدي القديم في إلهة آتني باعتبار الإخصاب والطماء والميلاد من خواص الأتني. لأن الأرض والأتني محور حياة الإنسان. لذا فقد أصبحت هذه الإلهة قوة أساسية وبحركتها كونيّة لأحداث العالم. ثم لما رمزاً في السماء هو كوكب الزهرة لما ميز من حسن وجهه. ومن ثم تحول نحو السماء عابداً ليرد سجود على الأرض يرفع يده نحو السماء. تاركاً رسومها فيما تركه من آثار راقدة (على هيئة نجمة ذات ثمانية إشعاعات) وأحياناً ستة عشر شعاعاً<sup>(١٤٤)</sup>.

وفي مدينة الوركاء السومرية نشأت عبادة كوكب الزهرة وقتئذ. حيث أطلق عليها اللسان السومري وإينانا الذي يعني «سيدتنا»<sup>(١٤٥)</sup>. ففي اللسان السومري «إنه تعني سيدته. وأنه تعني السماء. ويدخل الساميين إلى الرافدين وتأسس الدولة الأكادية تحول اسمها من «إينانا» إلى «عشتار».

وما لا شك فيه أن عبادة «الربة الألهة» من أقدم العبادات. لأن عملية التوالد الطبيعية - في نظر الإنسان القديم - كانت من خصائص المرأة وعندها<sup>(١٤٦)</sup>. ولما كان التناسل من الأسرار الغريبة. فقد شخصت هذه الإلهة في البداية بتربة الأرض. نظراً لأن إخصاب التربة ليس سوى نوع من الميلاد المتجدد للمحصول. ولتفسير دورة الحياة النباتية ما بين الحصب والجذب حسب التنوع الفصلي. فقد خلطت يد الإنسان أول ملحمة في التاريخ مع إلهة الحصب. هي إلهة الحصب (هيوط) إينانا إلى العالم السفلي الذي أعاد البابليون صياغتها في ملحمة هيوط عشتار إلى العالم الأسفل. وفي هذا الزمان الجديد. لم يكن الإنسان قد وصل بعد إلى اختراع فكرة عالم آخر فيه بحث ثواب أو عقاب. ترغيباً وترهباً. وكل ما استطاع عقله أن يصل إليه حول مصير الموت أتهم يحطون إلى عالم أسفل سطح الأرض. لا فري في ذلك بين صالح وطالح. أطلقوا عليه اسم «أور» أو «أرالو». وقد تصوره عالمًا موحشاً رهيباً. ملتبس بكل المفزعات وحوش وأفاع وحيات. يعيش فيه الميت على الرغام والطين. ولا فكاك من هذا المصير البقي لأي ميت أباً كانت مكانته<sup>(١٤٧)</sup>.

وتقول الملحمة أن إلهة الحصب «إينانا» أو «عشتار» والزهرة. قد قامت بتضحية اختيارية وذلك بتزويها إلى عالم الموت السفلي. وبما جاء عن عالم الأحياء - وهي روح المحصورة - جفت الأرض. وتوقف التساقط. وتعلقت الطماء النباتي والحيواني. وكل مظاهر الحياة المتجددة على الأرض.

الزهر. وتوقف التساقط. وتعلقت الطماء النباتي والحيواني. وكل مظاهر الحياة المتجددة على الأرض.

لتفسير الأسطورة الدراماتيكية استندت أن يوضع لبعوثها شرطاً. فتل في ضرورة حلول بديل

معلها. وتصل الدراما التراجيدية إلى ذروتها عندما تتجسداً ترشد زبانية العالم السفلي إلى عتيفها المفضل فلوته - صاحب الشهر المعروف باسمه في التفرير حتى الآن - يأخذهم معهم بدلاً. نظير الإفراج عنها. برغم ما كان بينها من قصص غرام وهيام مشبعة بالمثل الجنسي. ثم سرعها بالأسلوب الصريح المكتشف. بوضوح وبساطة ومناجاة شديدة. تعبيراً عن الاعتقاد في مسألة الحصب وأهيتها<sup>(١٤٨)</sup>. أما مدخل العالم السفلي الرهيب. فكان في بابل ذاتها. وبالتحديد في فتحة بئر تقع في مدينة الوركاء نفسها. حسبما جاء في ملحمة راقدة أخرى هي ملحمة جلجامش<sup>(١٤٩)</sup>.

#### الزهرة ربة الحب والحرب

مع بدء ظهور الآشوريين على صفحة التاريخ. وتكون الدولة الإمبراطورية الآشورية. لم تعد الزهرة ربة اللذة والحب الشهووي فقط. وإنما أصبحت أيضاً ربة حرب طوك. لذا ما أخذنا بالحسبان طبيعة الشعب الآشوري. وهو شعب محارب بطرته. لم يشهد العالم القديم مثيلاً له في القوة. وقد وجد الآشوريون لطيمهم واعتقادهم الجديد سداً في طبيعة الزهرة ذاتها. فهي تظهر اليوم مرتين: صياحاً مع الشرور وسماء مع الغروب. ومن هنا «عاشروها إلهة الحب واللذة حين تكون إلهة السلام. ولكنها إلهة الحرب والقتل حين تكون إلهة الصياح»<sup>(١٥٠)</sup>. حتى لقبوها بلقب «سيدتنا الغريبة» فأصبحت مع بادية العهد الآشوري سيدتنا الحرب إلى جوار كونها سيدتنا السماء وربة اللذة.

ويؤكد د. فاضل عبد الواحد. «أن فترة سيادة الآشوريين كانت من دون شك من أشهر الفترات التي بلغت فيها الإلهة عشتار منزلة عظيمة باعتبارها إلهة للحرب»<sup>(١٥١)</sup>. ويضيف د. نجيب ميخائيل أنها عشتار. «.. كاله ذكر في الصبح يشرق على الحروب والمذابح. وأتني في السماء ترمي الحب والشهوة. فهي وبعلوك تسمى وراء اللذة والإغواء»<sup>(١٥٢)</sup>. وبالحب الجسدي هي عشتار. هي عزة المشقة وهي مملكة اللذة وهي «التي لعبت للذة والفرح. وترتبط عبادتها بالمعاهد المقدسات المعروفة باسم عشتاريت أي العشتاريات. ولا يخصص البشير جدهم لزوجاتها بل الحيوان كذلك. ولقد استطاعت أن تطغى على اختصاصات غيرها في المعبودات في سومر. وأكد وأثور. وهي زوجة لكبار الألهة»<sup>(١٥٣)</sup>.

ويصر د. ميخائيل مسألة المعبر أو البقاء المقدس. التي رافقت عبادة الزهرة بولها. فكانت عبادة عشتار تطلق طبقة أخرى من النساء حول هيكلها بنشر أنفسهن لمطامير زناها. ومن ثم يطلق عليهن اسم عشتاريون وهن بنات الهوى - (المرفيات). وهناك كذلك طبقة اللذونات. وهن من يقدمهن ساداتهن أو أبائهن نذراً للعبة للعبة فيه<sup>(١٥٤)</sup>. ولول من الواضح البين أن هذا الطقس الذي لعبه أعرافنا وأزواجنا اليوم. إنما رمزاً من رموز الحصب. يؤكد أهمية الجنس لإدامة الحياة وخلق مظاهرها المختلفة. وقد بقي هذا الطقس إلى عهد متأخر. فقد أسهب في ذكره المؤرخ اليوناني الرحالة هيرودت حوالي العام ٥٠٠ ق.م.

وتجد لدى الباحث قراس السواح تفسيراً أوضح وأكثر قرباً من واقع عقلية هذه المصور

وذلك عند عماروز المرأة لسن اليأس. ومن هنا فإن عشتار. وهي رمز الإخصاب. لا يمكن أن تكون عشتاراً إلا عند الجنى للكلية. أي الخصبة أبداً. الفترة من الحيض المالح للحيات<sup>(١٥٥)</sup>. ومن الجدير بالذكر. أن العذراء كلمة سامية مشتركة في مختلف اللغات السامية. فخطوطها الأكادية في الرافدين هو «بنتلته». وفي الأوغاريتية الكنعانية «بنتلته» أيضاً. وفي الأرامية «بنتلته» وفي العبرية «بنتلته». وفي العربية «بنتلته»<sup>(١٥٦)</sup>.

#### الزهرة معبودة الجماهير

دفع الفتحوات البابلية والآشورية لبلاد شرفي المتوسط. رحلت الزهرة مع الرافدين تفرض عبادتها على القلوب. ففي كنعان حطت رحالها باسم «عشتار» - باللسان الكنعاني - أو «إينانا» يعني الأوتة وما ينطوي عليه. وفي فينيقية شمالاً ظلت باسمها الآشوري «إيسار» ومن هناك عبرت البحر مع التجارة الفينيقية إلى اليونان. حيث أصبحت هناك أتيانا أو أفروديت. بل إنها وصلت روما لتعيد هناك تحت الاسم «فيونيس»<sup>(١٥٧)</sup>. وقد كان الفضل في انتشارها بالقارة الأوروبية إنما يعود في المقام الأول إلى أهل الساحل الليتاني الفينيقيين. الذين تكوّنوا من السيطرة على البحر. كما كانوا شعباً تجارياً من الطراز الأول. حتى إن لكتهم البحري والتجاري ما يزال بعد أعجوبة ومثلاً تاريخياً نابراً. ولم يقتصر توسعها على الغرب فقط. وإنما اتجهت أيضاً نحو الشرق حيث عيلام وإيران القديمة لتعرف هناك باسم «سيدة عيلام» التي تسكن سوسة عاصمة عيلام<sup>(١٥٨)</sup>. ولم يسلم من قنيتها أي من شعوب المنطقة حتى من بينهم المؤرخون بالفوجين. أقصد الشعب العبري أو اليهودي. قد وقعوا أسرى فتنة الزهرة فعبدها ومارسوا طقوسها الرافدية ذاتها. ومن الجدير بالذكر. في هذا المقام. الإشارة إلى أن عبادة الزهرة اشتملت على طقوس متعددة. أبرزها طقس موسمي للرباء على الإله لوز التنس والنواح عليه. ليته في العالم السفلي بعد أن أسلمته عشتار للزبانية بدلاً عنها. وهذا الطقس بالذات يرويه ألبا التي اليهودي حزقيال في سفره بالكتاب المقدس. حيث يقول: «أه قد شاهدت من بين اليهود عند ... مدخل بيت الرب. نسوة جالسات يتكبن على نوز. وإذا عند باب الهيكل بين الرقاق والمذبح. نحو خمسة وعشرين رجلاً. ظهورهم نحو الهيكل ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون»<sup>(١٥٩)</sup>.

كما أن سفر نشيد الإنشاد. للشوب للشي سليمان. لا ينسب بأية صفة دينية. ولا يمت للمعتقدات العبرية بصلته. كما لا تنسب عهدها أصلاً مع طبيعة الكتاب المقدس. فهو أباتشيد غزلية مكتشفة تماماً تتضغ بالتأثيرات الجنسية. وتدور كمحور بين عشيق وعشيقة. يصف فيها العاشق مغان عشيقته وافتدائها الجنسي. وهو بالكتابة مع طقس عشتار (الزهرة الرافدية) الشيب - والزواج القنسي - بين الكاهنة الكبرى للعبادة المقدسات. وهو الملك الذي كان يعد كثيراً للكهنة في الوقت نفسه. لتعرض القوى الإخصابية على الطماء. نجد نشيد الإنشاد يكاد يكون نسخة منقولة. خاصة وأن ألفي العاشق في الأباتشيد يمت بكلمات. ملك - راج. وما من تعرت لوز في الرواية الرافدية. والفتاة في الأباتشيد توصف مرة بأنها زوجة مرة وبكوتها اختاً. وما

الغائرة. فيقول في معرض حديثه عن الألهة الأم الكبرى. أو إلهة الجنس كمعبدة عامة عرفتها أغلبية شعوب العالم القديم. وهذه الألهة إما أنها مخصصة ذاتياً دوناً حاجلة لقوة خرافية. كما هو الأمر في الشينلوجيا اليونانية حيث أنجبت الأرض «بيها إلهة جديراً» يا هو «أورونوس» الذي غطاهما تماماً من جميع جهاتها. أو أنها بمثابة لقنين ساعداً على الإنجاب. وهذا الدور يلعبه إله السماء نفسه. حيث يقوم الإلهام بفعل القرن الأول. الذي يلقبه الأحياء منذ تلك الأيام. «أنا السماء وأنت الأرض. هذا ما عيسى به العريس المندوس ليلة زواجه في أذن عروسه. هذا السبب فقد رافقت في أحيان كثيرة طقوس واحتفالات الإلهة الأم ممارسات الجنس الجماعي. التي من شأنه في هذه المناسبة القنسية تعرض القوى الإخصابية الكامنة في الأرض. اعتماداً مبدأ الشتر التشاكلي حيث الشيب ينتج الشيب»<sup>(١٦٠)</sup>.

ونظن أن مسألة اللذونات. قد جاءت في مرحلة متأخرة نسبياً وأكثر ارتفاعاً كنوع من الشخصنة الكهنوتية. بعد أن كانت هذه العبادة الداعرة. مسألة عامة ومتشعبة بشكل وبائي حاد لدى عباد الزهرة. حتى اعتقد أن أفضل قربان يقدم للزهرة هو بكارة الأتني. وفي هذا يقول ول ديبرانت. «.. بل تكن التضحية بالكبارة في الهائل عملاً يتقرب به إلى عشتروت وحسب. بل كان فوق ذلك مشاركة لها في التهلكة. الذي يرجي منه أن يوحى إلى الأرض إلهاماً قوياً لا تستطيع مقاومتها. وأن يضمن تكاثر النبات والحيوان والإنسان»<sup>(١٦١)</sup>. ويرى د. أنيس فريضة أن هذا البلاء الذي وصل حد جميع النساء أجسادهن في أيام معبودات وشراء ذبايح لعشتروت بأجورهن. بقايا عادات قديمة سابقة للتاريخ. عندما لم يكن هناك زواج بالمعنى الذي نفقه الآن. بل عندما كان الزواج اجتماعياً مشتركاً. النساء للرجال والرجال للنساء في القليلة الواحدة<sup>(١٦٢)</sup>.

ورغم كل هذا الشيق الهاد الذي تميزت به إلهة كوكب الزهرة. ومع كل قصص فرامها. وتعدد عشاقها وفنكها المشعر بولاء العشاق كما حدث مع تيز - كما لو كانت بقاء من غريزة حيوانية في اللاشعور الإنساني لسابقه كانت الأتني لتفتك فيها بالذكور بعد الجماع. كما نجد في بعض الكائنات الحية اليوم - رغم كل ذلك نجد -.. عيادتها كثيراً ما كانوا يعاطفونها بقولهم: العذراء المقدسة. الأم الغدرة<sup>(١٦٣)</sup>. ويعلق السواح على ذلك بقوله «والعذراء لها. والعذرة جوعها. رغم أنها ترمز للنسب والحب والإخصاب فهذا الجوهر لا يبيده لقاء عابر ولا حل ولا ولادة. وتبقى عذريتها رغم إخصابها الأبدى الذي لا يسه عرض زائل. ولعشتار عشاق وأزواج أشهرهم فوز التنس»<sup>(١٦٤)</sup>.

ويلهم جوم م. الديكار تفسيراً لهذا التناقض الغريب في شخصية الزهرة بولها: «إن خلق الجنين في الرحم. في اعتقاد القدماء. يعتمد على ثلاثة عناصر: الروح. دم الحيض. من الرجل. أما الروح فمن عند الله. والدم تقدمه المرأة والمثلي يقدمه الرجل. ولما كان دم الحيض عند الفترات الأخيرة منه بكثير لدى الزوجات. خاصة بعد الولد الأول. فقد اعتقد الآخرون أن مقدرة العذراء الإخصابية أكثر بكثير من غيرها. خصوصاً وأن انتهاء الحيض يعني عدم القدرة على الإنجاب»<sup>(١٦٥)</sup>.



صفحة الزهرة في أساطيرها الرافدية، ومن هذه الغزليات العبرية السليمانية تقطع بعض المقاطع مثل:

«ليقبل بقلات فعد.. لأن حبك أطيب من الحمر.. في الليل، على فراشي، طلبت من حبه نفسي.. شغاك يا عروسي نظران شهداء.. تحت لسانك عمل ولين.. دوائر فخذك مثل الحلبي.. سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب تزوج.. تنديك حشفة ترومي طيب.. وما أحلاك أبها الحبية بالقلات.. فاشتت هذه شبيبة بالخلقة.. وبذلك بالعنايد قلت لي أصدد إلى التلعة وأسك مزوقها.. ويكون عنديك كعنايد الكرم.. ورائحة أفك كالنفاخ»<sup>(١٢٤)</sup>

وقد أشار أكثر من باحث من ذوي الكاتبة العلمية إلى تسرب عبادة الزهرة وجفوسها إلى الديانة اليهودية، فيؤكد ولي ديورات إن المهر المقدس والشذوذات كانا طقساً يارس في هيكل بني إسرائيل<sup>(١٢٥)</sup>. كما تجد في الأعياد اليهودية نسخاً أخرى من أعياد الزهرة في صيغتها الكنعانية. وهناك لم يكن خلال السنة الواحدة ما يمكن اعتباره فصل عصب وجذب، لأن أغلبية الأراضي كانت تعتمد في ريعا على الأمطار والرياء الجوفية، ويشير جوردون إلى أنه لم يكن هناك شيء أبعد للربح في نفوس الكنعانيين عما أسموه بالسنوات الجفاف إذا تلاحقت، وقد جاء في الأساطير المكتشفة في أوغاريت أنها كانت تستمر سبع سنوات، يليها سنوات سبع أخرى كلها غمرات وهكذا دواليك<sup>(١٢٦)</sup>. ولنا أن نعلق هنا بأن الأمر لم يكن يسير في حقيقته على هذا المثال، إنا هو الحال الاسطوري المسيح بتقدس الرقم «٧»، وفي عن الإيضاح أن ما جاء في قصة يوسف بالكتاب المقدس، يشير إشارة واضحة إلى الأثر الكنعاني في العقائد اليهودية، ويقول موسكاتي «إن هذا الاعتقاد قد ترك أثره في عيد شابيوعوت اليهودي، وفقاً على قصة إله الحصب، كان يجب أن تستريح تربة الأرض سنة كل سبع سنوات تسمى سنة «السبت»، ولم يكن يذر أو يصد فيها شيء»<sup>(١٢٧)</sup>.

و «شابيوعوت» أو عيد الأسابيع كما يسمى في الكتاب المقدس<sup>(١٢٨)</sup>، هو عيد الحصاد عيد قيانة الزهرة للحياة، وعروة الحصب إلى الأرض. كذلك عيد الفصح، هو في أصله كما يؤكد لودز ليس سوى بقايا العبادة الرافدية القديمة<sup>(١٢٩)</sup>. وذلك بالنظر إلى أنه كان يحتفل به في مستهل الربيع، لأنه موسم إنتاج الأرض والثمانية فيما يقول سميت<sup>(١٣٠)</sup>، حتى أن اسم عيد الفصح سواء عند اليهود أو المسيحيين هو في الإنجليزية «إيستر»، وفي الألمانية «أوسترن»، وفي اللاتينية أو سناراً، وكما هو واضح في اللغتين أن الاسم ليس سوى تزييد مختلف للكلمات لاسم الإله «عشتار» ومن اليهودية يتفقا السواح إلى المسيحية حيث يقول: «ما الأهم الكبرى أو القوة الأعصابية الكبرى المتمثلة بالله الحب المبرر»، فقد حلت محلها السيدة مريم العذراء، التي دعت بسيدة السماء، وهو القليل الرئيسي للإله عشتار. وحتى وقت قريب كانت السيدة مريم تدعى في بعض المناطق الريفية في إيطاليا الجنوبية بـ «أفروديت» نسبة إلى أفروديت (وهو اسم الزهرة عند الرومان). كما كانت تماثيل الإله ديتز (اسم الزهرة عند اليونان) الباقية في بعض الحرات

الجنينة، تعيد على أنها السيدة مريم ذاتها<sup>(١٣١)</sup>.

والترتيب حقاً أننا إذا تبعنا اسم السيدة مريم مستجدة لقب كوكب الزهرة عند الرومان، فقد اعتبرها هؤلاء - تقلاً عن الفينيقين - إلهة للبحر، وكلاهما كان شياً بحرياً، وألقوا على إفروديت الزهرة اللب البحرية «سبيل ماري»<sup>(١٣٢)</sup> أي كوكب البحر، والبحر في اللاتينية واللغات المشتقة منها هو «مير» و«ماريا» و«ماري»، ويشير عيس العباد إلى أن الاسم مريم أو ماري كان اسماً عاماً يطلق على إلهات الحصب<sup>(١٣٣)</sup>. فهو في سوريا القديمة مبرهه وفي اليونان مبرهه وفي الهند ماري وجميعها كرى تبدأ بهم الأسماء التي تتألف من الألف في مختلف اللغات، وهو القليل نفسه الذي جازته الزهرة في الرافدية، حيث رمز الأسماء الأثير. فكانوا يتأدونها ماما أو كسا<sup>(١٣٤)</sup>، مع ملاحظة جانبية هي أن السيدة مريم قد تربت في بيئة يهودية متأثرة عاماً وشبيبة بأفكار وعقائد إلهات الحصب، بل أنها كانت إحدى التهورات للهيكلي وكان المعتقد - في تلك الأيام - أن التهور إذا حلت محلها يكون من الإله، وهو الاعتقاد فيما حدث لها بجلاء المسيح، ورغب أنها ألحيت المسيح، ومن بعده أنجبت عدداً آخر من إخوته فيما زعم الأناجيل<sup>(١٣٥)</sup>، فإنها ظلت بلقب الزهرة الشائع «البول العذراء».

#### الزهرة بين اليهود والعرب

ومن الرافدين إلى بلاد العرب انتقلت المعارف الفلكية وعلم التنجيم، حتى أننا نجد لدى العرب تسميات للروح والأجرام والكواكب، لم تزل أسلها العربية موصولاً بها حتى اليوم، ومع هذه المعارف الفلكية انتقلت أيضاً معرفة الأجرام والكواكب السبعة (الشمس، القمر، عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل). وبينما اعتبروا الشمس والقمر البزيرين الكبيرين، فقد عرفوا أن الكواكب الأخرى ليست كالشمس والقمر وإنما هي كواكب سائرة، لذلك أطلقوا على الكواكب الخمسة إسم «المسكن الكس»، والاسم «عش» يعود لتكوين لاسطرها تسير في التروج والمنازل الفلكية سير البزيرين الكبيرين، لكنها ترجع، وترجع هي «عش» أما «عش» فتعود لتكوينها تسير كما تسير الطياري في كيناسها بالجمال، وتسار الطياري هو «عش» الطياري، وهي تعابير تعكس طبيعة البيئة العربية وتتسق معها. ويقع الباحث محمود المحوت إلى احتمال أن يكون انتقال هذه العلوم إلى جزيرة العرب قد جاء به عن الصابئة، ومن المعروف أن صابئة الجزيرة كانوا ثلاثة للكلدانيين من أهل الرافدين، وقد انتهى بعض الباحثين مؤخراً إلى أن مذهب صابئة الجزيرة كان هو مذهب أهل الرافدين الكلدانيين القدماء عنه، مما يرجع هذا الاحتمال<sup>(١٣٦)</sup>. ويبدو أن الزهرة عندما انتقلت مع «المسكن الجوازي الكس» إلى جزيرة العرب، أخذت معها أيضاً صفاتها وخصائصها ولربما بعض طقوس عبادتها، وفي هذا يقول د. خليل أحمد مومن أبرز الكواكب التي حظيت بالاحتفالية الاسطورية عند العرب: الزهرة، وهي إلهة الجمال والحب التي

قدسها بعض العرب في البداية، ثم شملت غرب الشمال بأجمعهم، هذا وقد أطلق عليها التيمونون اسم السند الأصفر. وأضفى عليها العرب صفات مجتمعهم القبلي الترفيفية، كالطرب والتهور والسرور. كما اعتقدوا أنها تبع الغريزة الجنسية عند الضجاج بين الشاغلين من شدة الحب<sup>(١٣٧)</sup>. ويضيف، الجوزون أن العرب عبدا الزهرة وصاغوا حولها الأساطير، وأنها أسطورة تقول: «أنها كانت امرأة حسنة أغرت ملكين، وتعلمت منها الكلمة التي يصعدان بها في السماء، إلى حيث ارتقت ومسخت هناك كوكباً»<sup>(١٣٨)</sup>.

ويحتمل - فيما نرى - أن تكون قصتها مع الإله التنس غمز قد وصلت إلى الجزيرة، ولربما تكون قصة هذه الملكة هي تكرار أو صورة أخرى لما حدث مع لوز، خاصة إذا ما أخذنا بالحسبان أن الاسطورة العربية تنتهي باللاكين إلى النهاية الصمة نفسها، فبعد أن اغتواها الزهرة ونالت منها مستنها أدوت بها، فقد تكسا في بئر في بابل، وهو ما يشبه إلى حد كبير قصير لوز وزوزله من بئر في بلاد بابل إلى عالم الموتى السفلي، أما التفورات الطيفية التي لحقت بالأسطورة، فمن الممكن عزوها إلى عامل الزمن ومزوره في تطور المعتقدات، أما كون الاسطورة العربية تعتبر من وقع أسير فتنة الزهرة ملكاً (أو ملاكين)، وليس ألهاً كما هو حال لوز، فيعود فيما نعتقد إلى نزوع العقل البشري خلال هذه القرون الطويلة نحو التوحيد، كما نعتقد أنه كان للشعب العربي دور لا يغفل في هذا الأمر، فاليهود يزعمون أن أصلهم يعود إلى بلاد الرافدين القديمة حسب رواية سفر التكوين بالكتاب المقدس، وقد نقلوا - فيما يري معظم الباحثين - جل ألقا الرافدين معهم إلى فلسطين، وعلى رأسهم الإله الجبار إيل، وأضافوا إليها عدداً من الألقا الفرعونية والكنعانية، ويبدو أنه مع تفاعلهم نحو توحيد المذهب القومي «يهود» وتفضيله دون غيره، على بقية الألقا، عز عليهم أن يتركوا هذا المذهب القديم من الألقا باعتباره ثروة وتراثاً قوياً بدوره، فحولوها من ألقا إلى آتياع لإله القومي «يهود»، واعتبروها أقل منه شأنًا. لكن هذه الألقا العديدة ظلت تعمل الطابع الإلهي هو هو لم يتغير، فهي مثل الإله تورانية التكوين، وهي مثله خالدة، ولها قدرات كقدرته، ولها أجنحة كأجنحة ألقا الرافدين التي ما يزال بعض قائلها المجنة قائمة في العراق إلى اليوم، وبما أنها أصبحت تابعة لإله الأكبر أو من أملاكه، فقد أطلق عليها اللسان العربي - معيراً عن هذا المعنى - اسمها الجديد «الملك»، ولما كان الإله الجبار «إيل» هو من أعطى الألقا القديمة شأنًا لدى جميع الشعوب السامية الأصل، ولدى اليهود بوجه خاص، فقد أخذ وضعه اللاتين بـ «بين الألقا المساعدة أو الملكة»، فأصبح كبير الملكة، وسيدعاه باسمه القديم الإله الجبار «إيل» - «إيل» أو «جبريل»، وقد اختلقت الكلمة «جبر» بمعنى الجبروت والقوة في كل اللغات السامية، عن النطق الرافدي، بما في ذلك اللغة العربية<sup>(١٣٩)</sup>.

وقد ذهب بعض الباحثين مذهبنا هذا في تحول ألقا الرافدين إلى ملكة عند اليهود، ولكن في إشارات سريعة ولحاحات خاطفة دون تفصيل، متلًا جاء في قول ديورات: «د. ولعل اليهود قد صاغوا ملكاتهم من هذا الخشد العظيم من الألقا»<sup>(١٤٠)</sup>، وسيراً وراء تدعيم مذهبنا تناول صفحات

الكتاب المقدس فيطأنا سفر حزقيال برؤيا لطائفة من الملكة تسمى الكرويين، أو الكرويم، بعضها قالوا:

«... لكل منها أربعة أوجه، وجه إنسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر، ولكل منها أربعة أجنحة تحتها أيدي إنسان»<sup>(١٤١)</sup>، ويطلق د. السيد بكر على هذه الرؤيا بقوله: «وحزقيال متأثر في هذا الوصف ولا يرب يتماثل وصور الكائنات المجنة للجنة التي كانت تحرس معابد بابل وقصورها، والتي شهدنا حزقيال قطعاً أبان المنفى»<sup>(١٤٢)</sup>، ويؤكد ذلك أن سفر حزقيال إشارات مباشرة إلى الصور الحفورية على الجدران في بابل<sup>(١٤٣)</sup>. وتبعاً لهذا التطور تحولاً يصومح الألقا القديمة إلى آتياع لإله الأكبر الحاقق، فقد سار العرب على السنة نفسها، وقالوا إن ه ملكة يملكها، والصابئة العرب (وهو يعودون بأصلهم وخطيتهم إلى بابل) لها يزعم بعض الباحثين) كانوا يدينون للعبدة القديمة فيمبدون الملكة، وكانوا مع بقية العرب ينظرون إليها على أنها شفاعة إلى الله، وفي عن التعريف أن الإسلام قال أيضاً جده الكتابات والأسم صلاتكها واعتبرها كائنات تورانية مجيدة - د. جاعل الملكة رسلاً أولى استنعة متى وثلاث ورابع<sup>(١٤٤)</sup>، وعلى رأسها يلق جبريل سيداً، لأنه من طائفة الكرويين أو الكرويم وهم في «البحر» سادة الملكة<sup>(١٤٥)</sup>، وهم حلة العرض، وبما يرى أن النبي محمد (ص) قد ساقى على بيت الشعر من الشعر الجاهلي لأمية بن عبد اشصف فيه هذه الطائفة الملكة يقول: «رجل، ولوز، تحت يني رجله»<sup>(١٤٦)</sup>.

وجاء التصديق من النبي على هذا الوصف لجبريل وطائفة، في قره له عن ابن عباس: صدق أمية في قوله<sup>(١٤٧)</sup>.

#### الزهرة في بلاد العرب

أصبح من المسلم به أن العرب قبل الإسلام قد عرفوا عبادة كواكب الزهرة لكن المشكلة التي تواجهها الآن فيما بين أيدينا من مصادر تتضارب فيها الآراء هي: هل كان للزهرة علاقة بالربات الثلاث المعبودات في الجاهلية، الثلاث ومناة والزهرة؟ وإذا كانت هناك علاقة، فأي الربات الثلاث كانت لكوكب الزهرة؟

بعد فلهاوزن من بين أكثر المستشرقين اهتماماً بعقائد شبه الجزيرة، وكان له اهتمام خاص بالإلهة العربية «الزرى»، وهو ينقل عن المؤرخ الروماني بروكسوف المتوفى ٦٢٢م، أن «الزرى» العربية هي ذاتها الإلهة «أفروديت»، وأن ذلك قد ورد صراحة من قبل في قول مؤرخ سرياني مزين<sup>(١٤٨)</sup>، ولما كنا قد عرفنا أن أفروديت هو الاسم الروماني لربة الزهرة، فيكون مقصد فلهاوزن أن الزهرة هي الزرى العربية، ونظراً لما يتضح من هذا الرأي من وجاهة - في رأينا - فأننا بالتقصي يمكن أن نجد كثيراً مما يؤيد رأي فلهاوزن، واليك بعض ما وجدناه أو استنتجناه مما ورد

في المصادر من مؤيدات، سواء بطريق مباشر صريح أو بطريق غير مباشر أو مقصود ١ - جاء في قول إسحق الاطائكي (٥ ق ٥) أن العرب كانوا في هذا الوقت يسمون من تسمى «بنيس» وبنيس كما يقول أمير علي في معجمه (٤٢٨٠) هي الزهرة (فينوس في التطق اليوناني). وهي عند تحمل أيضاً اسم «الزهرى» ولا يفرقنا هنا الإشارة إلى احتمال أن يكون لـ «بنيس» علاقة إما جاء في الأساطير ضمن تسمى الملكة «بنيس»، خاصة مع ما حيك حول شخصيتها من قصص تقول أنها غلبت لب الملك سليمان الحكيم بفتنتها، فكان أن أنابها وأنجب منها سلسلة من الأباطرة حكموا الهند. كان آخرهم الامبراطور «بيلاسي» - كما في الأساطير الهندية - وما جاء في الكتاب المقدس، أنه كان لها أرجل ماعز، والماز يذكرنا بحقيق الزهرة الرافدية نوز الرامي، وأنه في الاسطورة الرافدية حاول أن ينحو من زبانية الهام السفلي فتحول إلى ماعز. العرية، وهي وأن العرب كانوا يكتبون بلا نقاط، فإذا قرأوا التيس عليهم الأرم. وأحياناً كانت العين تحسب مياً أو تحسب القلق ناء، حتى أنك لتجد هذا التيس حتى اليوم في كلمات كثيرة، ومثل ذلك اختلاف كتابة اسم الملك البيزنطي في المصادر بما بين «بغور» و«غور» و«فغور» و«غير» ذلك كثير في المصادر القوية<sup>(١٠٠)</sup> ولما كانت هذه المسألة تخرج على نطاق موضوعنا، فإنا نتركها كلمة لمن يريد بحثها وتأسيسها من الباحثين.

- ٢ - وما يؤيد رأيي فلهاذن في كون الزهرة هي العزى، أن العزى كانت تعبد في شكل شجرات ثلاث مقدسات، والشجر هو علامة الحصب، وهو خاصة إله الزهرة.
- ٣ - كان للعزى لثلاث لوزم تحمله قرش في حروبها، فهي فيما يقول المحوت ومن الإلهات التي كانت تشارك في الحروب<sup>(١٠١)</sup>. وهذه الخاصية بدورها كانت إحدى خصائص الزهرة.
- ٤ - كان من بين آفة الصوفيين الإله «عزيرة» وهو كوكب الصباح، وكان لها مذكر، وكوكب المساء وكان مؤنثاً. فدعوه «العزى» تأنيلاً لـ «العزيرة»، وكوكبا الصباح والمساء هما الزهرة عندما تكون إلهة حرب أو إلهة حب<sup>(١٠٢)</sup>.
- ٥ - أن لقب إلهة الزهرة كشمه صباح، في الجمع الاغريقي الروماني. كان «اليزوس»<sup>(١٠٣)</sup> وهو كما ترى تصحيف للعزى الشرقية.
- ٦ - من بين آفة تدر ثومانها «عزيرة» المشار إليه أعفاً كشم صباح معبود لدى الصوفيين، وأروصوه أو «أروص» كشم مساء<sup>(١٠٤)</sup>. مع ملاحظة أن «أروص» هي «أروص»، والأرض كانت إلهة الحصب أو الإلهة الأم التي شخصت فيما بعد في كوكب الزهرة.
- ٧ - أن د. خليل أحمد يقول أن العزى رمز عند العرب لكوكب الحصب. أما اللات فرمزت إلى الزهرة<sup>(١٠٥)</sup>. وهو كلام فيه سوء فهم وخلف واضح، لأن الزهرة ليست غير كوكب الحصب ذاته، ولكن ما بحثنا هو إشارته إلى أن العزى كانت ترمز إلى كوكب الحصب، أي الزهرة. (وقد بحثي بقوله أن اللات أيضاً كانت رمزاً للزهرة، لكن تبصيره وبوضوح لم يبيد ذلك المعنى، رغم أن هذا

المعنى من وجهة نظرنا فيه صحة كبيرة كما سترى لاحقاً. هذا ما ذهب إليه فلهاذن، وهو يتسجم مع وجهة نظره، ويبدو، وأما كون الاسم الذي كان يشير إلى كوكب الزهرة عند العرب المجاهل، إلا أن فلهاذن ينظر بعد ذلك إلى «اللات» فيقول أنها كانت رمزاً للشمس<sup>(١٠٦)</sup>. ويذهب مع هذا الزعم بعض المؤرخين والباحثين العرب، فيقول د. جواد علي أن «اللات هو «اليلد» - الإله الرئيسي عند العرب في أيام الفروع هيرودوت - وهو اللات من نصوص الحجر - ويطلق أن اللات هي الشمس بدليل أن الشمس تولد له في مذهب، ليستنتج أن اللات هي الشمس<sup>(١٠٧)</sup>.

ورغم أننا قد بحثنا فيما بين أيدينا من مصادر عما يؤيد مذهب فلهاذن من كون أن العزى هي الزهرة، فإنا - مع كثير من التواضع - نخالفه في اختياره اللات هي الشمس (مع علمنا بقدر فلهاذن وحفظنا لثقته، والاختلاف مرجعه إلى رؤية خاصة، نستدل إلى رأي آخر ذهب إليه ريتيه ديسو مدعياً بالتصديق والتأييد من كل من ريكمانز وستاركي، بل أننا نزعج - رجعاً ابتدائياً - أن الإلهات الثلاث يجمعن (اللات والعزى ومساء) لم يكن سوى رموز لكوكب الزهرة وحده دون أي معبود آخر من اجرام الفضاء، وهذا ما سنحاول إقامة الدليل عليه الآن.

### الزهرة والإلهات الثلاث

بالعودة إلى التصوص القديمة في بلاد الشام، حيث انتقلت إلى هناك عبادة الزهرة من الرافدين، نجد الكتانيين قد عبدوا إلى جوار الإله الرافدي الجبار «إيلي» زوجته أيضاً، واعتبروها الأم الكبرى والخصبة الكونية، وأطلقوا عليها لقب التاتيت من «إيلي» وهو «إيلات»، أما اسمها فكان «عشيرة» ولقبوها بـ «سيدة البحر»، ولم يزل لقبها كزوجة لإله ايل وكسيدة البحر علماً على الخليج المعروف باسمها في البحر الأحمر إلى اليوم<sup>(١٠٨)</sup>. ولا يخفى أن «عشيرة» من «عشتار» ولقبها «سيدة البحر» من اسماء والقباب إلهة كوكب الزهرة، ولما كانوا قد أسوها إيلات من المذكر إيل، فإن ذلك يدعونا إلى القول بأن إيلات لم تكن سوى الزهرة، مع ملاحظة أن اللفظ «إيلات» هو «إيلات» ذاته.

وكذلك جاء في التصوص الأوجارية النص التالي: «هت أثرت يم - ألت»<sup>(١٠٩)</sup> وبالترجمة يكون: (أثرت = عشيرة)، (يم = ربة)، (ألت = البحر)، (ألت أو إيلات). ويصمعه «عشيرة ربة البحر - إيلات» وهو يدعى ما غشنا إليه.

وقد ذكر هيرودت (حسب لغته) أن العرب كانوا يسمون الزهرة ويدعونها أيتا أو إيلات<sup>(١١٠)</sup>. إضافة إلى أن اللات التي عبدوها الصوريون غالباً ما كانت تذكر باسم أيتا، وقد سمي ابن أيتة وزوجاً قوبح اللات، وجاء اسمه من اليونانية «أيتادروس»<sup>(١١١)</sup> أي «هبة أيتا» أي أن اللات

التمرية كانت هي أيتا، ولغيتا ليست سوى الزهرة. وعليه، فإن اللات بدورها - إلى جوار العزى - إنما كانت رمزاً لكوكب الزهرة، وهو ما أثراه ديسو، وأيده فيه بشدة كل من ريكمانز<sup>(١١٢)</sup> وستاركي<sup>(١١٣)</sup>.

والآن، أين مكان ما من كل هذا؟  
يكتفي هنا العودة لاستناد إلى التيس والمخط الذي جدت بين اللغتين العربية ذاتها، ما بين الكتابة غير النقطية وبين نقطتها من جهة، وما بين وبين بقية اللغات السامية الأخرى فأصبح اقتراحاً مؤداً أن مكانة ليست سوى «صنارة» روح المحبوبة عند الكتانيين، المشتقة أصلاً من عشتار اسم الزهرة في الرافدين، علماً بأن عتاة كانت تكتب بالفاء واسمها الرافدي صرحه «عشتارته»<sup>(١١٤)</sup> هذا إضافة إلى ما جاء من عبادات عرب الشمال، فقد عبد هؤلاء كما أسلفنا الإلهة الأم الأرض (أرض)، أو أروص، أو أرضي، وقد أسوها صنارة، واعتبروها منلة للزهرة من حيث هي نجمة المساء، بينما كان «عزيرة» أو «العزى» إلهة الحرب والقتال من حيث هي نجمة الصباح، وأن «صنارة» الزهرة كوكب المساء، «العزى» الزهرة كوكب الصباح، لئلا سوى لغتهم الكبرى «اللات» في صورتها عندما تريد أن تكون إلهة للحرب، أو إلهة للحب<sup>(١١٥)</sup>. وهنا نصل إلى ما قاله ديسو أن اللات العربية أخذت عند العرب صورتيها ما «الزبان» متى «العزى» وبفسرها بأن «العزى» الأولى نجمة الصباح إلهة الحرب، «العزى» الثانية هي نجم المساء<sup>(١١٦)</sup>. وهذا فهم يؤولي بالضبط إلى ما افترضناه - أو زعمناه - مسبقاً، وهو أن اللات والعزى ومساء كلها كانت رموزاً لكوكب الزهرة وحده دون غيره.

ولعل آخر ما بين أيدينا من أدلة تدعم ما ما ذهبنا إليه هو ما جاء من زعم جاهلي يقول: «إن بنات الله الثلاث منة واللات والعزى هن آفات القمر»<sup>(١١٧)</sup>. فالعرب في المجاهلية اعتقدوا أنهن بنات الله، وأنهن إلهات القمر، ولو عدنا للأساطير الرافدية نجد إيتا أو عشتار أو الزهرة هي ابنة إله القمر<sup>(١١٨)</sup>. إضافة إلى ما ذكره أمير علي في حديثه عن بنات الله، «إن عبادة هذه الأسماء كانت بالدرجة الأولى تقبلاً للقوى المولدة في الطبيعة، وهي تشبه في ميزاتها ديانة الساميين القدماء والفينيقيين والبابليين»<sup>(١١٩)</sup>.

ولا يفرقنا الإشارة إلى أن الزهرة بصفتها إلهة ذكرها عارياً (نجم الصباح) قد عبرت الجزيرة إلى جنوباً لتجد هناك باسم «عشيرة»<sup>(١٢٠)</sup> - لاسط اشتقاق الاسم من - ومن هناك انتقلت إلى بلاد الحبش باسم «عسرة» الذي صار هناك بالتدريج إله المساء، ويقول موسكالي: «أد - إلى جانب عسرة كان هناك الإله «مدر» إله أمنا الأرض». وينسب ما أيضاً «بغيره» الذي يهده بعض العلماء إله «البحر»<sup>(١٢١)</sup>. وهذا الثلاث بدوره يمثل كوكب الزهرة.

### الزهرة في الإسلام

سبق ونحننا عن تسرب العبادات البابلية وعلوهم إلى العرب في المجاهلية عبر الصائفة،

وتقدسيهم للأجرام السماوية السبعة والرقم ٧، بما فيها الكواكب السيارة الخمسة، حتى أنهم قدسوا يوم الزهرة المقدس وكان يوم الجمعة في التقويم البابلي، وكان مركزاً في الرافدين لعبادة كوكب الزهرة، وما زال لتسميتهم هذا اليوم باسم الزهرة أثر في اللسان الآشوري و«فنديري» (الجمعة) وهو في الأصل من «فينوس» فينوس الزهرة، و«فنديس» فينوس، هو يوم الزهرة أو الجمعة<sup>(١٢٢)</sup>.

وفي عن البيان أن يوم الزهرة (الجمعة) الذي أسماه المجاهليون اعتزازاً بيوم المروية أصبح في المأثور الإسلامي يومه الأسبوعي المقدس، إضافة إلى أنه قد جاء في الآيات القرآنية قدس واضح للكواكب الخمسة السيارة، في قوله: «وَلَا أَقْسَمُ بِالْجَمْعِ الْجَوَارِ الْكَسْ»<sup>(١٢٣)</sup>. وفي تفسير محمد فريد وجدي «الحسن: أي الكواكب الروابع من خمس ينس، وينسب جمع ونس، الجوار: أي الجوازي بمعنى الجارية، الحسن: يقال كس الوحش يكس، استر في كتافه أي في جحره، والسيارات الكس هي التي تحفي تحت ضوء الشمس»<sup>(١٢٤)</sup>.

ويذكر ابن الكثير أن النبي محمد بن عبد الله (ص) ذكر العزى (الزهرة) يوماً فقال: «لقد أهديت للعزى ثلثة عقرأ وأنا على دين قومي»<sup>(١٢٥)</sup>. ويعلق ابن هشام على آكل النبي من ذبيحة نصب الزهرة قبل بعه، بقوله: «إن رسول الله صلى الله عليه كان يأكل ما ذبح على النصب، فلما فعل أمراً مباحاً»<sup>(١٢٦)</sup>.

وفي عن الإيضاح أن الرقم ٧٠ قد نال حظونه القدسية في الإسلام، والقرآن الكريم ترمي بالآيات التي تجعل لهذا الرقم مكانة خاصة، «طبقات المساء والأرض ودرجات الجنة والجحيم، وأرواب العالم الآخر، وكذلك السابيل السبع والفرات السبع»<sup>(١٢٧)</sup>. كذلك نجد في التفسير الإسلامية للآيات القرآنية صدى لما اعتقد البابليون في قدرات الزهرة الجنسية وفكها من ملكاتها الجنسية الاقوائية، وقد جاء في سورة البقرة «واتبعوا ما تنزل الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، يعطون الناس السحر، وما أنزل على الملكين بمائى عاروت وماوروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولاً لقا نحن فنتن فلا تكفر»<sup>(١٢٨)</sup>. ومن التفسير الحديثة تفسير جدي يقول فيه: «فتنة، أي اختيار وإبلاء، والفتنة أيضاً الضلال والإثم والتفكر والفضيحة... وفنة الشيء، أصعبه، وأقن فلا تأومنه في الفتنة»<sup>(١٢٩)</sup>. وفي التفسير القديمة تفسير الطبري الذي يورد قصة تشرح هذه الآيات يمكن إيجازها في الآتي:

لما وقع الناس من بعد آدم في الضلال، شرعت الملائكة تطعن في أعينهم فأراد الله أن يمتلئ الملائكة أنبيهم، فأمرهم باختيار ملكين من أعين الملائكة علماً وهداية، فاختاروا عاروت وماوروت، وأعطاهما إلى الأرض بعدما ركب فيها شهوات الإنس، وأمر أن عبداً الله ولا يشركا به أحد، ونها عن قتل النفس والزنا وشرب الخمر وغير ذلك من المعصيات، وفي الأرض عرضت لهم امرأة هي الزهرة، فغلب عليها الشهوة، فأقبل عليها وراودها عن نفسها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأخرجت لها صنماً يعبدانه ويسجدان له فاستعاضا وصبرا رداً ثم أتياها وراودها





## عادة للريح



● للكاتب: عاموس عوز ●

إشراقة رائعة للشمس أذنت بيده اليوم الأخير لغدوع شتاء. ندباً، وشبه خريفي، كان القمر، خطوط ضوء خافتة انبجست من خلف الأقنصان الكثيفة التي تكثت سورا أطلق الأفق الشرقي، كان اليوم الجديد كان يخفي بروج من الجفاف نواياه الخفية. ولم يقط أية إشارة للطقس الذي يتطوي عليه. وفي الجبال الشرقية ألقى بنفسه مشتمل، أجهت ربح الصباح بعدها عشت أشعة الشمس سور الغيوم، وطلع النهار، كرة ممتدة أنتشت أمام أصابع النور. وبالتالي صنعت الكرة المتوهجة، واصطدمت بسلاسل الغيوم واختارقتها. وصار الأفق الشرقي يطفئ الأضواء، واستسلم بالنفسي. الفيلد للأرجواني الساطع والمريح. هر صخب الاستيقاظ المسكر يضع دقائق قبل الشروق، نهض غدوع شتاء طريقة بقديم حافيتين وهو لا يزال يغالب النوم خارج السيقية وطلع نحو مصدر الضوء. وبعد لحيفة، سوداء ظلل غدوع غيبه اللين لم تتخلصا من أثر اليوم في تلك اللحظة. وانطلقت يده الأخرى تزد

بحوية أزوار ملابسه العسكرية، تحالت الأصوات وروين المعنى، وكان بعض التشيطن متكين على تنظيف سلاحهم بانتظار طابور الصباح، لكن غدوع كان بطيئاً، أثار مشهد الشروق في نفسه انتقالات متعبة، لها أضواء غير واضحة، كان الشروق قد اكتمل والظل لا يزال يغالب النامس واقفاً إلى أن دفعوه من الخلف حائته على الصبر.

دخل السيقية وروث سريره المباني، نطق ريشانه وتناول أدوات الحلاقة، وفي طريقه بين أشجار الكينا المليئة جلوعها بالأبيض، ولأفان التحنير والنظافة والطاعة، تذكر أن اليوم هو يوم الاستقلال، يوم الخامس عشر من أيار، وفي هذا اليوم منتظم برسته هوبلاً احتفالاً بالظلمات في مرج ابن عامر (عميق يزرعيل)، دخل سيقية الحلاقة وانتظر إلى أن يغلي أحدهم مكاناً أمام المرأة، في غضون ذلك نطق أسنانه وفكر بالفتيات الجميلات، بعد ساعة ونصف ستنهي الاستعدادات ويستقل أفراد السرية الطائرات ويقلعون إلى موقع الهبوط جوع غيرة من المواطنين المتحمسين وبينهم الفتيات أيضاً سيتنظرون المظليون الذين سيهبطون قرب كيبوتس دوف حريش مسقط رأس غدوع، حيث ولد وترعرع وسكن حتى انتحاره بالجيش، وعندما ستلاص قدماء تراب الحقل سيعطى به أولاد الكيبوتس وسجود عليه صائحين باسمه غدوع، ها هو غدوع إشنا وزميلنا.

أنس بين جندين أصبح منه بكثير، وبدأ يدهن وجهه بالصابون ويعلق ذقنه مشغولاً قال يوم حارو: أجاب احد الجنود: وليس بعد، ولكنه سيكون كذلك. وأضاف جندي آخر من الحلف: وأنتك تنتهي من الحلاقة، بدلاً من الترتبة منذ الصباح. وأنتك غدوع، لذلك، بالعكس، ولأمر ما تسيب له هذه الكلمات برفح شديد، مسح وجهه وألمحه نحو ساحة الاطلاق، في تلك الأثناء أصبح الضوء الأزرق رمادياً يبلل إلى اليابس، ضوءاً ساخناً غير نقي.

(ب)

بالاس فقط اقترض شمشون شابينيوم بقعة ان القبط لن يتأخر عن الجي، لذلك أسرع فور استيقاظه في الصباح إلى النافذة وتيقن برضى صامت أنه أصاب هذه المرة أيضاً. أنزل الستائر الحمراء لحماية الغرفة من القبط ثم غسل وجهه وكنيته وصورة المظلل بنظر أبصر وكنيته، حتى ذقه وأعد نفسه قهوة وقطعة خبز أحضرها بالأس من غرفة الطعام، لشد ما كان شمشون شابينيوم يكره اصحاعة الوقت، وبخاصة في ساعات الصباح المحصية، المخرج، الغدا

فوق اليد التي تسم تقليات مصيرنا، مصرير الفرد، كما هو الحال مع مصير المجموعة. ولم يُعد البنية عن شمشون شابينيوم طيبة القلب التي استقرت فيه منذ صباه، ومن مرابا روحه العجيبة والشيعة للاصحاب الساذجة القائمة على العناد مثل آياته وأبدياته المتكئين الذين عرفوا الرحة أيضاً. والذين لم يبق باقتناعهم على حساب معتقداتهم. وفي حياته ما سمح شابينيوم لأفامه بالانتماء عن أقواله، حتى عندما تحول بعض قادة حركته إلى العمل الحزبي وكما لو بالصدقة فقلوا ناهياً عن العمل الجماعي، لم يترك شابينيوم الكيبوتس، رفض كافة الوظائف والثواب خارج الكيبوتس، وبعد تردد كبير وافق على أن ينتخب للمؤثر العام للعام، ولستين ليلة قبل ذلك أوقات موزعة بالتساوي بين العمل الجماعي والفكر، ثلاثة أيام في حديقة الزينة وولاية إيام في كتابة المقالات، وسدقية الزينة الجميلة في كيبوتس دوف حريش، معظما من صنع يدي شمشون شابينيوم. ما زلنا نذكر كيف كان يزرع ويقلم ويقص، يروي ويكتب بسند وبرور، يعقب ويقطع أيضاً، وهو لم يدع مكانته كمفكر مركزي للحركة أن تمنعه من الواجبات الملقة على عاتق كل عضو حازي، الحراسة، المناظرة وجمع القطة، ولا يجب نشر حياة شمشون شابينيوم أي ظل من الزيف منذ البداية وحتى هذه اللحظة، فكله قالب صلب من التوبة والتطبيق، لم يعرف الكمال ولم يقبل في خلع الفكرة، هكذا كتب عنه سكرتير الحركة في الجريدة قبل سنوات معدودة بمناسبة مرور تسعين عاماً على ميلاد شمشون شابينيوم.

رغم ذلك كانت هناك لحظات من اليأس الحاد كانت هناك لحظات من اليأس القوي، لكن شمشون شابينيوم خال هذه اللحظات إلى مصادر سحرية صالحة، وكما جاء في النصيحة الحماسية المفضلة لديه التي تثير نشوة العمل في الجبال، في الجبال سلط عروبا، ستهاجر إلى الجبل، وزادنا يلقى الماضي - لكن ما أطول الطريق إلى القد، لأن هذا الحلم الأعمق يطفو من خلال عممة الذاكرة لتكشف الآن كاملاً، لأصبح بالإمكان إلقاء إلى العارضة والفرز الحيرا بالعمل، الزمن يعني، انوبة مطاطية، حية في الشترج، أسماك ذهبية، مشادة كبرى، ولكن ما هي العلاقة؟

سنوات كثيرة عاش شمشون شابينيوم وحيداً، استمر مطاقته كلها في الإبداع الفكري، كلفه انجازه الحياتي النخل المصحوب بالأم عن إقامة عش عائلي، وبدلاً من ذلك حظي شابينيوم بالاحتفاظ حتى مرحلة الشيخوخة بصفاء الشباب ودفء القلب، فقط عندما بلغ السادسة والخمسين تزوج فجأة من راعية غريشون وأنجب غدوع، وبدلاً من الفصل عنها لتركز بالعمل الفكري، ولكنه لا يمكن الباقية، قتل زواجه حدث شخصته النساء اله مثلما حدثت الطلاب أيضاً، ومنذ أيام الشباب أبصر شعر، الغزير رشتنق ومعه اللوح بأشعة الشمس على هيئة مرمعات أسرى من المخطوطات والقنوات، ظهره المريح، كتفه القويان والحكيان، غمة صوته الذي كان دافئاً، شكاكاً، كأنه غارق أزلي، بالتفكير، وكذلك عزله، كل ذلك دند أنه اليأس كالمصغير التي أصابها الدوار، وتسيب إليه الشائعات واحداً على الأقل من أطفال الكيبوتس، كذلك تتردد

إلى غرفة الأكل، تحدثت، فراءة جريئة، تبادلت الآراء، ليضع نصف الوقت في الصباح، لذلك اعتاد الاكتفاء بالقهوة وقطعة الخبز، وفي الساعة السادسة وعشر دقائق، بعد موجز الأخبار الأول، يكون والد غدوع قد جلس إلى مكتبه، صيفاً وشتاء، بلا كمال. جلس إلى طاولة وحقق للسلطات معدونة بخريطة بلانا المعلقة على الحائط المقابل، بدأ أنه يجاول تذكر حلم مزرع أسك به قبل الفجر، تماماً قبل أن يقين من توبه، لكن تلقى من الذاكرة، قرر شمشون بده العمل على الفور وعدم اصحاعة أية لحظة بعد الآن. عيد كبر اليوم، ولكن القيد لا يفتلون في بيلير الوقت في العمل، والى أن يقين أول المخرج وبراءة المظليون وغدوع الذي قد يكون بينهم بالفعل ولا يمرض في اللحظة الأخيرة، لا يزال امام شمشون يضع ساعات من العمل، لا يجب على السان في الخامسة والسبعين من العمر تذكير أوقاته، وبخاصة اذا كانت الأشياء التي عليه تدوينها على الورق كثيرة، كثيرة لدرجة الأم، فالهاهم كثيرة. شمشون شابينيوم ليس بحاجة لأن يكسفو باسمه الانقلاب، فحركة العمل العبري تعرف كيف تكرم أيامها، منذ عشرات السنين يحمل اسم شمشون مجدداً لا بدوي، ومنذ عشرات السنين وهو يجارب بكل ما أوتي من طاقة من أجل اعلان توبة شياها، ولم يتزعزع إيمانه أو يتأثر جراح حيات الأمل والخرايم، بل أختت نفسه بوثر من الحزن الحكيم، وكذا تعلم أن بفهم ضعف الآخرين والحرافهم الفكرية، كلما انتهدت لديه القوة تجاه ضمة الشخصي، ويد من حديد كان يقضي عليه ويتواصل حسب مبادئه، بخط مستقيم كالسطرة، وبظام داخلي لا يعرف الرحة وكذلك يا أشبه الفرحة الحفية، ولكن الحماسية.

والآن، بين السادسة والسابعة من صباح يوم الاستقلال، لا يزال شمشون شابينيوم أباً غير تاكل، لكن ملامح وجهه ليس أنسب منها لحمل هذه الحالة، ملامح لبقية، حكيمة، ترى كل شيء لكنها تتجاوز ما رأت، تكسو وجهه المعفور بالأخاديد، ومن غيبه الزرقاين ينعج الأسى الساطر، يجلس إلى طاولته منتصب الظهر مُتَكِّياً على الأوراق، يدها مستكئتان، كانت الطاولة مصنوعة من خشب بسيط، مثل بقية الأثاث الضروري في الغرفة، بدون زينة، خبيرة راحب متسكك وليس مُسَكَّناً في كيبوتس قديم.

هذا الصباح لن يكون خصباً على وجه الخصوص، وها هي الأفكار تبتدر مرة وأخرى كأنها تتبع أثر الحلم الذي ومضى واطفاً في آخر الليل، يجب تذكر الحبل، وبعد ذلك يمكن أن تسي وبالنسبة للتركز بالعمل أيضاً، أذكر أنوبه، وسمة نعية ما، أو شيئاً آخر، جدال مع أمعص، لا صلة، والآن إلى العمل، ظاهراً، كانت حركة «عمال صهيرون» - بر على تسوية قائمة منذ البداية على تناقض ايدولوجي ما، يكن، عثرة، فقط بواسطة «ناس كلامي» نجحت في إخفاء هذا التناقض، ولكن التناقض ليس سوى وهمي، ومن يأمل باستغلاله لصالحه الشخصي لخالف أو يُحَادِث، فإنه لا يعرف ماذا يقول، وها هو أيضاً البرهان البسيط. شمشون شابينيوم رجل خبير يجارب الحياة، علمته حياته كم من الصنف والحماقة يجلمان



الناشئة في أماكن أخرى. أما نحن فسنلتزم الصمت حيال ذلك.

في السادسة والحسين من عمره قرر شمشون شانيوم انه من المستحسن ان ينسحب إبتاً وريثاً يجعل طابعه واسمه الى الجيل القادم لذلك احتل وشكل صاحب جسد راعية غريشون. الفتاة الصغيرة الجسم والقيلة التي كانت أصغر منه بثلاث وثلاثين عاماً. وبعد الزواج الذي انطه وسط مصورة مصورة ولد جديون. وقبل ان يقيم الكيوتس من ذوقه له ارسل شمشون شانيوم راعية الى غرتها السابقة وعاد ليرتكز بالفكر. تركت هذه المسألة أصداء مختلفة كذلك سبقتها حيرة وتردد في نفس شمشون شانيوم نفسه.

الآن سننقش الفكر، ونعرض على الذاكرة طريقة منظمة: ها هو الحلم يقع بالصدفة وريثاً جاداً الى غرقت وطلبت مني القدوم على جناح السرعة الى المكان ووضع حد للقضية الدائرة هناك لم استفسر عن هوية أحد بل اسرعت في اعقابها. احد الأشخاص سمح لنفسي ببناء بركة في الحديقة أمام غرفة الأكل فزارت ثائري غضباً لأن أحدًا لم يقرر هذا الشكل المفاجيء استحدثت تعديد كهذا - بركة الزينة أمام غرفة الأكل على غرار قصور النبلاء البولونيين، صرخت عالية، ولكن على من. فإن الصورة ليست واضحة هنا. كانت أسلاك ذهبية في داخل البركة وولده يعلوها بماء باليوب بلاستيكي أسود. عندها فررت وضع حد لهذا الشيء في الحال. لكن الولد رفض الاستئصال لأوامري. قررت تنسب الأيوب للوصول الى الخفية ووقف تيار المياه قبل ان ينسحب أحدهم في لتحويل هذه البركة الى حقيقة منتهية. وظلت اتبع واسير الى ان اكتشفت فجأة انني أسير بشكل دائري وان الأيوب غير متصل بأية حنفية بل يعود الى البركة ويستند منها المياه. انه أمر تافه وتسرير. لقد انتهت. وبهذه الطريقة يكن فهم البرنامج الأصلي لحركة عمال صهيون دون أية جدلية هكذا وبكل بساطة كلمة تلو أخرى.

(ج)

بعد انفصاله عن راعية غريشون في نفس شمشون شانيوم واجباته كآب رومجي ولم يتصل من المسؤولية ومنذ ان أكمل ابنه سنته السادسة او السابعة غمره بأشعة شخصيته. رغم ان الولد خيب الأمل قليلاً. وبطل مثل جديون لا يؤسوس سلافة ففي طفولته كان أنه يسيل باستمرار: نوع من الرشح التفاضل. أوريا ميل الى الكاء. ولد بطمه وحائز. يتلقى الضرب والإهانة ولا يكلل الصاع صاعين. ولد غريب يحمل على الدوام أوراق الحلوى الذهبية. أوراق شجر مجففة. ويدان القز. وابتداء بسنته الثانية عشرة كانت كافة النباتات من كافة الأجانب يحطون عليه الواحدة تلو الأخرى. كان يعمل على الدوام قصة حب فاشل. وقد نشر القصائد الحزينة والمعارضات الفاسية في جريدة الطلاب. غلام أسود البشرة. ابن ومعلم بصورة شبه لسانية. يجر مسالك الكيوتس يتواصل ويصمت تنيد. وهو غير بارز في العمل ولا في حياة

٨٢

الجمع يتحدث ببطء. ومن المؤكد انه يذكر ببطء.

أما قصاته التي نطعمها غيت شمشون عاطفية بلا معنى. والمعارضات الساخرة سامة لا حياة فيها. ثم ان كنية والدته ثلاثاً تماماً. لا يمكن انكار ذلك. والانضباط القارضة التي لا تطاق والتي يلعنها على شفتيه بدت لشمشون تسعة طيق الأصل ومبررة للاضباط من إشارات راعية غريشون. وما هو جديون. قبل سنة ونصف تقريباً ينسب لوالده فتاة: طهر فجأة وطلب من شمشون الموافقة كتاباً على احتفائه بجيش الطلبة. يحق للأبناء الوحيدين لدى أهلهم الانتماء بهذا الجيش بواقفة كتابية من والده. وبعد ان اتضح لشمشون شانيوم ان ابنه لا يارس هذه المرة تهرجياته القريبة واقف على الطلبة ويسرور بالغ. فهذا تحول يمت على التشنيع في تطور الفتى الذي سيجعلون منه رجلاً يعني الكلمة. ليذهب ان. ما المانع ؟

لكن المعارضة الضالمة من راعية غريشون وضعت عقبة غير متوقعة أمام خطط جديون. كلا. أنها لن توقع هذه الورقة. ولا بأي حال من الأحوال. هكذا.

ذات ليلة جلى شمشون نفسه الى غرتها محاولاً افهامها مقبلاً التبريرات والبراهين. ولكن كل شيء ذهب سدى. فهي لن توقع وليست لديها اسبابه هكذا. اضطر شمشون شانيوم الى اللجوء لأشياء ملغية كي يستطع التقي الانضمام الى الطلبة. كتب رسالة شخصية الى يوليوك نفسه. طلب خدمة شخصية السباح لانه بالطوع. فالأم ليست مستقرة عاطفياً ولا بد ان يكون الفتى مطلباً ممتازاً. كل ذلك بالطبع على عاتق شمشون. وبالتأنيب. في حياته ما توجه بطلب شخصي الى أحد. وان يكرر ذلك أبداً. فهذه هي المرة الوحيدة طيلة ايام حياته رجاء. ان يذل يوليوك. كل ما بوسعه.

في اواخر شهر سبتمبر. عندما ظهرت علامات الحريف الاول في البساتين. التحق الفتى جديون شانيوك بوحدة الطلبة.

منذ تجنيد جديون انكب شمشون شانيوم بكل ما أوتي من قوة على العمل الفكري. الذي يشكل وحدة ضمانات الانسان على هذه الدنيا. هذه الضمانات ان تخفي أبداً من سريرة حركة العمل العمري. وهو لا يزال بعيداً عن الشيوعية. ورغم كونه في الخامسة والسبعين فإن شعره وجهته الكثير لم يتناقل بعد وما زال جسده يتحرك بواسطة عضلات صغيرة وقوية. والعيون لا تزال مفتوحة. والقلب مرهف. صوته القوي والحنان واللفت والحنان يصنع الأغاني بالناس. في كل جبل. منبته وانفذ. ومظهره ينشئ بالتواضع. ولكن القبول ان حل سرتة لا يزال متصلاً بأرض كيوتس نوف حريش. كره الطفوس والاجتماعات الحظائية والتعبات والوظائف. ويربته فقط يسجل شمشون شانيوم [سما] على حالته بانائنا القومية والحركة.

(د)

إشراقه رائعة للشمس أدت بيده اليوم الأخير لجديون شانيوك. حق ان عينيه تقينا حيات

٨٣

الداخل. وعلى الشارع المحاذي لساح المسكر لو حظت حركة سير نشطة لليامات والباحات. لقد بدأ مواطنو القرى والبلدات المجاورة بالتوجه الى المدينة الكبيرة لفرافة العرض العسكري. ومن خلال حائز الغار أمكن تمييز لجان القصاص البيضاء هؤلاء المواطنين المحتلين وحتى سماع صخب غيائهم من بعيد.

أنهى الطلبة عرضهم الصباحي. كذلك تمت قراءة الأثر اليومي لقائد الأركان وعلمه بالقبائس على لوحات الاعلانات في المسكر. كان طعام الاطوار استقبالياً أشمل على بضعة مسلوقة مزينة بورقة خس وعصاة بالزيتون من كل جانب.

بدأ جديون الغداء بصوت هادئ. وقد حفظ غرته السوداء على جيده. وانضم اليه الآخرون. وبين حين وآخر كان أحدهم يستبدل أحد أبحاث القصبدة بيت ساخر او بديء من عنده. وسرعان ما تبدلت الاغاني العبرية بالحنان غريبة تخرج من جلود بالسة ووقوف قائد الفرقة. وهو ضابط اشقر الشعر جميل النظر أحاطته الأساطير التي تروي حول الوالدات البلية. يقول كفى. وتوقف الطلبة عن الغناء. وارتشفوا بسرعة بقايا القهوة الدسمة من فناجين القهوة وانجهموا نحو مسالك الإقلاع. هناك جرى عرض إضافي تحدث فيه الضابط الى الأشخاص الموجودين بعض كلمات الحب حتى انه وصفهم بأنهم ملج البلاد. ثم أمرهم جميعاً بالصعود الى الطائرات التي كانت تنتظرهم. وقف قادة الاقسام عند مداخل الطائرات بفحصون الأخرى لتأكد من مانتها. أما القائد فقد تحول بنفسه وسط الفينة مرثياً على أكتافهم مازحاً منسياً وبأنا العماس. كأنها أسية قتال تلك الانسية وكأن الحظر أمر حتمي. رد جديون من جهة على التريث على كنهه بأشامة سرية فرت على شفتيه الدقيقتين. كان تحيفاً كالمنشف وبشرته مبرقة تماماً. كانت تلك عين الضابط الاسطوري الأشقر الناقية التي استطاعت تمييز شريان أروى اتفتح في عنق الفتى ونض يالغاح سريح.

أذاك اقتحم القبط المخازن الممتدة أيضاً مبدأً بلا رجة المائل الأخيرة للبرودة. متعللاً كل شيء بالتهب النازك. وصدرت عن الحركات خنجة غليظة وهربت العاصفان عن المسلك. اهتزت الطائرات وبدأت تتحرك بتناقل تم أخذت تستمع قوة الانطلاق ان يتم الإقلاع بدونها.

(هـ)

يجب الخروج الى الحقل واستقباله بالضافحة هذا ما قرره شانيوم بنفسه معقلاً الدفر أمامه. يبدو ان شهر الحديقة في الجيش قد صلت الفتى. انه أمر لا يصدق. ولكن يبدو ان عوده يصيب. وهو ما زال بحاجة لان يعلم كيف يتدبر أموره مع النساء. يجب ان يتنصر مرة واحدة وإلى الأبد من حيرته وميوته. فليترك هذه الصفات للنساء اما هو فليعلم ان يكون قويا. وإلى أي مدى نجحت قدرته على لعب الشطرنج. قريباً

٨٥

المدى المتبقية في الحر. ومن بعيد انشطت العلامات على رؤوس القمم في الشرق. اليوم عيد. عيد استقلال الدولة وكذلك عيد الحوط في سماء البيت. قضى ليلة كله يعلم خطوط حلم ليس بالمعلم. مشاهد عاطفية في غابات شمالية معتمد رباح عاصفة وأشجار كبيرة لم يعرف اسمها. وطوال الليل تساقطت أوراق شاحبة فوق سقائف المسكر. وبعد ان استيقظ في الصباح ظلت تردد في أذنيه أصوات الغابة الشمالية وكافة الأشجار الكبيرة التي لم يعرف اسمها.

لقد أحب جديون حتى الصباح ذلك الحوط العذب بيت القفز من قمة الطائرة وضع الظلة. تصعد لغاية اليك بسرعة البرق. وتيارات هوائية شاحبة تلف جسداً غنثتين من اللثة. السرعة تشوارة. وهي شماع. تعطر وتزأر فيهز جسداً كله امتثالاً لها وتستعمل الأثر عند أطراف الأعباس والدم يضرب ويضرب. فجأة. عندما تكون كالبرق في الريح. تنفتح الظلة. وتقع الأجزاء سقوطاً كأن ذراعاً قوية هادئة وحازمة تأتي لتضع حدا لمواصلاك خيلاك في الأعلى. كان الأثر لسك بك من جذعاً مباشرة. وبدلاً من اللثة اللامعودة جاء الآن دور اللثة المنضبطة المحمية. ووليداً يضغط بجسك في الأعلى. يطو يتردد وينحرف قليلاً مع الريح الحليفة ولن نستطيع أبداً التكهون بالموقع الذي ستلاصق عنده قدماك الأرض - هل فوق قمة تلك التلة أم أمام البيرات - وأنت مصغور مسافر ومتمسك. تيمط على مهلك ترى اسطح البيوت والشوارع والبرق في اصطبلاتها. طلياً كأنك تملك تلك الحيار وكأن القرار كله بيدك.

عندما تلتصق قدماك الأرض قديماً وخرجتك التي تدربت عليها بغية التخفيف من صدمة الوقوع. ولا بد لك من استرداد روعك خلال ثواني معدودة. وتعود دورك الدمية للانساعة الى طبيعتها. وتستراد الأبعاد لظاهما الانحيازي. ولن يظل بقلبك سوى الانعزاز المنصب حتى لحظة التفاتك الضابط والزلاء. لتخضع لنظام الاستعداد السريع من جديد.

سبتم كل ذلك هذه المرة في سماء كيوتس نوف حريش. سيرفع الكبار رؤوساً تصيب عرقاً ويطون فجائهم محاذين التعرف على جديون وسط النقاط الرمادية المترافعة في الهواء. وستتعال صباح الصغار في الحقل وهم أيضاً سيتنظرون بحماس بظلمهم الذي يسهط في السماء. وستخرج الأم من غرفة الطعام لتقف في الفارج لتلمط وتحدث الى نفسها. اما شمشون فيستأثر مكينة مدة قصيرة. ولعله ينقل كرسياً الى شرفته الصغيرة ليرقب المشهد كله بنظرات مأساة وفخورة.

بعد ذلك يستعطف الكيوتس السرية بنشابة. وفي غرفة الطعام يسلمون باعداد اباريق الليمونادة التي سترشح ليرودها. وتواجد صناديق ملأى بالفاوا اوربا بالكمك الذي عزته العصفوات القديمة وقد نقتت عليها كلمات التهنة بحروف من الكزما.

في السادسة والتصف صباحاً تطلبت الشمس على حقولها الملوثة. وارتفعت بدون شفقة فوق أعالي الجبال الشرقية. قيط لرج بسيط ليطير على البلاد كلها. وسخت الأسطح القصديرية لسقائف المسكر واستردت لظى الانهيار. إشعاع مكثف ومبعث بدأ يتسرب من الجدران الى

٨٤

يصبح بإمكانه أن يحرض والده للخطر، ولعله يلحق به الحفرة أيضاً في يوم من الأيام. تلك بنود أخرى. المهم ألا يتزوج من أول فداء تستسلم له. عليه أن يحطم التين أو ثلاث فتيات من قبل أن يسقط مظلة الزواج. وخلال سنوات قليلة سيكون عليه أن يتجنب له الأحقاد. أحقاد كثيرين، وسيكون لأبناء جددون أبوين، سيقيم أبي برينهم اما أنا فأسأله عيونهم على الدنيا. لقد لما الجيل الثاني وترعرع في ظل مشروعة، لذلك وجد نفسه في ورطة، جدية، لكن الجيل الثالث هو الذي يستكمل دها عيباً ويعطي مصحلاً مباركاً. سيجعلهم أبائهم العلوية وشيوخهم الفكر. وسيكون ذلك تراثاً عالياً يصلي من الشوائب الروائية العجاء. يجب تسجيل هذه الجملة في المفكرة، سينحى أولها لتحتل مكانها في أحد مقالاته القادمة. اني اري امام عيني جددون وأصدقاؤه، والآسى بعصر غالي. بأس سطحي يروح منهم، وقهر، وهز ساخر. انهم لا يعرفون الحب بكل ما ألوانا من قوة، وهم ليسوا قادرين على الكثرة بنفس التقدر. ليس حاسماً أو غرقاً. اليأس بعد ذاته، لن انتقص منه شيئاً والشيق الأولي للعقيدة هو اليأس. ولكن ما هو نوع اليأس المعنى، بأس رجولي وغاضب، ليس عزماً شاعرياً وسوداوي. اجلس بدون، يا جددون وكف عن المحاكاة. كف عن قضم أطرافك. أسأرك لك صفحة جملة من برنيز. لطف فداك ساخر. لن اقرأ. أخرج واكبر كاليدوي اذا كان ذلك ما تبحث عنه. ولكن اذا لم تعرف على برنيز فلن لك أية فكرة عن اليأس والعقيدة، فيها لن تجد تلك الأشعار الباكية عن ضم علق في مصيدة أو زهور في عاصفة. كل شيء تستعمل فيه التيران لدى برنيز. الحب والكراهية أيضاً. قد لا تكونين اتم بل أنتوكم من سيرفر النور والظلام والين واليوس. تراث عريق يصلي من الشوائب الروائية العجاء. ولن نسبح بإعداد الجيل الثالث بتدليله أو ادعائه القروية والتبيل والاطفلاء. ها هي الطائرات القادمة. الآن ستعيد برنيز الى مكانه على الرف وتخرج للمفاخرة بك قليلاً يا جددون شانيويوم.

(أ)

قطع شانيويوم الحقل المعبى بخطوات عريضة. صعد على السلك الاسمي وبعد الحقل نحو القطعة الجنوبية - الغربية. حيث الحقل المعبى الذي اختير لحبوط المظليين. نكأ في طريقه أكثر من مرة قرب أحواض الزهور وانتزع الأعشاب الضالة التي راوحت فاختفت في ظل التحمرات الصغيرة المرهقة لكن عبق شانيويوم الصغرى الزرقاوين اعتدنا على الدوام صنع الأعشاب في أسطاد الأعشاب الضالة. ولم يكن سوى جيله الذي جملة بهتزل منذ سنوات قليلة عمله في فرع الزينة. ولكن ما دامت في جسده روح فلن يتوقف عن تفنيد أحواض الزهور بلا راحة وليست منها كل مشقة شاقة. في لحظات كده يفكر برونه الأصفر منه سناً بأربعين عاماً، ذلك الشاب الذي سلمه فرع الزينة ذلك الرسام المحلي، الذي نسم حديثاً زاهرة أخذت تتدهور من شهر

٨٦

لشهر وما هي تفسد أمام نظريه قائماً. عثرت ثلة من الأولاد المتطوعين بسرعة أمام مشغون شانيويوم. كان الأولاد قارئون في جمل غني ولقطيل حول نوع الطائرات المحلقة في سماء المرح وبسبب رقصهم فقد دار الحدال على شكل صراخ عال يتخلله اللهجات. أسنك شمشون أحدهم بطرف قميص أوفقه بالقوق، أدق وجهه من وجه الولد وقال:

«أنت زاكى»

قال الولد:

«عني»

وقال شانيويوم:

«هنا كل هذا الصراع» ليس لديكم سوى الطائرات في رؤوسكم؟ والركض هكذا بين الزهور حيث كتب متوجع المدخل - هل هذا مسجوع لكم؟ كل شيء مسجوع؟ مشاغ؟ انتبه الى عندما تحدثت معك؟ وأجب مثلاً بفعل البشر، والا...»

لكن زاكى استغل فيض الكلمات التي طبت على رأسه، وبشكل مفاجئ وقطرة عذابة وهجوت، سلخ نفسه عن اليد المسكة به. انسحب بين الشجيرات وظاهر كالقرد الشرير ووضع حداً للكلاب.

أطلق شانيويوم شفيته، ولمح البصر أشد بذكر بالتشوخة. وبطلة أيضاً استبعد هذا التفكير من نفسه وقال لها: سيكون خيراً. استعالج ذلك أيضاً. أي - عزاري، وبحسابات سريعة. مؤكداً أنه في الحادية عشرة على الأقل وقد يكون في الثانية عشرة أيضاً. إنسان متوحش. حمش. في تلك الأثناء أحست القنية للتدوين مواقع مراقبة في أعلى برج الماء، بطوفون بأنظارهم المروخ المتبسطة أعاد هذا المنظر الى ذاكرة شانيويوم صورة من الطبيعة الروسية. وللحظة استهوته فكرة التسلسل الى قمة البرج ومشاهدة المحوط عن بعد، بعيداً عن أية مخبوط. لكن التفكير بالمصاحفة الرجولية المرتقة دفعه لأن يوسع أكثر فأكثر خطراته الحسية الى أن وصل طرف الحقل. في هذا المكان توقف متفرج السائقين ويدها مكتوفان فوق صدره. وقد سقطت غرته البيضاء الراتحة فوق جسده. اشرب بعنف متعباً طائر في القفل بنظرات رداية وثابتة. التجاعيد في وجهه شمشون شانيويوم أغتت اللامع العنصرية فيه. قطرة السفساء تلك قدمت مزجاً نابراً من المكابرة والتأمل راسه رماً مبيتاً لسيطرة آخمين التحكم بها. حاجابه الأضداد الكتيبان جعلاً كل من يتأملهما يتشبهل شيئاً من صور القديسين في الكنائس. وبخصوص الطائر بين قد استكشفا في هذه الأثناء دورة واحدة واقتربت الأولى من سماء البرج.

الفرجت شفا شمشون شانيويوم قليلاً بحيلة السيل لصوت تبيده مكتوبة وعقيمة. حين رومي قديم بدأ ينفض في صدره. كتلة ملامسة اولى من المظليين. دفعت من الفتحة الباعث (فعا) في جانب الطائرة. أجسام صغيرة وسواء انتشرت في الفضاء كالطوب التي يلقي بها الزارع في

٨٧

(ب)

بعيداً عن هذا، في المدينة الكبيرة، استقبل جمهور المواطنين الذين انتظروا العرض العسكري بتهدئة نسمة ريح البحر المفاخرة، لعل التلطف قد اكسر، ريح باردة وداغة أشقت على الشوارع الشائعة. تطورت الريح وانقضت مُعولة على قسم الأشجار وكنت أشرب السرو وباعدت يد أحضان الصنوبر. حدثت خليطاً من العيار مكثرة المشهد في عين متشاهدي ظاهرة المحوط وبية ملوكية. مثل طائر ضخم وحيد، اتفرق غددون شيفال نحو الشارع الرئيسي، شرقاً. لم يكن يقدر الفتي أن يسمع صرخة الحرف التي أطلقت من مائة حجرة، مرة واحدة، متشابهة. حالاً يتفنى ويواصل التراجع على مهله نحو سلك الكهرباء المركزي المشدود بين أعمدة ضخمة، أساطت حيون الجمهور الغاضبة الظل واستمرت على أسلاك الكهرباء التي تنطق المرح من الغرب الى الشرق بقة مستقيمة. حصة أسلاك متوازية ومفردة بين الأعمدة لفلها ذاتها. وزبنة عتيقة سامة في هذه الريح المتدافعة.

أدت مظنا غددون بالسلك العلوي. لحظة واحدة لتسر قدام على السلك السفلي. ها هو حينه يرتطم بالأل. لتسلك أعمدة المظلات بخاضرتيه وكيفية وقته من التسوق الى الأرض البحرية. لولا حذاءه الذي كان يحتوي على طبقة عازلة وصلية، لثقل الفتي خربة برى لحظة هبوط. لكن السلك الذي كان الأثناء نار ضد الشحنة القوية بادناً بأحراق الحذاء، وبكثا يديه أسنك بأحزمة المظلة. عينا جاحظتان وقمة فاغر.

وفي الحال هب أحد الضباط، تصير القامة والعرق بغيرة، واتطرق من بين الجمهور المتجمد

وصرخ:

«لا تمس الأسلاك يا فيدي. اسحب جسدك للوراء وابعد بقدر المستطاع به بدأت كتلة الجماهير المتراسة والمذعورة. تتحرك على مهلهما شرقاً. انطلق صراخ وتعال نوبل. وبصوت المعدي أمر شانيويوم الجموع بالصارعة بالنظام والصمت والمطاط على رباطة الجأش. واندم بركنش بيات. ساجفاً بحذاءه أجدات الأرض. شاقاً خطاً مستقيماً وصارماً، ووصل تحت السلك مباشرة. أهد الضباط وجوع الفضوليين الذين سبقوه الى المكان، وأمر أياه:

«هنا نساك من الأعمدة يا غددون، فكها واحبط في الحال. هذه الحمار عروفة ولن يحدث لك

أي شيء. فك نفسك واقترب»

«لا أستطيع»

«تحرز واقفز، اسرع ما يُقال»

«لا أستطيع يا أي، يا أي، لا أستطيع»

«لا يمكنك ذلك! حرر نفسك واقفز الى الأسفل قبل أن تحرقك الكهرباء هناك»

«لا يمكن. تشابكت الأعمدة، لا أستطيع، لوقفوا هذا التباير بسرعة، أي، لقد بدأ حذائي

٨٨

مشهد صهيوني قديم.

في تلك الساعة أخرجت رابعة غريشون رأسها من شباك غرفة المطبخ وهزت بقوة معرفة كانت يدها كأنها تحرق قسم الأشجار. كان وجهها حمراً وفاقراً بالعرق بسبب اللبظ التليل. وقد نسب العرق بالتصاق ثوبها الخشن بساقها الصلين والمشمريين. كانت تنفض بشدة وبأطراف يدها الحماله أخذت تبتني في جداتها المهيمة، وقمناً، أصدرت بوجهها الى الداخل وأخذت تصرخ بيقية المالمات.

«سرعة! الى الشباك أيتها الزبيلات! غدي هناك غدي في الساء» وسكتت مذعولة. بينا كانت مجموعة المظليين تحلق وتبدأ مثل حفة ريش بين الأرض والساء. انقضت الطائرة الثانية قاذفة مجموعة غددون شيفال. وقف المظليون متلامسين قرب الفتحة الباعثة، البطون تدفع الظهور لتصبح أجسامهم كتلة واحدة مستمرة ملية بالعرق. عدوا جاء دور غددون شد الفتي على اسنائه، وضمر ركنيته، وكالولود في داخل الضوء التناظ ألقى بنفسه وبدأ يسقط. صرخة فرح وحشية ومتواصلة أطلقت من حلقه في ذات اللحظة. سقط ورأى أقاليم طفولته ترتفع اليه وسقط ورأى السطوح والقمم واندمس لها كمن يُسلم عليها. سلاماً لكم جميعاً، وسقط نحو الكروم وجرحت الباطون والعروض والأنايب اللامعة وسقط بقلب فرح، في حياته ما ذاتي علم الحب القوي الذي يسر الظهور. مثلاً يحدث له الآن. تحفزت شرايته كلها، وكأن ينبوعاً من اللذات تدفق بداخله وفي أعلى ظهره حتى مؤخرة عنقه وجذوره شجرة، وكالجنون تواصل صراخ غددون لشدة الحب، وانفجرت أطرافه بكيفية المتكويين حتى كاد الدم ينفذ منها. ثم انفتحت أعمدة المظلة وضربته تحت اجله، وبقرة أحاطت وسقطه، ولمح البصر أحسن كأن بدأ خفية تنشد للوراء، الى أعلى، نحو الطائرة، حيث قلب الساء، وتبدل التسوق العلب بتأرجح لين، بطي. كأنه في مهف أو كمن يطفو ببركة ماء دافئ. فجأة أصابه زعر شديد، كيف سيميزونه من الأسفل؟ كيف سينفرون على وحيدهم وسط غابة المظلات البيضاء؟ كيف سيمافونني، ولا أحد سواي، بنظراتهم القليلة والدمية، من بين الجميع؟ أمي وأبي والفتيات الجميلات والأطفال الصغار والجميع؟ يجب ألا أصبح هكذا وسط جمع المظليين. أشتت أنا، وأنا فقط، من مجموع؟ ولكن!

في تلك اللحظة أومضت فكرة برنش غددون. مدّ يده الى كتفه وسحب عيط المظلة الاحتياطية المخصصة لحالات الطوارئ فقط. عندما انتشرت المظلة الثانية فوقه أبطئت حركته وبدأ كمن توقف تأثير الجاذبية الأرضية عليه. كان الفتي يحذف وحيداً الى قلب الكون كما الورس كما الغيمة الوحيدة. كان أجبر زملائه قد تنوا أقدامهم على الأرض وبدلاً بطوفون مظلاتهم. وغددون شيفال وحده ظل يعلق كالسحور يعلق وظلطان ضخمان مفتوحتان فوق رأسه. مثلاً وسعيداً كان يحط مئات النظرات الشريرة به به لوجده، بوجدانية الساشة.

لتنظيم هذا الموقف ورفع مكانته حيث من الغرب ريح قوية، باردة قليلاً، قسمت اللبظ الى نصفين، نسرت بين شعور المتشاهدين وحملت الى الشرق قليلاً جسد آخر المظليين.

٨٨



في غضون ذلك كان عدد من المظليين بدأوا يبدون النظام ويصدون الجماهير المتدافعة. يحدون مقدمي الصائغ ويغلون مكاناً تحت أسلاك. ولكن يردد قسماً أو هساً سحرياً كان المظليون يرددون بلا انقطاع الكلمات «لا حاجة للذعر. بدون فوضى. من فضلكم». ويجاور تدافع حصار الكيوتس وأقلوا الجلبة لم يتبع التوبيع ولا الصراخ. وجهه كبير نصح مظليان غاضبان بالإسكاف بزاكي أخذ يشاقق بهاء تام عمود الكهرياء المجاور مطلقاً صراخاً وصغيراً مؤدياً حركات جولانية لجلب أنظار الجمهور إليه.

صرخ الضابط قصير القامة فجأة:

«حزرتك! لديك حرية داخل الحزام. أخرجها وأقطع الأزرمة»

لكن غدعون لم يسمع ولم يرد أن يسمع. وبدأ ينتحب بصوت عالٍ. «أترلوني! استعصقي الكهرياء في الحال! أي، أترلوني من هنا. لا يكتفي التزول لوجدني به كُف عن التحبب» صرخ شمتون «قالوا لك استخدم الحرية وأقطع الأزرمة. أعمل ما يقولونه لك! بدون بكاء»

وامتثل القتي. بينما نحيبه ونواصل وبصوت عالٍ نحس مكان الحرية وبدأ يقطع أزرمة المظلة الواحد تلو الآخر. ومن حوله سكون تام لا يقطعه سوى صوت بكاء غدعون الغريب والمؤثر. من حين لآخر، بقي حزام واحد فقط. كان غدعون مطلقاً به. ولم يبرز على قطعه هو الآخر.

«أقطع له صرخ الأولاد وأقطع وأقطع. ليراك!»

وأضاف شمتون بصوت ممتلئ:

«ما الذي تنتظره الآن؟»

«لا أستطيع! رد غدعون مُتوسلاً»

«ستطيع أكثر من ذلك» قال أبوه.

«تبار كهريائي». قال القتي ياكياً وبدأت أحسّ، أترلوني بسرعة»

قفز التّم إلى عيني الأب الذي رآه:

«جيان! إنجل قليلاً. انتك جيان!»

«لكنني لا أستطيع. ستعظم عظمي كلها. المسافة عالية»

«ستطيع. وانت ملازم بذلك. لكك مجنون. هكذا أنت. مجنون وجيان»

سرب من الطائرات الثقاة كان في طريقه إلى العرض الجوي في سماء المدينة مرّ فوق رؤوسهم. كانت تلك الطائرات الثقاة منتشرة على هيئة مضبوطة. ملازم هدير محركها الجو وهي متطرفة غرباً مثل سرب من الكلاب الموحشة. عاد الهدوء ليصق حلياً على الجو الذي ابتدئت عنه الطائرات كذلك القتي. توقف عن البكاء. وسلطت الحرية من يده إلى الأرض. وانغرز القلب عند قدمي شمتون شانيوم.

«ماذا فعلت؟ صرخ الضابط الصغير.

«وليس عدده! رد غدعون متوسلاً «أفنت من يدي».

التحق شمتون شانيوم إلى الأرض ورفع حجراً صغيراً استقام وأطلقه غاضباً في مؤخرة ابنه الملقى.

«أفيا اللدله». خرقة بالية. جيان بالنس متلكه

«خنتت! توقفت أيضاً! ربح البحر»

وعاد القبط بكل ثقته ليجتمع فوق الناس والأشياء العائنة. وتدم مطلقاً أحر - برجه قليلاً من الررس - بصوت خفيض: «هه بخلاف القفز. هذا القتي سيقل نفسه بهذه الطريقة. صنعت فتاة تينة قينة الوجد. هذه الجملة فاندفعت نحو مركز الجمهور وفجئت فراضها.

«أفقر الله! يا غدي» لن يحدث لك سوء»

«يا للباهقة! قال أحدعهم اللطاميين القدامي الذي كان يرتدي ملابس العمل وهل فكر أحد له عقل برأسه بالاتصال بشركة الكهرياء والاحتكام بقطع التيار. وتحول متصرفاً من المكان نحو مباني الكيوتس في أعالي التلة المتوسطة خطاً بسرعة وبغضب. لمزبه الرعب فجأة لتساع صلبة رصاص قريبة ومتواصلة. وللحظة خيل لهذا الطلامي القديم أنهم يرمونه بالرصاص من الخلف. لكنه شاهد في الحال ما يحدث: ضابط المصروعة. يطل الأساطير الجميل والأشقر. حاول قطع أسلاك الكهرياء بالرصاص.

ولكن عتبا.

في غضون ذلك وصلت مباشرة من ساحة الكيوتس سيارة تنذر مهلهلة أترلوا منها بضعة سلام وكذلك الطبيب المجهول. وبعد أن نزل الطبيب قاموا بإزالة حائلة عن التند.

بدأ في تلك اللحظة أن قرأ مقادحة غدعون. وبضربة قوية دفع نفسه بعيداً عن السلك الذي تظاهر منه شرز أترق. وانقلب في الهواء. بقي معلقاً بالحزام الوحيد إلى الأسفل من السلك يتدفع بتر. رأسه إلى الأسفل وحذاءه المحترق يلوح في الفضاء. قريباً جداً من السلك السفلي. كان من الصعب على الشاهدين الحديد بدقه. ولكن خيل أنه لم يصب حتى الآن إصابة خطيرة. تآرجح في الهواء وأهناً ومنقلباً على رأسه. أنه يحدّث مدحوخ علق بكلام. أثار هذا المشهد نوعاً من الفرح المصغري في قوس الضفان. وعندما ضحكوا كانوا كالتابيين وأخذ زاكى يضرب على سابقه متفلاً لئلا. ويشعر بالاحتقان يتناثر في مكانه صارخاً كثره صغير وشري.

ما الذي شاهد غدعون شهاباً ليحدّ عتفه وينظم إلى جوفه الشاحكين الصغار؟ لعل هبته الغريبة شوتت فكرة. أملاً رأسه بالدم وخرج لسانه من فمه. وكذلك غرته نالت نحو الأرض. وبقيت رجلاه ترقبان وحدهما الساء.

(ط)

أيقظ تهرج غدعون المقلوب مشاعر شيطانية في زاكى.

«أهه بيكي» هتف الولد الصغير «غدعون بيكي. ها هي دموعة بانية من هنا. بيكي. اللظن»

الملازم بيكي كالمظلل. انظروا. ها هي دموعه»

وعنده المرة أيضاً ضاعت قبضة شربة شمتون شانيوم في الفضاء «زاكي» نصح غدعون بأن يصرخ بصوت خفيض ومشو «زاكي. سوف أقتلك. سأقتلك. واحد بتدق! ده وضاح فجأة وهده.

إنه. لا فائدة. انه لن يقطع نفسه الحزام الأخير. والطبيب بدأت المخاوف تسرب إلى نفسه من أنه لم يبق هكذا فترة إضافية فسيفقد وعيه. يجب البحث عن نصيحة أخرى. فلا يمكن السماح لكل ذلك بالاستمرار طيلة اليوم.

فقط شاحنة الكيوتس ببطء أودس المحرونة وتوقفت في المكان الذي أشار إليه شمتون شانيوم. وعلى ظهر الشاحنة وضع شلمان ربطاً يعضها بسرعة للوصول إلى الارتفاع المطلوب. وأصكت عشرة أفزع قوية بالسلم من كل جانب. وبدأ ضابط المظليين الأسطوري الأشقر بالتسلق. لكنه عندما وصل إلى نقطة وصل السلمين سمع صرير هفيف. فانحب الحشب جراه القلق والعلو. مرة هفظة تردد على الضابط الذي كان إنساناً مثلاً شبه مكتنز. بعد ذلك قرر التزول وتقوية ربط السلمين. هبط إلى أرضية الشاحنة. مسح غرق جبينه وقال: «هفظة لتفكر». وبلغ البصر. وقبل أن يصحب بالإسكان زدعه. قبل أن أنكتت رؤيته. كان الولد زاكى في أعالي السلم. وقد تجاوز نقطة وصل السلمين. تسرعاً كالقرد اليائس نحو درجات السلم العلوي. ويده حرية لا أحد يعرف كيف وصلته. وبدأ يضارع الحزام المشدود أسك الشاهدون أنفاسهم. فقد بدا أن الولد لا يأبه بقوانين الوزن نفسها. لا يستند إلى شيء. لا يجازر. يتناثر في أعالي السلم العلوي. سريعاً. مرناً. وناجعاً إلى درجة الفساد.

(ي)

وبكل ثقته أقتل القبط على القتي الملق. وبدأت عتبات تتفتتان. وكادت انقاسه تتوقف. ويصيح صفاء فته الأخير شاهد أمامه أعاء التقيح حاساً بأنقاسه على خديه. شاماً راحته. شاهد الأسنان التواطع التي ابتقت من فم زاكى. رعب قطع أطلق عليه كمن ينظر في الرأه ليشاهد وحشاً. أيقظ الكاوس لدى غدعون ما تبقي من قوة. رفس القفاد. تلوي. ونجح في قلب نفسه. أسك بالحزام وشد نفسه إلى أعلى. وبأثره مبسوطة أفض على السلك وشاهد الضوء. وواصل القبط إحكام سيطرته على المرج. وسرب ثالث من الطائرات الثقاة أدغل الجمع برزيره.

(ح)

سرب ثلث من الطائرات الثقاة شق جانب السماء. اثنا عشر طائرًا قولادياً يجسم على الجبال والحب تصد أشعة الشمس بترافق يجلب الأنظار. كانت منتشرة على هيئة تصل الحرية. جز غصنها الأرض. وإلى الغرب. تحضي. ليعمل السكون المكان.

كان الطبيب المجهول قد استقر في تلك الاتاه فوق الحافة. اشعل سيجارة ويحلق نحو الناس. نحو الجند والاولاد والندافيين وقال لنفسه: لكن ما يكون! سيحدث ما يجب أن يحدث بطبيعة الحال. وما أشدّ الحر اليوم.

بين الغيبة والأخرى كان غدعون يطلق ضحكات خرقاء. صارت رجلاه راسية في الفضاء المثير أشكالاً مختلفة لدوائر وأهية. حرب الدم من أطرافه المكوكية واستقر في رأسه. وأخذت عيناه بالجمود. وأظلمت الدنيا. واختفى الألق الأرجواني لتحل مكانه بلع بتفسيحية تراقصت أمام ناظره. أخرج لسانه فشر الأطفال ذلك مداعبة ساخرة منه. «اللدل مقلوب» ضهل زاكى «اللدل مقلوب. هه. لماذا لا تكف عن النظر البنا بعيون مقلوبة! لكك تبدأ بالمشي على يديك من أجناتك»

رفع شانيوم يده لضرب الوقح. لكنه صنع الهواء. فقد كان الولد سريح التلبص. أشار المجهول للقائد الأشقر غازروبا جانياً بضع هفطات. حالياً لا يهدد القتي خطر فوري. فهو لا يزال بعيداً عن ملابسة التيار. ولكن يجب إنقاذه يستحيل أن تتواصل هذه الكوميديا بهذا الشكل إلى ما لا نهاية. السلم لن يبعد كثيراً. فهو أعلى بكثير. لعلهم يحاولون تزويده بحرية مرة أخرى واقامعه بقطع الحزام الأخير والقفز فوق شادر خيمة ذلك تمرين اعتيادي للغاية في تدريبات المظليين. المهم العمل بسرعة. لأن الواضع مهين. والاولاد نزع الضابط القصير قميصه وأخفى يداخلة حرية. فتح غدعون يده إلى الأسفل محاولاً الإمساك بالإرسالية لكن القمص والحربة بداخلة عبرا بين ذراعيه القويين وسقطا على الأرض. وضحك الأولاد. وبعد محاولتين فاشلتين آخرين نجح غدعون بالإسكاف بالقميص وأخرج الحرية من داخله. أسك به بأصابع ذاكته وثقيلة لكثرة الدم المتجذب إلى أسفل إلى التراب. فجأة أدل القتي الحرية من عده المتصه. منحه القولاد بعض البرودة. مرت به لحظة علية. فتح عينيه وشاهد عالماً مقلوباً. كان كل شيء مهولة نظره. سيارة التند. المظلي. الناس. لوب والجيش والأطفال الصغار وكذلك الحرية التي بيده. لوى برزّه نحو كتلة الأولاد وضحك من أعماق قلبه ولوح باليهاهم بالحرية أيضاً. حاول أن يقول لهم شيئاً ما. لو أنهم يستطيعون رؤية أنفسهم من مكانه. بالمقلوب. وهم يندافعون كالتل المذخور. كلهم. لكنوا قد انضموا إلى ضحكة بالتاكيد. لكن الضحك تحول إلى قعة سيفة. لكن غدعون قد اختنق وجحظت عتبات.

مكانة الأب التاكل تحيط الانسان حاله من العذابات المقدسة. لكن شابينوم لا يفكر الآن بهذه الهاتك حاشية مذهولة وصامتة ترافقه نحو غرفة الطعام. وهو يعرف حق المعرفة ان عليه الآن أن يكون الى جانب راعية.

في الطريق مر به الولد زكي، متحمساً. لاحقاً وطلاً وأطفال كثيرين حوله كاد أن ينفذ. وضع شمشون بداً مرهجة على رأس والده محاولاً القول. ولكن قوله غاديه وأرجعت شفتاه الصامتان وتتألف دأبب القرة الجعنة والثلثية بالغيار. وهو في حياته ما دأبب هذا الولد من قبل. بعد عدة خطوات أطلعت الدنيا فاهار الجوز فوق أحواض الزهور.

في ختام عيد الاستقلال خف القبط. رائحة بحرية أشفقت على الجدران الساخنة. وطلة الليل تساقط التدي الثقيل على الأشباب الحضر.

آية بشرى تعمل تلك الاستدارة الشاحية حول القمر؟ على الغالب، فهي تشر بالقبط. سينجده القبط غداً بالناكيد. شهر أيار، وسيله شهر حزيران، وبع ثم بين أشجار السرو في الليل محاولة مصالحتها بين قبط وآخر، عادة الربيع القلوب. التوقف ثم القوم من جديد لا جديد.

(من كتاب «مجموعة من القصص العبرية» اعداد سلمان تاطور)

## لماذا احس الصحفي الامريكي بالحنجمل ؟

● بقلم: جمال بنورة ●

ينتقل معاهم.  
فرد ولد آخر.  
- بتضرم بالرماس اللي ضربونا فيه.  
وقال ثالث:  
- بنحط الرصاص المطاطي في الثقافة بدل الحجار.  
اسلقت النظر ابتاه صحفي امريكي كان يتواجد في المكان لتغطية الأحداث. فوجه آلة تصويره اليهم. وخطر له أن يتحدث معهم بواسطة مترجمة. سألم في البداية عما يفعلون. ولذا يجمعون الرصاص. فأجاب كل طفل بما خطر في ياله.  
- هيك بدي أخيه.  
- لماذا؟ أعاد السؤال.  
- بظفره ساذجة. - ذكرى للانتفاضة. ا  
وأجاب آخر بلمب فيه.  
وقال ثالث: بنحطه في الثقافة وينتظرب

انتشر الاولاد في الحارة بعد انتهاء المطاهرة وأخذوا يجمعون الرصاصات الفارغة. ورصاص المطاط. وقابل الغاز بعد انفجارها.  
- هاي واحدة. وعده كمان واحدة.  
- بين منه أكثر حتى؟  
- أنا معي أكثر.  
كان أحد الأولاد قد غاباً جيوبه بالرصاص المطاطي. بينما تراحم ولدان لالتقاط إحدى الرصاصات.  
- أنا شفتها الاول. هذي الي.  
- لا. أنا شفتها قبلها.  
امتدت يدها الى الرصاصة في وقت واحد. وكادا أن يتقاتلا عليها. كان هناك ولد يكبرهم سنه. وندبو عليه بخيل الذكاء. قال:  
- في رصاص كثير في الحارة. إحنا مش لازم نتقاتل مع بعض. هالتيت بجونا الجيش

## أقصصة

## حاملُ الهمِّ وحاملُ العنزتين

● بقلم: وليد أيوب ●

كبيرة عندما برث بجانبه ولمست يدها ذراعتة فاعتز ويجمع كل دمه في وجهه. شرب السلافة من كأسه الفضة ونظر إليها مدة أطول هذه المرة فتأكدت ان الحجل مثل الوجع نحت في المرة الأولى فقط.  
- اسمه خالد شاب مثل عمود القدر. طويل إلى حدود العقول. حمل الهم صغيراً على كتفيه وبعض تشبهاً بصارع النقر والظلم. يقول إن الهم والفقر والظلم تحالف واحد ينتقل مثل المرض الحثيث بالوراثة من جيل لجيل. يستنفذ مثل الراس كل صباح من طول النهار والتفكير فتتال عليه هوم يومه السابق وشواغل يومه الزائف فيلمس الحياة للحظة. لكنه ينهل بنشاط غريب على سالد. يشد منه للاقاة الشاعبة الثقيلة فيغمره

الحزن يسكن في ملاحه. لا يغادرها بناتاً. وحزن المساكين لا ينتهي إلا بموتهم. كذا مجموعة من الشباب والصبايا يجمعنا حلقة أس وسحر. سهير في حركة دائمة. وهي المضيئة للأ كزوس الراح وصمون الحضار ولينة الماعز اللبذية وتلسم مناقش الزعتر الساخنة كان ينظر إليها بين الغربة والأخرى. ينرى لحظات قصيرة جداً هرباً من المحيطين به ان يضطوه متليساً. هي أشجع منه حتى إذ أنها. أو هكذا حُئل لي. تأكل منقوشتها وتنظر اليه باستمراز غير آبهة بالعيون الكثيرة التي تسترق إليها النظر. قلت في نفسي ان بركة أبيها في بيتنا أمها المصون والعناية الالهة عشتارها خصيصاً له. لو بيتنا شاعر كبير لرسم لحظة

- أحنا مش رايحين نوت كئنا. عذنا: أولاد كثير.  
- يعني ممكن نوت؟  
- يمشي!  
- ليس!  
- عشان نحرز بلادنا.  
- شو بنستفيد إذا مت؟  
- بروح شهيد. بهيروا يفترو باسمي. وأخيراً نظر الأطفال اليه في فضول بعد ان انتهوا من عملهم.  
- أنت أمريكي؟  
- نعم.  
- ليس انت هانا؟  
- عشان أكتب عن المطاهرات.  
قال طفل وهو يقف مشدوداً بقماته الصفرة. وينظر الى الصحفي في تحقيق:  
بذل هيك روح ع بلدك وخير ريفان ما بيعش رصاص عشان يفتلنا. احنا بدنا نعيش مثل الأطفال الأمريكيان.  
أحر وجه الصحفي أمام ذلك الطفل. وشعر ان عرقه يتصبب. لا يدري أكان ذلك من حرارة الطقس ام من الحجل الذي أحس به.  
قال الصحفي وهو يدير وجهه نحو المترجم.  
- أخير الأطفال أتي سألوني ذلك في الصحيفة التي أعملت فيها.  
\*\*\*  
(بيت ساحور - فلسطين المحتلة)

المشي.  
- لماذا تفعلون ذلك؟ سأل الصحفي.  
أجاب أكبرهم سنه.  
- لأن اليهود اعتدوا علينا.  
- ولكن أتم تيدأون المطاهرات...؟  
- طيب احنا في بلادنا... ما احتينناش عليهم. هم اللي أجو علينا عشان يأخذوا بلادنا.  
طلب الصحفي من المترجم أن يسألهم من يقصون من اليهود.  
وعندما وضع لهم ذلك بلغة مبسطة. قال أحدهم:  
- الجنود اللي بطخوا علينا وبعقلوا الشباب.  
وضربه ولد آخر على يده كأنه يذكره.  
- والمستوطنين.  
وطلب الصحفي ان يرى ما يجمعونه. أروه حفنات من الرصاص الفارغ والمطاط وقتيلة غار استوائية الشكل. أخذ يقرأ ما كتب عليها (بنسافانيا ١٩٨٨، يو. اس. أي.)  
قال أحد الأطفال معلقاً:  
- هذا الرصاص بعنه ريفان عشان يقتلنا. داري الصحفي خجله. بأن طلب الاحتفاظ برصاصة تذكراً لحيدها مع ال أمريكي.  
- شو الفايده ما هي فارغة؟  
ورأى رصاصة خية مع أحد الأولاد قال:  
- هذه ممكن نوزيك. هل أخدنا؟  
- هله. لا. هذه كانت بعنا تقتلي أو تقتل أي واحد. بدي أخيبها عشان أتذكر. احنا مش رايحين نسي.  
سأله الصحفي. بتخافش نوت؟



إحساس بالسعادة والأمل. بقوله في كل ذلك مبدأ انتهى إليه من بين كل الآلام والصعاب التي مرت عليه. يقول دائماً مبدئي هو البوصلة التي أسير على هديتها. أقول له يا خالد أعرف أنك شريف وابن شريف ولكن تنازل قليلاً واعمل لديك كأي كائن حي إنسان.

وعصياً لمن طلب المناصب جاهلاً أن المناصب لا تدم لأحقي خلعه ساعة وفقدوه فكان في رجل الحكيم... كالحذاء الضيق<sup>(١)</sup>

وكان يصبر أن يبقى مع الناس وأن لا يكون حذاء ضيقاً. ومن عرفه لا يمكن أن يبق حائداً. فأما أن يحبه ويحترمه إلى أقصى الحدود أو يكرهه ويشتبه به ولو كبريين. لا توجد حلول وسطى إذ لا يوجد بين معارضة من لا يبالي به. وكأنه ظاهرة. قلت يا خالد لا يمكن أن تعجب جميع الناس في نفس الوقت. وقد بدأ روث جدي هذه الحكاية. قالت كان الأب يركب الحمار والابن ماشياً، فالتفتاها رجل. قال مخاطباً الأب: ألا تحجل من نفسك يا هذا تركب الحمار وابنتك الصغير يمشي معك حق أجاب الأب ونزل عن الحمار فركبه الابن. وبعد مسافة قصيرة التفتا رجلاً آخر. قال مخاطباً الصبي: ألا تحجل من نفسك يا ولد تركب الحمار بينما يمشي أبوك الشيخ؟ معك حق يا سيدي، أجاب الصبي ونزل فركب الأب. وبعد مسافة قصيرة جداً التقاهما رجل ثالث قال: أليس في قلبك راحة وأنت شيخ كبير

تركب الحمار بينما يمشي ابنك؟ نزل الرجل دون أن ينس بكلمة هذه المرة ورفع الحمار من أمام فرجه الابن من الخلف وسار به فتعجب الصبية خلفها بطلطون لها بالنسبة والحجارة.

قد حظرتك كثيراً. قلت أن الرب صنفا ورع البخوت كنت تحب الأوسوت. فلا تحضر أنتك هكذا في الثوب الطيبة. غالباً لديك هذا الدرب وعزير على نفسي أيضاً. ولكن الواجبات كثيرة والمهم كبير. واجبتا إن نحضر. رفيق دوتنا. من حل العزيرين. أصر أن يكون جدًا ضيقاً وحملها فحضر وقال الناس عملها سعيد أبو فوطه. وقد قلنا له أنا وأنت وغيرنا كثيرين «يا سعيد يا أبو فوطه إيش يدك بالثنين وطرك مفروطة». فلم يسمع وصحبه بدل الاثنين ثلاثاً وأربع فترحت بطونين وكثرت كروشنه وشاع وقاراً في رحمن. وأصبح دعماً قريباً من عيوننا نيكى عليه وعلى قطع الناس. أعرف جيداً كل الحكاية. أصلاً وفصلها. مددت يدك اليه قلت إنه رفيق درب عزيرنا. أملت أن يند على يدك تماماً مثلاً تشد على يده. لكك لم نر أن لعباً مرقطاً يرفد في الزاوية الرطبة. ولم تنتبه أن على كل قارند طريق قاصداً ينتظر الابن. ما كنت أرى وأنا أعرف ذلك جيداً. عليك طلق الحمارة ان. أحمل الزاوية. دعشت. كل تحاليل الفلاسفة. قالوا لا يمكن أن يكون مناجلا فعمدته خاوية. طلق الحمارة هذا بعدله الحمارة اسقط جميع الأقتمة. وعندما تسقط الأقتمة تسقط الضمائر. أرئت أن نصير

إنسان شيئاً يستحق الجنة. وأرد في آنيته يستحق النار. ويوم طوفان نوح دامت الأ على قطفها لترتفع شيراً واحداً. بعد رجائه المطاي. من الاقبح حق الصديق. وبعدنا على سبعة عشر مرات في اليوم الواحد. هكذا كتب سعيد أبو فوطه إلى عساكره. إنجوا إلى بيت خالد وأجسوا من فيه. فطارت ذبابة ملعونة زرقاء وحطت وتشتت على (الحا) فقرأ الصاكر: إنجوا إلى بيت خالد وأجسوا من فيه. وكأنه لم يكن به من هذه الرصاصة. وكان يجب أن نصيبك تعرف الصديق من العدو.

١٩٩٠/٥/٢٥

(أبو ستان)

(٢) الشاعر الشيخ أمين ناصر الدين

## الجزء الثاني والمظهر من سرهية

### « الاغتصاب » - ٢



نشر القسم الأول في

السنة الثالث والرابع ١٩٩٠

○ للكاتب السوري سعد الله وئوس ○

#### سفر النبوات - المقطع الرابع

الدكتور في زاوية نصف مضادة. ثم يعاو الضوء في مكتبه مائير. نرى مائير واسحق

الدكتور جعلوا كرمي خراباً خراباً ينتحب إلى قد حربت الأرض لأن لا انسان يتأمل في قلبه. [ الاشارة كاملة في المكتب مائير يتعنت

في الخائف |

مائير: هاتوه جالاً. يضع الساعا [ الى متلف لثاقه. ثم انما تأجل ذلك الى الغد اسحق: وماذا تأمل منه؟ مائير: لا مفر امامه. يجب ان يبرز ما لديه.

اسحق: لم يبق لديه ما يقبدا. مائير: بل بقي شيء هام. انطلق يا اسحق ان ما يتعلم هو المعلومات. الى الحجم

بالمعلومات. لدينا منها ما يفيض حاجتنا الامنية ولكن ماذا عن كثرياته. هل تسمح هؤلاء القلة ان يتروا على الكثرية. هذه بيضة الاقوى التي ينبغي ان نعطها قبل ان تفقس.

اسحق: لا اظن انه سيتكلم مائير: سجنه يعوي ويبقى. اريدك ان تقوم الحفلة.

اسحق: كنت.

مائير: ما أترك يا اسحق! هل انت متوكل؟

اسحق: لا. شيء على الاطلاق. ايرن الحافله. فبرقع مائير الساعا [ مائير: آلو. اعلا دكتور. الخشي على قلبه هؤلاء الارهابيون ليست لديهم قلوب.

لا تحقد. هذه مسؤولتي. يضع الساعا [ كيف حال الوالدة؟ اسحق: بخير يا سيني. وهي كالعادات تمت بأصدق قناتنا.

مائير: كم ارجو ان تكون فخورة بنا. اسحق: انها قدسك دائماً يا سيني.

يدخل. حوشى. ودافيد. وهنا يتودان اسماعيل. مشيه اقرب الى الجريزة. وعلى وجهه تعبير غارغ بكاء. يتصف بالمدمية يتأهب بموتى لك قوبه.

مائير: (مقرراً) لا تترك قوبه. دافيد: (هائسا) ما زال ضعيفاً. ان يحمل الثيار والمطعم معاً.

مائير: لا شك انهم ولؤك في المستنق. انظروا. الا تيمو الصبية على وجهه. اعتقد انه صار عاقلاً. لم تكن تريد ان تصل الى هذا

الحذ. اخبرتك ان العباد حاقه. ولكنك لم تصغ إلى. على كل ما فات مات. عرفت بعض فنونا. وهكذا ان يجب نفسك معرفة الياسي. هيا. برهن انك حرت اعقل. [اسماعيل صامتاً] لا تخرج نفسك. ولا تصاعف حافلك. هل سيتكلم ام لا؟

اسماعيل: اعرف ايها السيد. ما هو الموضوع الذي يكد عقول الفلسطينيين؟ مائير: من هم الفلسطينيون؟ لا يوجد فلسطينيون.

اسماعيل: ومع هذا فان الفلسطينيين يتخذون خيالهم كي يتصوروا دولة كريمة تتسع لي ولك. دولة حقوقنا فيها متساوية. وحرماننا مكفولة. انهم يحملون بانك ذات يوم ستهدم هذا المختار الحضاري. وستقبل بالحقوق التي تفرغها المواطنة لا القوة.

استعمل معاً. انا وانت. كي تزدهر قلوبنا الانسانية. فتصور ايها السيد اي لوعام نفدي.

مائير: وفيهم تهمي الحكايات السقيمة. ما يتعنت خيالكم هو الارهاب. واريد ان اعرف دورك فيه.

اسماعيل: هل ستكون هناك فرصة كي اخبرهم اننا نظارد السراية. ستكون ثمة حروب تلوحها حروب حتى يحسم الصراع. مائير: الصراع محسوم ايها الأبله. اسماعيل: لا. لم يحسم بعد ايها السيد. مائير: انن خذوه. وجرهوا. له ان الصراع محسوم. هيا يا اسحق. اريدك ان تقوم الفعليه. ولا تحقد. ضحك. حتى يحرق (موشى ودافيد يدفعان اسماعيل الى الغرفة

الداخلية بينهم سحق وبعه مائير.. المكسب فارغ. وثمة بقعة ضوء تكتنف الدكتور متوجع.

الدكتور: يداون كسر بنت شعبي فائزين سلام سلام ولا سلام. ويل لي على استعصافى ان ضربي لا شفاء منها. وعلمت ان الصراع ظل ينبت من تلك القرعة حتى انقضى الليل. وابتقى العجر متمراً خجلان. فجأة ساد الصمت. وانفتح الباب.

استغفر الائمة في الكسب من القرعة الداخلية يأتي مائير مكتهراً. يتبعه موشى ودافيد اللذان يجران اسحق. يرفع مائير ساعة الحائط.

مائير: رش عليه قليلاً من الماء يا موشى. دافيد: اسحق.. اسحق.. موشى: (وهو يرش الماء) انبسط يا دلوثة ماما.

اسحق: ولكنه مات فعلاً. مائير: نعم. لقد مات فعلاً. ولبثت فيهم افضل من الهى. ماذا جرى لهذا؟ الى اكاك انكرت اهدا من ربيت وديت؟ فائد الحفلة يصفر ويصيح عليه كالسند شيء عجز.. اسحق: اعلمني.. الى منصبه اعتقد انى مريض.

مائير: سأعطيك اجازة للراحة. ولكن احذر عليك ان تكون يكامل لياقتك حين تعود.

اسحق: حاضر.

مائير: بلغ تحياتي لأم.

الطاهة (لدرجى):

## سفر الأحزان اليومية - المقطع الرابع

إضاءة على القارعة وهي تتربع صباح وأطلال رصاص. بوى سيارة أسياف تقرب من بعيد.

القارعة: رصاصى لا شك انه رصاصى. لماذا لا يركض هذا الولد! اركض.. اركض.. سافى رختان.. كل شيء بدأ من الحفلة: الله اكبر.. عاد اسماعيل في تابوت مسمر.. لم يسبحوا لنا ان ترفع الغطاء. وان ترى التعبير الأخير على وجهه رصاصى.. لا شك انه رصاصى.. جنود مقننون. وندجون بالسلح وسط الدروع كثرنا وهكذا كانت المجازة مهيبة. ولم يضطرب الموكب حتى واربنا التراب. رضى جاف. اتى عطشانة. ارى ماء ولكن كيف اصل اليه؟ عاد

اسماعيل في تابوت مسمر. فانفجر الغضب المحتن في الصدور انصمت الظاهرة. وبدأت الضمادات. سافى ألين من الطفل وأنا عطشانة. في يوم واحد كبر الأطفال سنوات. حلوا قشهم وزلوا الى الشوارع الجرد مقننون وندجون بالسلح رصاصى. رغبة سوداء عاد ابن الذي لم يلد في تابوت. مات زوجي الأول مسلولاً. وكانت مهنتى النواج في القاتم. رضى جاف. زوجي الثاني السالى الأول. ومنعتى من النواج سافر الى لبنان. وفي المظلة مات. عاد اسماعيل في تابوت.. رصاصى. ثلاثة من اولادى تفرقوا خارج البلاد والرابع يعمل هناك. ودلال سافرت. حلت حازتها وسافرت. اريد جرة ماء. هل تستطيع دلال ان تقام فصاحة المولدين ونجار الكعاج تجار.. قيمة ثقلة وخافقة.. رصاصى. وتابوت.. جنم.. اريد ماء.. رين.. رصاصى. رين.. اما نحن..

تعجب عن الوعى. رضى بوى سيارة الاسلاف يتشكل مصم.

## سفر التوبوات - المقطع الخامس

إضاءة على غرفة في بيت جدعون. يظهر جدعون نصف عار. وراشيل تتعرج على الأرض مشعة الحنية. ومزقة اللباس. يظهر عري جسدها في أكثر من موضع.

راشيل: يا الهى! الى اى حضيش تهرى كيف امكن ان تغفل ذلك؟ جدعون: أسف من أجل التوبة. يمكن ان ترتب الأمر.

راشيل: سافى.. أهذا ما تأسف من اجله؟ وماذا عن ابنا؟ جدعون: اذا لم تكفى يمكن ان تكررها. راشيل: كيف تستطيع ان تكون منقطاً وحسراً الى هذا الحد؟ جدعون: اذا واصلت شائلك فلان استطع ضبط نفسى. الله شهيد حين تخضين [إدخالها] وشهية حين تقاومين. راشيل: لا تلمسنى.. يا الهى كيف سؤلت لك نفسك؟ جدعون: أرجوك لا يلعب معى لعبة الرماة. كنت تعرفين جيداً ما اريدك منك. راشيل: وهل كنت اعرف الله سئالة بهذه الطريقة؟ جدعون: هذه الطريقة او تلك ما الفرق؟ اعترف انى افضل الحشونة فى الحب.

راشيل: عشونة. ولكنك اعتدت على جدعون. لست من هؤلاء الرجال الذين يذوبون كقوابل الرعدة. لديك في البيت قالب ردة. وهذا يكفي.

راشيل: لا يعنى ما تات بين الرجال ولا ادري ان كنت لحسب منهم. لقد هتكى. جدعون: لا تنسى الله جنت. يحض احتبارك.

راشيل: جنت لاني وعذتي بالصداقة. ولاني بحالة الى معرفة صديق. جدعون: ذلك الاسلوب في التودد اليك.

راشيل: او قل اسلوباً لاستدراجى. وهذا.. يا الهى! ومن تستخرج.. الى

زوجة صديقك.

جدعون: ومن قال ان زوجك صديقى ليس لي اصدقاء القوة هي صديقى الوحيد. اتنا من اجمال الصابرا يا راشيل. من هؤلاء الذين يتعلمون ان الرجل العمل لا يحتاج الى اصدقاء. وان عليه الا يتق بأحد.

راشيل: واغايك عن الرشد السلوب. والشاعر انى لا يترجها لسان.

جدعون: الحب بالنسبة لي هو الرغبة وكانت رغبتي عارية.

راشيل: يا الهى.. كيف ورطنى الاكاذيب. والى اى حضيش هويت؟ جدعون: اسمعى يا حورية لم تورطى. ولم تخدمى. كنت تعرفين بوضوح الى اين انت قادمة. رفا لم يعيبك الاسلوب.. ولكن بالنسبة لي هذا هو الحب. انه عفت وسيطره. راشيل: لماذا لا تقولها؟ انه الانصاف. جدعون: حين كنا صغاراً علمونا ان نعلم الشفة والرفق. وان نتزوج ما نريده انتزاعاً. نعم الانصاف. وكلما ازددت ضراوة. ازاد تقديرى بابا.

راشيل: بابا؟ جدعون: اعنى رئيسنا السيد مائير.

راشيل: وهل تغير السيد مائير عن غزواتك؟ جدعون: لا داعي لاختياره. فهو يرى بنفسه اتنا قضى اوقاتاً ممتعة في المركز. راشيل: اشتراكاً معاً في هذه الأمور؟ جدعون: اتنا نشارك جميعاً. لم يهتك اسحق عن الحفلات التي تقبها؟ راشيل: انه لا يهتكني عن الفعل. يشترك

هو ايضاً؟ جدعون: وماذا تظنين؟ لكن لست له قاصى. فيه طور انوى. منذ ايام الهى عليه كالسند. لا اعتقد ان امرأة مثلك يمكن ان تكون راضية معه.

راشيل: وما تروح الحفلات التي تقبونها؟ الهى حفلات اغتصاب؟ جدعون: اغتصاب واشياء اخرى.

راشيل: يا الهى.. ما معنى هذا؟ جدعون: انه عملاً. نحن نتعامل مع معلومات كان يجب ان تباد لولا الاعتبارات الدولية. ان أمن اسرائيل لا يفس. وهذا فان علينا ان نكسر عظامهم كي يفسقوا ما لديهم من نوايا وشروع.

راشيل: وهل هذا مريع؟ جدعون: بل انه ممتع. الرجل الذي ترى على الوحدة وصداقة القوة لا يمكن الا ان يستمتع به.

راشيل: واذا.. فان عملكم القتل هو التعذيب؟ جدعون: اتنا اللغة الوحيدة التي يفهمها الارهابيون.

راشيل: وستستخدمون تلك الوسائل التي تقرأ عنها في الكتب؟ جدعون: عدتنا أحدثت من اى كتاب. ولدينا اموات لم نجربها بعد. لكن كما يقول بابا.. ليس هناك ما هو فعال مثل كسر الخصمين او مبادعة فخذي المرأة امام زوجها.

راشيل: ويشارك اسحق في هذا كله؟ جدعون: طبعاً. ولكن فيه عاروة ولا

تخطئها العين. منذ فترة اتنا بزوجة احد المعتقلين. واقننا حفلة صاخبة. لكن اسحق حاول ان يتوق في القصة. اسكت شفرة وراح يشطب عاتنها وديتها. ثم قطع حلقه تدهداً لايسر. (يقرب منها. ومع الكلام ينشئ حياجه) كرتة حراء دامية. حلها بين اصبعيه. ثم رمها بتور وطلع. كان وجهه محمقاً. وعيناه تترقان في وميض بالى. الموسيقى صاخبة والدم يسيل مع انصادات الجسد. وحلقة تدهدا كرتة حراء ملقاة على الأرض.

راشيل: (أربعاء) لا تلمسنى. جدعون: شهى رعبك. شهى غضبك. شهية شراستك.

راشيل: لا تلمسنى. ابتعد عني. انكم وموشى. يا الهى الى اى حضيش تهرى؟ يسيطر عليها. ويبدأ عقلة اغتصاب جديدة. ثلاثى الايام.

## سفر التوبوات - المقطع السادس

إضاءة للجولوس في بيت بنحاس. جلس اسحق شاردا. الأم تقرأ في مجلة وبحركة آلية تدهد بها الى رايدى ترانزيسون. تفتح الراديو. ينطق صوت النجش. تمكث الصوت.

صوت النجش: قفصت طائرات سلاح الجو الاسرائيلى قواعد للمخربين في جنوب لبنان. وقد افاد الطيارون بأنهم اصابوا الاعداد اصابت طائرة. اصيد الحاكم العسكري امراً باغلاق جامعة بيروت على خلفية

الاضطرابات التي شهدتها الناطق. اسحق: (متأففاً) ارجوك. اغشى المذياع. [الأم تغلق المذياع بانزعاج.] اسحق: تأخرت وراشيل. الأم: اتنا نحب التسكع في الاسواق. اسحق: امام. حاولي الا تكوني غاسية عليها.

الأم: خير لها ان تعود الى عملها. اسحق: لا تستطيع ان تترك الطفل. الأم: الطفل مسؤولي. انى اعمل له كل شيء. وأريد ان اريه كما يجب.

اسحق: واهم.. الا يحق لها ان تشارك في تربيته.

الأم: لست لديها الحيرة. منذ ايام سمعتها تتابعى بحكايات سفيقة. التفرق التي تزوج الخلاوة. والحلاوة التي وضعت طفلاً من السكر. وتفاعت من هذا النوع. اتنا على الأقل ربيتك. ومن اراك الآن اشعر بالزهر.

اسحق: لست متأكد ان لذي ما يمت على الزهر.

الأم: لا اسمع لك. ليك ان تظن ان التواضع فضيلة.

اسحق: امام. اود لو تحدثتي عن ابي. الأم: ما بك يا بني. حالك في الفترة الاخيرة لا يعجبني.

اسحق: حدثني عن ابي.

الأم: مع المولى. واثنين في قيوهم.

اسحق: كنت دائماً تتعاجلت الحديث عنه. اجاباً يحيل الى ان جوزيف بنحاس من يوجد. وانه مجرد انطباع عابر من تطباعات



الأم: ذلك أفضل، لأنه ما كان يصلح قدوة لابنه.

اسحق: هل كان سينا إلى هذا الحد؟ ذكر رجلاً ذاق الطيرة يعرف على الكمان. كان الساء ملوثاً، واللحم ينساب بين الألوان مثل جدول عسل.

الأم: وما ادراك يا ولده، واقع على المجيء معي. ورياً لأنه لم يجد له مكاناً في المجتمع الذي يتأسس.

اسحق: ألم يكن راضياً في العودة إلى أرض إسرائيل.

الأم: كان موسوساً. لم يشاطري حماسي للصهيونية، ولكنه لم ينشأ كما كان يفعل بعض المتحولين والصيوعيين. ظنت ان دفعة صغيرة تكفي كي تغلب على موقفه القرد. وحين فاقني بالزواج، اقترحت عليه ان نجاهر بعد الزواج، وان نلبي حياتنا هناك. فاستغفرت الفكرة ووافق.

اسحق: هل كنت تحبها؟

الأم: واثقة. هل تارس دور المحقق مع أمك؟

اسحق: تكلمني يا امي. اريد ان اعرف، الأم: ربي احبته في البداية، وبالأحرى خدمت به. جدي استغله ومزاجه القوي. كان يبدو واعداً، ولكن بعد حين تبين ان ذلك كله قشرة يغطيها يا عديمته.

اسحق: اذكر رجلاً يجلس على الأرض، وحوله اوراق وقصاصات ملونة كان يضع طائرة ورقية لها ذنب مدتهش.

الأم: نعم، كان يشته اللهور، وكل ما هو

اسحق: اذكر الطائرة وقرعني بها. الأم: لو تركتك له لأفقدك. أم: كم كنت حائلة عليك!

اسحق: كيف هاجرنا؟ وكيف عشنا هناك؟ الأم: لم نحمل معنا الا الكمان وصندوق

كتب وملاص. حين وصلنا أرض إسرائيل كنت كالمحمومة فقد حماسي وانفعالي، اما هو فكان غافراً لا يكف عن التفرغ. استقرنا

المقام في أحد الكيوسات. تلك الأيام، بدت لي الحياة امكانية مذهلة. فالتحمت فيها

بفرح وشجاعة. لكن اباك ظل متباعد، وعجز عن اتقان أي عمل. ثم بدأ يلهمه

يترايد، حتى تحول إلى نوع من العداء المرير. كانت الهوة تسع بيننا كل يوم، وكان يعرف

انه يفسري إلى الأبد. ورياً كان هذا أيضاً من اسباب مرارته.

اسحق: وعلام كان تنصب عدوك؟

الأم: حل كل ما يؤمن به الحركة الصهيونية، والمجرة، والوطن القومي.

اسحق: هل كان يسر لك بأفكاره؟

الأم: بل كان يملأني بفرحة شاذية. في فترة من الفترات اصابه وقع الدفاع عن

العرب. كان يريد مائتة، صار يجمع اقوال اليهود الموسوسين من امثاله ويستشعر بها

اماماً. قال فلان وقال علان. وكنت أفر خجلاً واكثر عيباً. وذات يوم بدأ اسطواناته اليهودية، فامسكه مائير من يافته، وقال له بصوت يترن: ابلهه. فلعل لسانه وسكت. كان

جباناً زعم ضواحه.

اسحق: ألم يكن السيد مائير صديقه؟

الأم: مائير صديقه! كان يجتهد، ويعتبره خطراً على قضيتنا. من أجل لم يتخذ حذره أي إجراء.

اسحق: وهل مات فعلاً بالتلف الكبد؟

الأم: هذا ما قاله الطبيب! كانت به علل كثيرة. لكن الرأفة هي التي قتله.

اسحق: هل مرض فترة طويلة؟

الأم: لا. لم يطل مرضه. لازم الفراش

تباراً، وفارق في الليل. وكان موته مريحاً ومناسباً.

اسحق: لم. لك والسيد مائير.

الأم: للجميع، وأولهم انت.

اسحق: انا؟

الأم: طبعاً. كان يري لك تربية عديمة

عارض ارسالك إلى حضارة الكيوس،

وحاول ان يحسبك في البيت كي ينقل اليك

تأثيراته العذبة. كم عانيت كي أبعدك عنه

وكم خفت حين بدأت تعلم العزف على

الكمان! لولا مائير ما كنت اعرف كيف

التعلم بمعنى معي.

اسحق: أحياناً يخبط لي ان السيد مائير هو أي القمل.

الأم: اسمع يا اسحق. لا تحسب أي

سائضع الهباء امامك. انت من صلب

جوزيف بنحاس، ولكن اود بكلم جوارحي

لو انك من صلب مائير. وعلى كل اذا كان

الاب هو الذي يربي، ويساعد الابن على

بناء شخصيته، ومستقبله فان مائير هو اورك

القمل. لقد قامسني مسؤوليتك، وعلني كيف

اصوغ حياتك ومستقبلك.

اسحق: لماذا لم تتزوجا بعد موت أبي؟

الأم: سأحضر لك غرضاً قوَّاراً.

اسحق: لا. لا. التفت هنا. في اعماقي،

لم اعد متأكد ان ما تقوم به جليل.

الأم: من المؤكد انه جليل ان الايمان اقوى

من الحقيقة يا اسحق. ولا يجوز ان يتزعزع

اياك لتلا تلحج. احشني ان يكون ذلك من

تأثير زوجتك هل تحبها عن عسلها؟

اسحق: لا. انها لا تعرف شيئاً.

الأم: هذا افضل، فهي كانت هت

(صراخ طفل) أم.. استيقظ جيسي. اني قادمة

يا داوودي، اني قادمة يا ملكي.

[تخرج الأم خارجة].

اسحق متعب ومشوش، اذكر رجلاً عذب

الوجه، بارح الدين، يتناول المعلقة ويضع

منها ارباً، وشجرة. وكمان.

[تعود الأم حامله الطفل]

الأم: ملكي غاضب. عفوك.. عفوك.. تفقد

سيفك على فخذك، ويجعلك انتحب. نم.

هذا بابا، (تطلي الطفل لاسحق) لابعه قليلاً

رياً. احضر الماء والحليب.

[تخرج الأم اسحق يناغي الطفل. تدخل

راجل متعبة الهينة ومشفة بمطعها].

اسحق: اين كنت؟ كنت اناغي عليك.

[تنتزع الطفل منه. وتزوي به في دكن

قصي. تدخل الأم.

الأم: اقترع من راجل بخطوات

حاسقة عبيد ان اغبر له وارشمه. [تحاول

راجل التثبت بالوقت. الأم تحاول انتزاعه

من بين يديها] انه مبلل وجائع. تعال يا ملكي

تعال [هجة تدخل راجل عن الطفل بحركة

بانسة. تحمله الأم وتضي به] شعوب تحبك

الأم: لأن ما سينا يسوع على أي عقد أو

زواج.

اسحق: هل قضيتنا العلاقة الحرة؟

الأم: ربي صار من عبقك ان تعرف. لا

يوجد ما يبيعه علاقتنا يا اسحق. بعد فترة

من القامتا في الكيوس التقيت به. كنا

نعصر اجتماعاً للمركبة. ونض اماناً شاب

ملكى في وقفته وقامته. كانت هشة خارقة.

رأيت سليل داود يهب من بين الاسوات متلفاً

بالسحر والجمال. كان مهاجراً جديداً. وحين

قدمت اليه، فلكنني رعدة، وقلت في نفسي

هذا يوصلني إلى وطني ويحمي. وسرنا معاً.

اسحق: اذن كان من التزاحة الا تقي مع

اي.

الأم: تلك كانت رغبتي، ولكن مائير كانت

لديه فكرة الخاصة من اللقاء.

اسحق: وماهذه الفكرة؟

الأم: آه.. كيف اشرح لك. الافضل لو

تركنا هذه الذكريات.

اسحق: لا. لا. استطاع ان تركها قبل ان

اعرف.

الأم: انك تخلفي هذه الأيام.

اسحق: وضعت لي يا امي. أي نوع من

العلاقة كانت تربطك بمائير؟

الأم: احبني كما احب الرب اسرائيل،

واحبته كما يحب اليهودي المسيح. كان حينا

صياً ومكافئ.

اسحق: لم افهم شيئاً.

الأم: كان مائير يفكر ان حلماً لا يحققه

الا جيل معقم بالوجود والمطهر. كان يقول

ينبغي ان نكون روحاً شائعة كالصغير، صلبة

سقطون. اسمعي يا بنت وانظري، انسي

شعبك وبنت ابيك.

اسحق: ايقرب من راجل! لماذا

تأخرت؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي.

اسحق [يلبسها] ماذا حدث؟

راجل: [مرلاعة] لا. لا. تلمسي.

اسحق: ماذا هناك؟ ولم هذا الخلع كله؟

راجل: لا تلمسي.

اسحق: هل تفكرين من؟ كنت أعلم انك

لن تتحمل الأمر. لا الولد. خاتة مثل

حرائك لا يمكن ان يرضها زوج كالآخ.

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اعرفي الان. تقاسين. وان حياتنا

تتدهور. ولكن.. كنت أمل الا نتخلي عن لو

تعليم كم انا بحاجة اليك. لا. لا. احاول ان

استد شقتك. فالتفتة تزيد وضعا زخاً.

اي. ويصعب. وكم هو قطع ان يكون الرجل

وحيداً مع عجزه. الا تقولين شيئاً؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اذا كان هناك رجل آخر. فاني

استطيع فهم ذلك. هناك نمن يجب ان يدفع

[استمركا يحاور نفسه] ولكن ما مبرر ان

يكون هناك نمن. ما الخطأ. اننا نقوم

بواجبنا. لم يملوني ان اكون حاداً كالوس،

وحيداً وقاسياً. كالحرف. الا تعرف ان كل

شيء سيقتض اذا تركنا العلف ينسرب الى

قلوبنا. اذا قلنا انهم: من أجل بعض

المخربين العربية. أليس العنري الطيب هو

العنري الميت. لعلم التسم اذن؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اسمعي يا بنت وانظري، انسي

شعبك وبنت ابيك.

اسحق: ايقرب من راجل! لماذا

تأخرت؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي.

اسحق [يلبسها] ماذا حدث؟

راجل: [مرلاعة] لا. لا. تلمسي.

اسحق: ماذا هناك؟ ولم هذا الخلع كله؟

راجل: لا تلمسي.

اسحق: هل تفكرين من؟ كنت أعلم انك

لن تتحمل الأمر. لا الولد. خاتة مثل

حرائك لا يمكن ان يرضها زوج كالآخ.

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اعرفي الان. تقاسين. وان حياتنا

تتدهور. ولكن.. كنت أمل الا نتخلي عن لو

تعليم كم انا بحاجة اليك. لا. لا. احاول ان

استد شقتك. فالتفتة تزيد وضعا زخاً.

اي. ويصعب. وكم هو قطع ان يكون الرجل

وحيداً مع عجزه. الا تقولين شيئاً؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اذا كان هناك رجل آخر. فاني

استطيع فهم ذلك. هناك نمن يجب ان يدفع

[استمركا يحاور نفسه] ولكن ما مبرر ان

يكون هناك نمن. ما الخطأ. اننا نقوم

بواجبنا. لم يملوني ان اكون حاداً كالوس،

وحيداً وقاسياً. كالحرف. الا تعرف ان كل

شيء سيقتض اذا تركنا العلف ينسرب الى

قلوبنا. اذا قلنا انهم: من أجل بعض

المخربين العربية. أليس العنري الطيب هو

العنري الميت. لعلم التسم اذن؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اسمعي يا بنت وانظري، انسي

شعبك وبنت ابيك.

اسحق: ايقرب من راجل! لماذا

تأخرت؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي.

اسحق [يلبسها] ماذا حدث؟

راجل: [مرلاعة] لا. لا. تلمسي.

اسحق: ماذا هناك؟ ولم هذا الخلع كله؟

راجل: لا تلمسي.

اسحق: هل تفكرين من؟ كنت أعلم انك

لن تتحمل الأمر. لا الولد. خاتة مثل

حرائك لا يمكن ان يرضها زوج كالآخ.

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اعرفي الان. تقاسين. وان حياتنا

تتدهور. ولكن.. كنت أمل الا نتخلي عن لو

تعليم كم انا بحاجة اليك. لا. لا. احاول ان

استد شقتك. فالتفتة تزيد وضعا زخاً.

اي. ويصعب. وكم هو قطع ان يكون الرجل

وحيداً مع عجزه. الا تقولين شيئاً؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اذا كان هناك رجل آخر. فاني

استطيع فهم ذلك. هناك نمن يجب ان يدفع

[استمركا يحاور نفسه] ولكن ما مبرر ان

يكون هناك نمن. ما الخطأ. اننا نقوم

بواجبنا. لم يملوني ان اكون حاداً كالوس،

وحيداً وقاسياً. كالحرف. الا تعرف ان كل

شيء سيقتض اذا تركنا العلف ينسرب الى

قلوبنا. اذا قلنا انهم: من أجل بعض

المخربين العربية. أليس العنري الطيب هو

العنري الميت. لعلم التسم اذن؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اسمعي يا بنت وانظري، انسي

شعبك وبنت ابيك.

اسحق: ايقرب من راجل! لماذا

تأخرت؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي.

اسحق [يلبسها] ماذا حدث؟

راجل: [مرلاعة] لا. لا. تلمسي.

اسحق: ماذا هناك؟ ولم هذا الخلع كله؟

راجل: لا تلمسي.

اسحق: هل تفكرين من؟ كنت أعلم انك

لن تتحمل الأمر. لا الولد. خاتة مثل

حرائك لا يمكن ان يرضها زوج كالآخ.

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اعرفي الان. تقاسين. وان حياتنا

تتدهور. ولكن.. كنت أمل الا نتخلي عن لو

تعليم كم انا بحاجة اليك. لا. لا. احاول ان

استد شقتك. فالتفتة تزيد وضعا زخاً.

اي. ويصعب. وكم هو قطع ان يكون الرجل

وحيداً مع عجزه. الا تقولين شيئاً؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: اذا كان هناك رجل آخر. فاني

استطيع فهم ذلك. هناك نمن يجب ان يدفع

[استمركا يحاور نفسه] ولكن ما مبرر ان

يكون هناك نمن. ما الخطأ. اننا نقوم

بواجبنا. لم يملوني ان اكون حاداً كالوس،

وحيداً وقاسياً. كالحرف. الا تعرف ان كل

شيء سيقتض اذا تركنا العلف ينسرب الى

قلوبنا. اذا قلنا انهم: من أجل بعض

المخربين العربية. أليس العنري الطيب هو

العنري الميت. لعلم التسم اذن؟

راجل: يا الهي.. الى اي حضين نوي؟

اسحق: حقاً، لقد هوبنا. كم كنا سعداء قبل ذلك! انك تذكرون اوقاتنا الجميلة: ذلك المساء، حين اشتعلت الرقبة في جسدنا ونحن في الحديقة، وما لعمرك في السنين... و... كنا سعداء فعلاً. والآن... اي غرابية كان مائير يريد اني بلا طمت، اتصورين! تخافا سنوات ولم يحدث بينها شيء. هي قالت لي: والجميع ينظرون اليه، كما ينظرون الى الرجل الاله. اسم رائعة كذب وعقم وخواء. اعرف اني افقد تقديرك، ولكن يجب ان ابوح بما يعيش في داخلي، اني في نقى لا يبدو له مخرج. عملاً كرهه يا راحيل، هو ضروري، الا انه كرهه، نعمت، ولم اعد احتمل اني طبيعة هشة. نعم، اقول لك بصراحة، اني اني منذ لحظات كانت تقول اني ان موت اني كان مناسباً ومرحياً. هو الآخر كان طبيعة هشة. لا يجوز ان تعطف على اعدائنا، هذا يحركه ومع ذلك فان تعذبة الكراهية تستند القوي كعذبة الحب. لا ابدي عما اتكلم ان نغني مشوش يا راحيل، ولكن يجب ان اتكلم، حتى ولو ازداد نفورك مني، انك لا تعرفين الاشياء الفظيعة التي تفعلها كي تحافظ على اسطورتنا، اسحقى بكلمة. راحيل: اريد ان اتفقا يا ايلي، الى اي حضيض نهي!

اسحق: بل علم النور هذا الحدا ذهبت الى الدكتور منوش. لقد شخص لي مرضي، انه نوع من عقاب النفس، انه يعبر جسدي عن عدم قنني. طبعاً لا تستطيعين ان تفهمي ذلك، فانت كالجميع تعطين ان كل ما يحقق نجاحنا هو نظيف ومشروع. وان فعلنا

فنون التعذيب الى هذا الحد. الام: لا يهتف. اوصانا الرب الان تعجب عجب، وان تقطعهم رجلاً وامراً، خطلاً ووضيعة، بفرأ، وغداً، جلاً وحراراً. اسحق: كان عليه ان يعلقنا على نحو آخر، اذا كانت تلك وصيته. الام: العيب عليك وليس في خلقه، ومن الحبيب ان اكتشف ان ما بذلته خلال هذه السنوات لم يصلح ذلك العيب الوراثة. هذه جزئومة ايلته، ولن نسمع لها بالتكاثر والتعوي. لحظة الضعف هذه يجب ان نمر. اسحق: لن نمر. فالتشكوك تشتر روحني. الام: الام تريبي بحق الرب! اسحق: استمعتة ان ما نعلمه عادل. الام: ما دام ضرورياً لخدمة اسرائيل وجدها فهو عاقل. راحيل: وهل ضروري لخدمة اسرائيل وجدها ان اغتصب انا ايضاً؟ اسحق: ماذا تفكرين؟ الام: [باختصار] وما هذه القضية ايضاً؟ راحيل: لقد اغتصبني زميلك للعالم جدون. اسحق: اعدي ما قلت. راحيل: لقد اغتصبني جدون. اسحق: يا ايلي، حقا اني حضيض نهي!

ام: اني ترى شيء، والاعتصاب شيء آخر. راحيل: اغتصبني كما يغتصبون الغرباء اتاء عليهم الجيود منها عن حلالكم يا اسحق، جدتها عن حيلة اليد المنيورة. اسحق: يا ايلي، الى اي حضيض نهي!

## سفر الاحزان اليومية - المقطع الخامس

[القارة مضطحة على سرير مستشقي. يجلس انيها بعدد على طرف السرير.] القارة: كنت كمن يمشي من الموت محمد، [عازحا] وكيف وجدت الموت؟ القارة: الموت حق، ولكنه مؤحش وهيفد، هل طالت عيوني؟ محمد: قرأتنا القارة مرات، ولكننا اجترنا

الخطر، وقرروا ان نلجا. القارة: يوت العالي، وبما الرخيص. محمد: انت اهل ما تصورين، لو تعرفين كم شأياً تروع كل بالكم! القارة: هل اعطوني من دمهم؟ محمد: كنت بحاجة الى دم كثير، ولم يقبلوا في المستشفى ان يأخذوا مني المزيد فتدفع الشياطين للشرع. الام: كل الدم الذي يتدفق في عروقك شاب، وعندما تنهضين بالسلامة ستعودين حية. القارة: انتم اوجع الى دمائكم من عجز مني. محمد: الدم يحوش، اما القارة فلا توحش. القارة: حاكم الله، ورعي شياطينك، هل كان هناك كثير من الضحايا؟ محمد: ديك الام من هذا، عليك ان تنهي نفسك كي تنقي بسرعة. القارة: اني بخير. كم كان عدد الضحايا؟ محمد: ما كان الوقت كي نحصى ضحايانا؟ القارة: ماذا تعني؟ اخبرني ماذا يجري؟ محمد: اني تشغل وتند. القارة: هل كنت فعلاً؟ محمد: نعم، اني قد في الضفة والقطاع. القارة: هذا افضل خبر بسمه العائد من الموت، وانت؟ محمد: ماذا تظنين؟ منها فقلت فانا ابن ابي وامني، ريمت البطاقة، وملاّت مكانك

الاشاعر في الضدابات. القارة: الام... اكملت فرقة امك محمد، ولكن بعد اليوم عليك ان تركز في البيت، أصبحت كثيرة على المظاهرات ورمي الحجارة. القارة: وانت، الست صغيرا على توجيه التعليمات الى امك! لم تطوئي دمكم كي اركن في البيت ولكن قصص على اخبارك، اريد ان اعرف كل شيء. محمد: [يخرج راوي ترانزستور من جيبه] ويقدمه لانا، حملت لك هذه الحديقة كي تعرفي ما يجري. القارة: واشتريت لي راوي؟ محمد: اني هدية مناجماً، ولكن لا تنسى ان الطبيب حذر من الاتصال والمجد. القارة: لا تنقف على. محمد: يجب ان امضي. هل تريدين شيئاً؟ القارة: سلامتك وسلامة ورفاقتك قبلهم ولهمهم سلامي. [يقبلها، ويخرج]. القارة: فتتح الراديو. يمينت تشيد وطني من احدى المحطات الغريبة. القارة: لو انهم يرسلون بدل الاناشيد بعض الدم والطمين. حقاً. هذا ما نحتاجه، بعض الدم والطمين. [تتلاشى الاضاءة...]

سفر النبوءات - المقطع السابع

[ضوء مبرر وكأ يظهر فيه اسحق وراحيل.]





نفسى شخصت الكثير من طاقى كي اميرك  
واقدم صورتك.

الدكتور: اهو شاق ان تقدم شخصية مثلي  
سعد الله: كان ينبغي ان اخطى الكثير  
من المواجز المرمية التاريخية التي تمنع  
الاعتراف بوجودك. والفقرات السياسية  
التي تحول دون تحريك وحول المهزوم من  
القيصرية. ويرزخ الضحايا والكراهية. وفوق  
هذا مكانة الشرطة وصانتي الجواسيس.  
نعم. كان يجب ان اخطى هذه المواجز كلها  
كي اقدم شخصية الدكتور ابراهيم منوح.  
الدكتور: ولكنه شخصية مبطنة بالرفض  
والاحتجاج.

سعد الله: ويدرك ان الصهيونية ورطة  
للغرب واليهود على حد سواء.  
الدكتور: اذا شئت.

سعد الله: ومع هذا كان علي ان اشد  
طاقى كي اخطى المواجز في داخلي وحولي.  
الدكتور: لم اكن اعلم ان تعارفا بحقوق  
يكل هذه المخاطر. ولكن ما دام كلاًنا يريد  
ان يتجاوز شرطه. فلنأ أسألك: هل كانت  
الزراعة متبادلة في هذه القصة.

سعد الله: لا لم تلحق!  
الدكتور: الفزعتي تلك العبارة التي تزن في  
المسرحية. إما نعم وإما هي.

سعد الله: هل تعتقد ان يوسما. انت وانا.  
ان تعانق مع مائير وجدون وموشي.  
الدكتور: هؤلاء... لا. ولكن قد تومي  
العبارة بمان متطرفة ومزعجة.

سعد الله: ليس للعبارة الا هذا البعد. لا  
نستطيع ان نخرج من الورطة ما دام الفكر

الدكتور: واين غالت تؤمن بأن وجود  
امثالي محتمل!

سعد الله: بل ومؤكد اذا لم يوجد امثالك  
يصبح التاريخ ألقاً مطلقاً.

الدكتور: لكك تفرط في التفت.  
سعد الله: لا تبدو تفنى مفرقة. اذا ما  
تذكر المرء قائمة المفكرين اليهود الذين  
رفضوا الصهيونية. وقادومها.

الدكتور: ومع هذا. هل تعتقد ان يوسمي  
ان اكون زنباً الى هذا الحد؟  
سعد الله: من اختار الولاء للعدالة لا  
القانون لا بد ان يكون زنباً.

الدكتور: ولو أدى ذلك الى التخلي عن  
أهلي وشعبي!

سعد الله: انك لا تتخل عنهم. بل تحاول  
حمايتهم. انك تبصر ان الدرب التي يسلكونها  
خطيرة. وان الصهيونية التي يستهدفون بها  
ورطة. هل تحمل اربما عن اهلك وشعبك. كان  
لسانه يردد باللعنات. اما قلبه فكان ينطق  
حناناً.

الدكتور: ولكن من أصغى الى اربما؟  
سعد الله: سيأتي وقت وسيصغون. في  
القرات الرثة. من المهم ان تظهر شخصيات  
تحي الاكاذيب. وتظل على ألق تاريخي  
جديد.

الدكتور: الشجاعة وحدها لا تكفي. انك  
لا تعرف القوة الروحية التي يحتاجها امثالي  
كي يكونوا يهوداً ومعاين للصهيونية في وقت  
واحد.

سعد الله: استطع يا سيدي ان اقبل ما  
يجتاز المرء من طاقة كي يتجاوز شرطه. وانا

الذي يشك مائير وجدون هو الذي يسود  
على الضفة الاخرى.

الدكتور: طيب. وماذا عن السجون؟  
ذكرت على ما يحدث في السجون هنا.

وجاهلت ما يحدث في السجون العربية!  
سعد الله: اسمع. ترددت طويلاً قبل ان

اكتب هذا العمل. وكان سبب ترددي هو هذا  
الشعور المر بأن المسرحية قد تدخضراً من

المروعة. نعم. يا سيدي. يجب ان تكون  
الزراعة متبادلة. ويجب ان اعترف ان

السجون على ضفتنا ليست اكثر رافة. ولا  
أقل رحمة. ولكن هل تظن ان هذه الأنظمة

وسجونها قللت. أو تشغلها قضية سرعنا مع  
اسرائيل. لا. يا سيدي. ان مشكلتنا

مزدوجة. وان للصهيونية الآن امتدادها  
المعوي في النظام العربي الراهن. الذين

استسلموا لاسرائيل مائير. والذين يستندون  
للاستسلام لما الذين يقعون شحريم

ويعدسون. الذين يهون ثروات هذه البلاد  
ويعدسون. هؤلاء جميعاً هم بعض امتدادات

الصهيونية في الجسد العربي. ان الورطة على  
ضفتنا ممتدة. وان الخروج منها يقتضي نقلاً

عن طريقك. ■

الدكتور: واث. ماذا ينتظرك؟  
سعد الله: عداوة الصهاينة الاسرائيليين

فالصهاينة العرب.  
الدكتور: اذن. دعنا نتبادل الاشفاق.

سعد الله: الاشفاق. وريا الأمل.  
اخرجون بالدكتور. يجلو المسرح. انطام

تدريجياً. ■

## احتفال الضوء

قصيدة جديدة لـ محمد بنيس

نسباً  
لعل الضوء يذكر وحده  
من جاء يوماً  
يبتدي بوشومه  
ليحرر الأنوار من منفى عواصفها  
لعل الضوء يحو  
غيره  
ويكون هذا البحر لي شمس  
سأنتس  
اني لقيت الأجداد  
هيات الحليب يتعمه  
هيات حنا  
ووزعت البخور على مقابرهم  
سأنتس أني  
بجلافة التبطات أحرص  
موقعا  
حدته بمار شوتهم

ضوء  
على ضوء  
ستعذر الدوالي  
من قائلها  
القدينة  
رقصة لند في أقصى جنوب البحر  
يصخبها هبوب سروج موتها  
هنا لا شيء  
يسرق خطها الشمسي  
منحدر التراب  
يعيب من صخر  
إلى صخر  
إلى ماء  
وهذا الأفق مشغل بطقس الصمت  
أو بطوره الأولى  
الضئنة  
في اتجاه البحر تترك وطأة الاقدام

وأنام  
مضطاً بثراني  
قبالة بحرهم  
هيج طوبك يا صاح  
وأنت أينما الوضبة في الخلايا  
استنظي  
نخلاً  
تحف به الجهات  
الصاعدات  
من السكينة  
كل هذا البحر يزرقي لي ليطاتي  
رذاذ ينتهي لعلوه  
زيد يفت بالتساوي قشعريرة  
أبي

(المغرب)



## خارطة للفرح..



□ شعر: عبد الناصر صالح □

التيوم من الليل تطلع  
والجيب يمشى فوق السهول  
سأبلى قمتي  
سأنظر الآن  
أشهد ميلاد شمسه الطهيرة  
أفنى في البحر بافدة  
في السماء مداعل للفرح الغض  
أنظر الآن  
في راحتي يجر الورى  
في جهنم تطلع الأرض زنتها  
والرياح مواعدنا  
كنت أعلن عليك ابتداء القصيدة  
أبنت في ضوء عينيك يرز الخناسي  
والنور في روحك البحر

تزين، رغم انتشار الجوايز،  
حاولت زسك خارطة في فضاء جوي  
وسيلة تتفتح في بئر القلب  
في غطرت الدم المتفجر على البراكين  
حاولت زسك شمسا تحت الشعاع  
لترجيع أطلالها فوق ليل الحدود  
وحاولت...  
كانت شقراط المجامير تحت في الصخر فحراً  
وكؤنة من تراب الوطن  
وأشهد أني أحب  
أشهد أني تداخلت في صدرك المرمرى  
يجت...  
وكانت على دنيا الأرض ترفض  
تصلح في الرمي الشعب معجزة المعجزات

بارقة الأمل البكر  
قلت: الطريق ضمني إلى البحر  
والهلم اجنحي  
كنت أسعد من جيب يتقمص روضي  
ويؤلفي جلبة لتسجد المجدارة  
بأخذني لتضوج العيادة  
أسعد:  
يتفنى النع والشجر المتوازية  
أخرج من جيب يتقمص  
وأشهد في البحر بوابة للحياة.

\*\*\*  
قرين، رغم انتشار الجوايز  
تقمص زنتها في جيبك  
تورق شيلة  
بترابع ظل الجنود على التبر  
تحت صوت الرصاص  
فألتاح  
أفنى للتوي غريان عُمري  
يلاقي التوي  
أدخل في القبر في الملم الحطب  
أهل بعل الصبح؟  
هل يبرأ المرح؟  
هل تتجمع حول محيط السماء الكواكب؟  
كنت الحولة الذي يتنازل في ورده الدم  
تقصيرين المسافة بين دمي والقصيدة  
أكايل عبق

وتسعين.  
\*\*\*  
وحاولت زسك شارة نصير  
على حائط الرّوح  
قلت: الصون الثماني  
وخارطتي جشك الأبدني على الشجر  
والوحد من ملك الأرواني بضم  
تشمس الليل تحت ستارك  
قلت: وأطلقت في أرض روجك أغنية  
للفرح.

\*\*\*  
وحاولت زسك في القلب زينة ترمز،  
قائلة تنوح  
نوحاً بذاكري يتجدد  
أشهد أني أحب  
ما بين وجهي وبين الليل الشيلة خارطة  
قلت: كانت على الشاطئين تحط النواير  
بغرض التبر أصدائه  
تتفتح في هدأة التبر أبعاد عتيك  
تسبح  
يتشكل وجهك في قصص الصبر  
تبر أصداء شريك  
أشهد أني اكتشفك لغة مملوءة في دمي  
فأختمت  
تسليق الزعد  
والمدن الشرفة حطت على الأرض. غاتها

## عاصفة من

### فلقل أكحل



● شعر: عز الدين المناصرة ●

حلفت أن تلمس قاع التبر برسها  
حلفت، قلت  
بين الزين تلوث  
نعب في قاع البحر يوم كاتس  
في كأس صبر، أشربها فجراً  
في الشرفات  
فقر دعوي برني ولجوم  
لغني بيت مهدم  
تذكر حين يتناثر ورداً  
وقسائل من وجع.. ولغات  
شجر الرعد تقوى  
كنايات محولات الشعر  
عسلج كردم  
لغني أعراس وسهيل وجازات  
وأنا مزروع في العراق  
مفتون بحير الوحش  
عسلطة تسيطر في الخطوط

ربح سودا  
من يوقف هذي الريح  
أفنى تسلي  
من سحب من قلبي هذا الشبح  
\*\*\*  
زبد أكحل، ثوب مسوم ومسافات  
جل أخضر وغراب ودمعان  
امراء، تبر، طرقات  
الطفل الأول في حقته الأولى  
ما نسد فوق طغرتها  
والطفل الثاني  
في حقته الأخرى مات.  
مع هذا ظلت، لم الكبت الزرقا  
تلوي في الفتوات  
زرعت على قوتك أماً  
حصدت ندماً وتغوب  
مع هذا

- هل غربي لوتار صوتك  
أم أتركتي الروى؟  
\*\*\*  
ألا ألياً العشق نحن دمي  
ألياً العشق نحن غربي - داليل.  
(طولكرم - دولة فلسطين المحتلة)

كان وجهك شجراً طالعاً في دمي  
قلت: وجهك ذاكري  
قلت: أشعة  
نعم أوصلي الوحة في الوجه  
والمرح في المرح  
والنفس في النفس  
قلت: انتظريك  
صوتك أغني

زيد أكمل، ثوب مسوم ومسافات.  
 أنفياً شجرة، بنفياً نخل، بنفياً صلا  
 كتفائك في الشمس وفي البلور  
 وأرض أساني على الدرب  
 وفوق صفائح جبل الطور  
 أمضى ندى العين  
 وأقرأ غصلاً من ماء الود  
 لسيدة التفاح الكتافي  
 تفس على ساحتها من أجل جبل الأبل  
 المهجور.  
 كم شجرة بلوط  
 شنت قدلتها  
 وشوت حشها ساماً  
 من هذه الحالات  
 حين يكون النض غراباً شرب البحر  
 وما عرف الصفة في عين الأرملة  
 وما قبل أوسمة لشهد  
 حين يكون النض جليداً محترماً  
 أو مائداً من حس لغات  
 ويكون عمود الشعر استمناً صلباً أو رخواً  
 لا دعة فيه  
 نسج جمعة وتصير الموجه نلو الوجه  
 قفاعات  
 من زيد البحر  
 من الحاشي بالذات  
 زيد أكمل، ثوب مسوم ومسافات.  
 \*\*\*  
 مال أطيب قلب الشاعر حين يصفهم  
 يحمل في الكف وثيقة ذمهم

ويدور بها من باب الحرس إلى الأبدال  
 الشاعر يجنن باللوذ أو دمع الموال  
 يتنقل أياماً وشهوراً فوق بحر  
 كي يصل إلى جنة  
 والأمر ذلك الغامض يجري في القلوات  
 كتب قصيدته عن عاشقة ترجسة  
 تتخيل في قصر الماء  
 نالوا جائزة منحها ترجسة الماء  
 لعبد الشعر المائي  
 وبالغاشق في صحراء الأديبة مرمتي  
 يتناوشه اللعلب والضعب، الواوي  
 الجندب والغيب  
 زيد يوصل مكتوباً  
 رمل لا يصل إلى الحب  
 وأطرد - وبعض الظن سراب -  
 أن علماً بين المهر يشابهي  
 أرعى في جبل الملح على شجرات الشح  
 وشمس الصحراء تقاقل في الوجنة  
 والوقت الصعب  
 دلوني للجسر الأبعد ثم ركبنا التافة  
 أقصد أسوار جداتهم وطريق الوقواق  
 وكنت في مضمون العود  
 وسعيت ضحج مدائهم ونسجت الطقس  
 الرطب  
 رشوني بالعطر، صحت من التمر  
 ولكن الفتنة ملع غاب وذاب  
 فشتت جداتهم عنهم وسأت الغاب  
 وسأت الصفصاف الباكي في الغاب  
 أنكرني النهر وأنكرني الجسر، الوقواق

وأنكرني ماء الواحات  
 زيد أكمل، ثوب مسوم ومسافات.  
 حين، فررت الحرب إلى الداخل  
 فهناك الكعنايات  
 يللمن الدم ويقصص جدائل  
 حتى تتل بران النعل ويلعل رمل القلب  
 أما - وضاح - فقد سلب امرأة السيد  
 فرستها وجديتها واللب  
 كانت كبد جرار يجري في شلال  
 كانت جسداً للسيد  
 ملكة الترجس للشاعر والقوال  
 كانت تحب عن القسر  
 تدغدغه بالنال وتقرصه في الخال  
 يبدو لي أن الشاعر  
 قد قض جداتها  
 فاشتعت أو سحرت  
 أما الصندوق فقد كان من الحطب الوردي  
 ومن صنع الراوي  
 يبدو لي - والله تعالى أعلم -  
 أن السيد ولان  
 جعل أخصر  
 حين أصغر  
 وله قرنان  
 \*\*\*  
 عاصفة قسي فوق رصيفي تنامي  
 وحولها تركض أسراب القطان  
 تتمايل فلفلة كعلاء وبيضاء  
 مشتها فتن كبري  
 ومعارك وهراوات ودخان

عقود من ياقوت أو ماش  
 سال اللق على الماء فصارت ليلس  
 قبل إذا قمتا بالتشبه مساة  
 وانهرت أمطار بتابع التوميد  
 وصارت مدرسة وقلاع  
 حتى أن خرج الورد من الحجر  
 نقل الحزبون من القوقعة  
 اشتاق العلامة عبد الرحمن  
 أن يخرج من قلب مغاربه  
 في أول أبريل  
 يرسم من أجل السور الكلمات  
 بتوكا في العتمة قدليل  
 كان مقدمة  
 يتلوها تهمة  
 أبواب وقصور  
 أما الحالة، فقد كانت نصاً مفتوحاً للتفتيح  
 وأقيمت حول الماء غيام وخيول  
 تتجمل عاصفة في الأعراس  
 وترقي عاصفة الفلفل مدحوراً  
 أعرب من حس الوسواس  
 أعرب نحو الوجنة  
 مغنونا بالفتنة والناس  
 لقلل الحاضر، لمجرى القوط وقمع السهل  
 أت الفتنة والقفل  
 وأت أنشد من القفل  
 عاصفة قسي تتركض وسدي في الوحل  
 عند بتابع القروين  
 عند دكاكين الحرفين  
 ما بين الدار البيضاء، وفاس

حيث يطبع التوء جنوباً فيل قلب  
 الشدة إلى فراطاج وحشي المنه إلى وهران.  
 ما ذب القافية إذا جاءت نسج،  
 لثة كالأصفي  
 في البحر المتوسط والبحر الأحمر والبحر  
 الأسود  
 لثة تفوس المرجان.  
 رجل من عتب، قهوئي السحنة  
 لا فرق إذا كان الطر الصفي  
 يحاصرنا جميع الألوان.  
 رجل يحمل أسلحة  
 وطوف يا غير البلدان،  
 خذ سيفاً يا بوشكين  
 خذ حجراً يا ناجي  
 خذ جدر يا حلاج  
 الورد صناعاتي والقلب رعامي  
 والعقل رناج  
 رجل يتلح مدناً حالكة من صخر الصوان  
 أين رنين الأجراس  
 ويرون مثل نيد برسي  
 في داخله بركان  
 أين إذن غسل الأعراس  
 وغبار رسوم الطاسلي  
 أعصب فوق جيبيك منديل  
 رجل من جسد مهتر، مكسور  
 لكن ما طأطأ أبداً لمهر الرج  
 أين إذن حفظت وكتان  
 الأول غير في لندن،  
 والثاني وشم زعوتي مأسور

الأول رسم في صحف  
 والقائل أول من برتة  
 والثاني شعر ممنوع يركض في التبة  
 والثالث يشرب قهوته في البار  
 وحينه الأثر.. ولا يفتة  
 رجل يحمل لغة النار  
 وثار اللغة شهاب التشكيك  
 لا يعرف لغة التلج ولا طرق التدوير  
 وله قلب يشبه حبة لحيون  
 أسك بالهجر  
 عش القلب  
 تناثر كالحامد المجهون  
 وسفوه نيداً، إترت  
 هذا من لسع الزيتون  
 قل لي: هل تركض فوق سرير الأنواج  
 قل لي: هل تلعب للقبعة في ذاكرة الماء  
 قل لي: ان كنت تاتزلم  
 أم لغار الوقت  
 كانوا اتبع فقط  
 قل لي: هل يخرق الصوت المفرود  
 جمعاً من قطمان وسياجات خلف سياج  
 هل يخرق الصوت المفرود  
 قطمان الأنواج  
 قل لي: يا لوركا  
 قل لي: يا بوشكين  
 قل لي: يا ناجي  
 قل لي: يا حلاج  
 \*\*\*  
 عاصفة مقبرة مرث قري

وأنا أحلم بحليب الماعز والتوق  
 عاصفة مشمسة مرث ي  
 وأنا في صدر صحائفكم  
 مشنوق  
 عاصفة مرث  
 وعلى مهل فرث  
 تعبت كفاي من التلوي  
 تعب القلب من التصريح  
 من يسحب من قلبي هذا الشح  
 إن قل: طويل القامة مثل صنوبرية  
 أو أي شيء قال القاموس  
 عشش أو عشش أو عشش  
 أو شوقية أو شلهب أو شولب  
 أو طوط أو طوط  
 أو غاف  
 أو فوق  
 لكن، يكفي  
 أم ألم هذا الجسد العالي في السوقي  
 لأقول: الحولة جسد صنوبري، مشنوق  
 إن قل: خفاف، تشكيل سري،  
 نحول، إبدال، مجروح  
 أو قل: سماء يتزاح عن اليوم  
 قنبلة عاشقة  
 تتجر كالروح النبوي  
 أو قل: صهيل الفرس البري  
 وهدير الشلال القدسي  
 أو قل: زجاج  
 وعناصر تتسرح من قلب مذبح  
 أو قل: مزيج الأنفاس الزمينة

في الدرب المفتوح  
 معنى المعنى،  
 عتب، ونيد ندره أو: ندره  
 بجره تلح  
 أو نظم مشنوق  
 أو قلنا: إن اللغة ميان أو دور  
 وإذا قلنا الأثر  
 كما امرأة من كل جوانها  
 بين الأشجار المصلافة  
 أو في الأرض البور  
 ماذا يتفني إن كان الدمع  
 دموع الشاعر قبل الألف الأول للبلاد  
 ماذا يتفني إن كان القبر  
 غير بيتة في صحراء الروح  
 ماذا يتفني، إن قلت الأثر  
 ولا يسعني أحد في وطن الأثر  
 ماذا أقول يا جاك برينجر  
 إن كان الشاعر لا يقل أن يرسم في أرض  
 لم تألفها قديماً  
 فلنظن في مرآة أخرى غير المرآة  
 حين يكون الشاعر مطروداً في بحر الروم  
 يفتات حليب الحاضر  
 أر يفتح نافذة فتطل على وادي الحيات  
 وتكون الشمس وقياً وأخيراً ذليلاً  
 والفتة لغوم  
 من يستل في مرث قافلة في رمل اللقي  
 الوطان  
 تركني بأسوراً لا انصر أن أصف الحفوات  
 أو سارت قافلة أخرى



في ذاكرة الماء وأقداح الرمان  
يا كعاب الطوب الأحمر  
وحبك عوسجة ومدبح  
يا سيف الدولة في تطوان  
يا شجر الدولة في وهران  
من يلمح سوي في هذا التوب المسموم  
من يخرجني من غزن أرجال  
«أين قزمانه»  
من يلمح قدأ من حلب  
ذبلأ لوشاجر، توشية من توشج  
ريح سوداء  
من يوقف هذه الريح  
من يسحب من قلبي هذا الشبح!!

\*\*\*  
زيد أحم، عاصفة من فلفل هذا الحفل.  
سباتي مسموم، توب مسموم وسافات.  
أنيب بلاخهم متلا متلا  
كنيب الزهاني بأبرة المرتفعات!!  
الأول برهان الوهان  
الأول صفرا يتحاور مع صفرا  
يتجب صفرا في اوسواي  
والثاني في الليل لغات، يرسل الأنوار  
والثالث يكتب شعراً تلعب، ليس يطق  
واسأني فأتا أندلسي يروح  
ها أنذا أترككم  
بومات للفأل وللقليل  
هل أنذا أترككم غربي في قاع النيل  
تترأ متفولا في ليل العلة  
لا إفاق ولا ليليل

رجسة ذابرة قابلة للجرح وللعدول  
فأتا تار الأبل على جبل الكنايين  
يطلق على بحر ميت  
ويرى صغراء موات  
وأنا الألف وأنتم تظيل الليليل  
لغة الضد أنا  
وأنا ترجسكم في الصحراء أنا  
ترجسكم في الزمن الأسود  
عاصفة مارقة، فلفقة حارقة، لقي  
خير الشور  
عاصفة مروت في الايقاع وعزني  
كالبرغم في الريح  
أمسك بالفضة فوق سطور الريح  
عاصفة خلطت السور  
لكن  
من يسحب من قلبي هذا الشبح!!

\*\*\*  
اليوم الأول لزيارة مونتانا الأحياء  
اليوم الثاني  
توزيع الأغيار الليلية في الأحياء  
اليوم الثالث: ليلام المسجونين  
أوسمة حراء من الطين  
اليوم الرابع: لغزيم التسمين  
اليوم الخامس: باقات  
صف آمووي  
يلع أراسي  
عنب كعابي  
حجر التهديد وأشجار التنديد  
أعلام فوق سطوح القريدة

من روائع الشعر العربي القديم

### حلقة الخاتم

لعبد الرحمن بن حسان  
كأن نواذي في عالج طابير  
إذا ذكرتك النفس كذا تبضا  
كأن لجاج الأرض حلقه خاب  
علي، فبا تزداد طولاً ولا عرضاً

### مرئية ابن

لايراهيم بن العباس الصولي  
كنت السواد فكلني  
نن ناء بعذك فليكن  
الناظر فليكن  
أحاذر كنت

### ٢ - الصدى منه/منها

سجلته: م

يا موطأ  
في بخره تفتت  
مراكب الزمان  
يجذبني شجوك  
ياخلذي هنا وهناك  
على شاطئ متلاطم الأمواج...  
\*\*\*  
ينساب  
عطرأ في عطري شفاك  
تلفحي الموجة من بحر هواك  
تسكني

تجعلني أحلق في رياض سماك  
تغيرني أخرى  
تنفض عني بدع لعاك  
\*\*\*  
ونبقى نائمة مراكبي  
حائرة  
وسط الأمواج والأنواء  
تسائل الجسور والشيطان  
أين ديك يا زمان!!  
أين ديك يا مرقأ الأمان!!

### قصيدتان...



• شعر: د. فاروق مواسي •

### ١ - صوت وراء الوطن

أيا الصوت الذي يجعل شوقاً وعير  
أيا الصوت الجموح المستبد  
أيا الصوت الثير  
ما الذي يجعلني أسيراً في شذاك  
وطناً يسكنني نداء في نداءك  
ما الذي يعني شجرتاً في رذاك  
أنت في رعم بهادك  
قصة تروي  
لفؤادي وفؤادك  
شهدك المجيء عبر الكلمات  
طيفه جاء بأهل الأمتيات  
يا من نفسي هناءه  
سوف تعلم لي القرامة  
عبر عينين  
نقل الصوت سناها  
ودى قلبي لعاها  
\*\*\*

## ويكون حَقْلَكَ أَخْضَرَ

### ● شعر: رقية زيدان ●

وتنضي وتنضي  
والشمس ترحل  
والقافلة تنضي مع الغيب  
هتبه، لا تدع ظلام المساء  
يعطف حلك  
وأنت تتردد ولا تخطو  
سيأتي إليك غداً النهار  
وستوجك الحارات  
وستوجك البارد  
وستوجك السابل  
لتصبح ملك الحقول

وتنضي وتنضي  
والشمس ترحل  
والقافلة تنضي مع الغيب  
وتهاجر  
وتنضي على ساحلك البحري

وتردد نشيدك طيور البحر  
تأثراً كاللوح  
لقياً كالمرجان  
وأنت تحزن ولا تنكي  
وستوجك البحار  
وستوجك الرمال  
وستوجك عصافير البحر  
لتصبح ملك الشيطان

يرغم أنك ولا يزه  
مسافر مهاجر متقل  
ودفاتر الأيام بين يديك  
تدخل من المنى وتخرج في المنى إلى  
المنى  
لتطلق في الغياب  
تلف أمام حضرة الله  
وأمام تحردك

## قصيدة إلى امرأة

### ● شعر: سامر خير ●

منى الحلم مثل الفؤاد منى  
كيف أميتها! كيف كورت في الضمير  
خيمه  
وحركت في غيها موجة الليل  
في حقل غابرة؟  
كسجارة  
كيف في لظف شفق الشمس  
كأنه الطائر؟

يقولون: في نقي القمر ضوء  
يُكمل شعاع الهباء. تألمت؟ ثم أجد الأمن  
أين الكلام، الغدوم، الفرج...؟  
أجيبك... من رزول البحر؟  
من أنزل الرزء، أحتاج حلم الزهور؟  
أجيبك... يا أول الشعر  
يا آخره

وَضَعْتُ أَتْقَالِيدَ بَيْنَ يَدَيْكَ  
أَهْجَمِي غَيْمًا غَرِيْبًا وَهَلَا  
بَلَا تَطْلُقِي  
مَنْ أَمَى الْحُبَّ بِالْقَلْبِ... غَرِيْبِي؟  
وَمَنْ غَشَى إِلَّا أَنَا؟

خَلَّتْ، سَتَكُنْ فِي مَجْع  
نصنع العالم العالم بالخاص  
نختبر الشمس في شعرة تدخل  
الليل يخرج طفلاً برناً  
خَلَّتْ فَكَيْفَ قَوَتْ  
بِأَلطَّائِرِهِ؟

وَأَيْقَنْتُ - لَسْتُ الدَّعَاةِ - لَسْتُ  
عظام الكلاب ولَسْتُ  
نقوشاً على حائط الدار... لَسْتُ

سيكون وطك  
وتكون شهيد الإله

وتنضي  
والقافلة تنضي مع الغيب  
وأنت تحزن ولا تنكي  
وأطفالك سيكون ولا يحكون  
استأقوا للرخص  
للغناء  
لجلوى العيد  
وأنت تزرع ولا تحصد  
ولك الحقل والنجم  
وتنضي كثيراً لتحصل على قمع الفصول  
(١٣٤ - المثلث)

وتنضي وتنضي  
والشمس ترحل  
والقافلة تنضي مع الغيب  
وتهاجر  
وتنضي على ساحلك البحري

وتردد نشيدك طيور البحر  
تأثراً كاللوح  
لقياً كالمرجان  
وأنت تحزن ولا تنكي  
وستوجك البحار  
وستوجك الرمال  
وستوجك عصافير البحر  
لتصبح ملك الشيطان

يرغم أنك ولا يزه  
مسافر مهاجر متقل  
ودفاتر الأيام بين يديك  
تدخل من المنى وتخرج في المنى إلى  
المنى  
لتطلق في الغياب  
تلف أمام حضرة الله  
وأمام تحردك

طعاماً على آثار. لَسْتُ الآتية  
فوتدي وطائف شاعرة... شاعرة

أنادي النساء جميعاً  
لأصفهن ينضفن الذي ما غيلناه  
كُلُّ القصور خباء  
وكُلُّ التواريخ  
كُلُّ المحدثات  
كُلُّ المراضح...  
أين قصور الجسد؟

ينضف الأيت  
أرى الموت أقمى لهاجر أطفانها  
سائرة  
نحي من القرب في قلب الأكل  
أضي  
أرى الموت ينضف  
ليمتحن التفتيش في مقبرة  
أرى أميلاً لايتا  
بجزرة



## الخارجون منهم .. ومني

### الشاعر السوري ممدوح عدوان

خرج الطريق من الخيم ،  
فاحسرت بلا طريق  
أبقى معي نضج الهواء  
وبعض جرعات الهواء  
وان أميل إلى جدار  
خرج الطريق ليتطوي  
فيلم آثار الخطي  
غاب الذين تدفقوا ، كالتذكريات  
على الطريق  
بجهم وسلاحهم  
تركوا لديّ الخوف شئ وسادني  
خرج السلاح من الخيم  
ظل لي منه البريق  
لم يبق للظلم المعري من سائر  
لم يبق للشمس التي احترقت على أبوابها  
ظل ، ولا لصبر خافية لكسره  
ولم يجد المحاصر حوله حتى الجدار

لم يبق ، مثلي ، حائراً إلا المحاصر  
فقيت وجني  
وانتدلت اليأس أنتظر التناثر  
وبقيت وجني  
أرقق الأمل الذي عيشته امرأة أغنيها  
وسالت بين عينيها وأغنيتي دماي  
وقالقطعت عن الشيد  
خرج الصراخ من الحناجر  
لم يجد شيئاً ليرجعه صدى  
فأعز في الأفق حزننا  
واستدار إلى الحناجر  
كالخناجر  
قطعت نبداتها  
ملا أغني حين يتقطع الورقة  
خرجت مياه الطامس ، المخبون من وسخ  
المجاري  
ظل فيها الخوف والأمل الغريق

١٧٨

خرج الأذان من المساجد  
فأنتجت فيها الأذان  
مثل قمامات من القصب  
الذي دقته عاصفة  
وظل القلب مكسوراً  
وقد دخلته عاصمة وعاصمة  
وراح الحلم يترق في انتظار  
خرج الأذان  
ظلت في الصمت الكبير  
كغاية رامت نحن إلى حريق  
شجر أنا ، وتزقت نسغي  
ظل في رماذ أبام سناي بعده  
وكمين ناز  
شجر تعلم أن يد نصونه عبر التماس إلى  
الجنون  
خرج السلاح مع الأذان مع الطريق  
وبعدا خرج الكاء من القلوب  
وبعدا خرج النفاث من العيون  
خرج الأذان مضجعا بروائح القتل  
فلم يذق النفاث إلى الصلاة  
أشاع سر دماينا بين النفاث  
وكأن جمع ، كالكلاب ، يشم ما أبقى  
الغزاة  
من القتات  
كدعوة - خرج الأذان مضجعا  
بروائح الدم كالوشاة  
وقد تلفقه الذين تأكلوا  
فتألف ضد قلوبهم  
هذا الربيع أشاع سري للذئاب  
تلفت الحفر العريق  
ولقد تباركتي العداة على الضيق  
تلفت الحفر العريق  
خرج الذئاب من المقابر والسجون

خرج الذئاب من المسالخ والجنون  
خرج الذئاب مدججين بدم آتياب والقلب  
ومن صخب الأذاعة كان يأتي عواء  
كالذئاب ، مع الذئاب ،  
برص من حولي الصفوف  
وبعض استنفاذه  
وبطن متشبا على لمع السكاكين  
الطليقة  
حتى الذئاب تعود الطعام الذي أخفيه  
لو أجلت موتي لحظة  
لأصيب ، جوعاً ، بالسعار  
من أين يبدأ فاني ؟  
هل سوف أترج مرة أخرى  
لألقى من سقطني ؟  
وهل يحلو إلى الموت القراز ؟  
عشرون مجزة لكي أبقى الخليفة ؟  
عشرون ميتاً في القتل ؟  
عشرون غنياً في القتل ؟  
عشرون صمناً في العويل ؟  
عشرون مجزة على إيقاع أغنية رفيقه  
عشرون مجزة غرنا في الدقيقه  
لم يبق من دمع سوى ما سال بعد الضحك  
من حزن سوى تلك المزاويل العتيقه  
خرج المزارع من براريهم لكي يحلوا  
الخيم  
كي يزدودوا الصمت عن أمواته  
كي يبعدوا هذا الذئاب عن الصغار  
خرج الصغار من الطفولة  
والنساء من الاثونة  
ليس للقتل علامات تعرفهم ،  
كما كانوا قبل الموت ،  
ما كانوا نغمه مشهد في السرح الشعري  
كانوا انهارت خاتلات أو صبا عاشقات

١٧٩

### قصائد من الشعر الكوي المعاصر

## ديك من بارود ومعدن

ترجمة : الدكتور عبد الله الجعدي  
جامعة منريد

### المنافي

هبرتو باديا<sup>(١)</sup>

كل شيء با أمني قد تغير  
حتى الحريف هبه ربح مدمرة  
تحمدهم الغابة الصغيرة  
فلا شيء يحمينا من الماء والليل .  
فكل شيء قد تغير  
وهج الريح يدخل  
عيني وعينيك  
وذلك الطفل الذي كنت تسمعه  
يجري من الصالة المظلمة  
لم يعد يضحك .  
الآن كل شيء قد تغير  
انفجح الأبواب والذرايب  
كي تتغير تلك الطفولة بعيداً  
كالفتح مدروساً في الهواء غشاء السدم .

أو ندى في الحلم  
كانوا واحداً ، أو واحداً ، أو واحداً  
كانوا صفراء يلتفون ويلعبون ويكبرون  
كانوا كأعلام تحط على الجفون  
كانوا محاوراً وانتظروا للوأسر  
عودة محرومة من زلة الأسواق كانوا ...  
كلهم سقطوا تسادوا في ركاب القتل  
ساروا كلهم إيقاع صمت في السكون  
النفس في المؤودة بفضح ما قاوت  
والضغينة في قلوب الأمهات فضيحة عند  
النظامين  
والتعقل عند أبواب الفجيرة راح يفضحه  
الدوار  
كما التجأنا من نجر حصنة في طية الماضي  
واشترعت السكاكين الحبيسة  
من سجناء سوى الأهل الذين نكّلوا  
أين الحماصات التي تقوى  
على حمل استغاثات الحصار إلى الحصار  
هذا الذي يأتي للقتل  
سوف يخرجني من الماضي الذي يعبأ  
بقناني ليخرج ما تبقى فيه مني  
ينفي برصاصه حرج المذار  
ولسوف يقتلني ليخوي  
لم يقتلني كما قد يأكل الحروق كتبه

### من روائع الشعر العربي القديم

## ولو أن ليلى...

لنوء بن الحمير  
ولو أن ليلى الأحميلة سلئت  
عقل ودودي جسدك وصفاتك  
لنوء ليلى البشاشة أو زفا  
أليها صند من حباته القبر صائغ

١٨٠

١٨١

كبي لا تري أبداً دروب كفى العنيفة كثيرة الحجارة  
وللا تكتشفى البيت الفارغ من الأوراق والرجال  
حيث شئ الأمل نفسه طلى  
يبحث عن العزلة والحين .

#### الدين

روبرتو غرناثت ريتامار<sup>(١٢)</sup>

( الفاتح من يناير ١٩٥٩ )  
نحن الباقين على قيد الحياة  
لمن ندن بحياتنا ؟  
من ذا الذي مات من دوي في سجن العبيد ؟  
من تلقى رصاصتي  
- الرصاصة الموجهة إلى -  
في قلبه  
لأي شهيد أدين الآن بحياتي  
إذ تفت عظامه في عظامي  
العيون التي إنزعته  
تري محاي نظرة :  
فأريد التي هي ليست بده  
ولم تعد بدي  
تكتب كلمات منقطعة  
وهو غير موجود على قيد الحياة

#### أصبح الصباح

كارلوس ماري<sup>(١٣)</sup>

عندما تنزف أشجار «الجافروما» نغها الأبيض  
من ورق لامع في الدجى

ويلتوي البحر بضرب رطله الأجنس  
يشرع القمر في تحطيم زجاجه الفاسخ  
أمام انقاص الظير  
في الشمس :  
يصبح الصباح :  
ويستحضر المدن حديثة العهد تاريخها  
وتشهر الموالء السواعد الفارغة :  
على امتداد جغرافيتها تفتح شوارع جديدة  
حيث يخرج الجنود القتل عن صيغهم  
يصبح الصباح ليحلي أكثر تلورا  
ههمة مصحح الية  
بينما أشاهد همدوا بالأمل  
ويعني اللتين فاختنا بالحين  
كيف يمر صوت شعبي في القصيد  
ليكر في كلمة أبطال الحياة

#### الغزاة

ريجنو بيدروسو<sup>(١٤)</sup>

من هنا مررا . أساطير لفترة  
كانت عيونهم تنادي  
سكاري المحيط الأطلسي  
والهادي . كانوا يأتون بفرب جديدة ،  
والتيانية الطفيلة على الأكتاف  
والقارة الرهيبه .  
أي حقيقة كانوا يشرون بها بين البشر ؟  
أي كتاب مقدس يتحدث للمعارة الاسانية ؟  
بأي مزمور عدل في الأراضي الشائعة  
كانت مدافعهم الصفحة تذهب إلى السماء ؟  
كانوا باسم الحق والسلام يأتون .  
كانوا بذهيون إلى الشعوب ويدعونها للتأخي :  
وكما في الكتاب ، كانت أميركا هي المسيح  
الذي رآهم يوزعون أراضيها على أنفسهم توزيع الملايين

ويجربون حظهم في حلة غنهم الحرة .  
من هنا مررا .  
كانوا يأتون باسم ديمقراطية جديدة :  
وحق قسم جبال الانديز العالية نامت  
تحت وطأة حلم حارب وحشي :  
من هنا مررا .  
كانوا يأتون بهادي . حرية مسلم بها :  
وصلوا حتى أراضي «لي تاي بي» العنيفة  
على ناطحات سحاب مدرعاتهم الطائفة  
بين جلبة الشعوب المستضعفة المنفرقة  
من هنا مررا .  
الآن بالقاء لكناهم في دول مشريت :  
وصرة الدولارات على الأكتاف  
والقارة المنوحشة .

#### نبذة عن حياة طفل فيتنامي

خيوسوس كوس كاوسي<sup>(١٥)</sup>

ولد ذات يوم  
في قرية  
تحت النصف .  
مات في اليوم نفسه  
في القرية نفسها  
وتحت النصف نفسه .

#### أنت في الليل بيضاء

يا جزائر

خيوس قياض<sup>(١٦)</sup>

الليل بارد والنجوم عدوانية والورقة  
دائما تنتظري ، سلسة في الوقت نفسه وعدوانية .  
يا ليل الجزائر ، عبر الضمت أكتب هذه الكلمات إلهي  
نفسها صمت كالأغنية والصرخة .

أنت في الليل بيضاء يا جزائر . هنا أكتب اسمك وأترك شاهداً  
من غزوات ومعارك وأوبئة .  
كي تقتضي التاريخ هذه الأيام من جديد حرة  
يا مدينة الجزائر الرائعة البيضاء .

#### مرثبة الى خيسوس ميئيندث

نيكولاس غيين<sup>(١٧)</sup>

أي بتان بنائه . وكم  
من ظفر في الحلم لما له  
لقد سطع على منطقة  
الضغط المنخفض ، التي فيها ارادوا تحطيمه .  
جسداً ونورا وعظاما وحجارة .  
كيف تراه . كيف يجب أن تراه بر  
بصرخ بين الأكواخ .  
أو يبقى خاملا كسولا  
أو يهبط ويضعه .  
أو من يد لآخرى  
يدور كقطعة عملة  
متداوله  
أو يشعل حافة الشارع  
كوعضة متأخرة .  
أو يلقظ بأناتيد كالحجارة  
إلى نهر البشر والبحر وبرك الناس  
تؤلف حلقات موسيقي  
انتقامية . موضوعة . كشيد وطني على الأكتاف مضمولة  
صوته الذي يصحنا هنا وبطوقنا  
كزهره سهاد نعصر صوته  
قيصر عصيرا مررا .  
رائحة رطبة  
ماء كلمات حادة



تجدد في الريح طريق الصراخ،  
وفي الصراخ تجد طريق الشيد،  
في الغناء تجد طريق النار  
وفي النار تجد طريق الفجر وفي الفجر ديك  
أحمر من بارود ومعدن،

بدم جراحي قمت شجرة  
عليها عصفور يعني الحياة  
ويشرق الصباح بشقشقة.

«الفجر الكاذب» أحدث مجموعة قصصية لنجيب محفوظ



لا أنسى الله.

الرجل ما زال متردداً. إنها «حلاوة الروح». ولكن لا بد من أن يتجزأ القادم مهمته.

قال: ما عليك إلا أن تغير رباط الرقبة. ولما آتس منه تردداً، مد يده فجعل عقدة رباط رقبة. وأخرج من جيبه رباطاً آخر «متناسباً». وفرد ياقة القميص وطوّه به، ثم راح يعقده برشاقة ومهارة. وتبي الباقة ألقى عليه نظرة فاحصة وقال بارتياح غاية في الأناقة: تأبط ثرائه، ومضى به تم الغلق الباب.

شيوخ «محفوفة» - إمان - لا يظنون الموت كرحاً في الحياة. بل لأنهم استهزأوا من هذه المرحلة (الحياة) الدنيا ويريدون أن «يعيشوا» الجانب الآخر من الحياة (الحياة الأخرى)... أنهم ما زالوا يستمتعون بالحياة الدنيا. بل ويكرهون أن يغادروها قبل أن يتأثروا حظهم كاملاً منها. في قصة «عقطة بعيدة المدى» مسيحي «حرم من المال فترة طويلة حدثت له معجزة». ورت متراً وباهه. في ظل الافتتاح - بنصف مليون جنيه - بنع خطة طويلة المدى لتعويض ما حرم منه. ولكنه بعد أكلة دسمة، واستلقى فوق الفراش بالتفكير والحلم. ماذا يجتم فوق يده؟ وماذا يكتم انفساه؟ انه الموت. الموت يتقدم بلا مدافع ولا مقاوم... لم كانت المعجزة انذاراً غير معقول. غير معقول يا ربه. انه لا يجتم على الموت بقدر ما يتقدم على الزمن الصالح..

«مسيحي» آخر.. من ابتاع «محفوفة» في

قصة «النشوة» في توقيع «أكتشف في نفسه القدرة على ممارسة الحب. ففعل». «حتى شعر ذات صباح انه في أشد الحاجة الى لقاء طبيبه». أصبح الطبيب على مخالطة تعليماته، فقال المجوز وهو يسدل جفنيه: ولست نادماً على ذلك!!.. قيم التدم؟ انها الحياة!!!

## دقن الباشا

ويستخدم «محفوفة» ببراعة مستوى آخر من الزمن عندما يناقش ما حدث قبل وبعد زمن عندما يناقش ما حدث قبل وبعد زمن الافتتاح.. في قصة «دقن الباشا» - وهو اسم مقهى آخر من تلك المقاهي التي تعود «محفوفة» استخدامها لممارسة هوايته في «التاريخ الروائي» للأحداث السياسية والاجتماعية التي حدثت في مصر - يتم الافتتاح - بعد الافتتاح - على بيع القميص على يقام بدلاً منه «سور ماركته». ويشرح «محفوفة» فكرته بصوت عالٍ «ارتفع شعار الافتتاح.. فريق هاجر بلا أسف. وفريق ارتفع لمحوه الرقيب. وفريق جرى عواء الشباب.. وبلغ السخرة قمته عندما ينتقل الموظفون رواد مقهى «دقن الباشا» الى مقهى آخر هو بالمصادفة «مقهى الحريق». وهكذا حل موظف اليوم محل الحرقى «زمان».. لقد أصبح الموظفون هم الطبقة الكادحة الجديدة التي يجب ان تكافح من أجل حقوقها المسلوقة!!

هذا ما فعله الزمن.. وأن فلينغير كل شيء بلا هوادة ولا منطق: في قصة «دقن

## ● أخبار ثقافية ..

بدعوة من الاتحاد العام للكتاب العرب  
٧/١٤ - مهرجان قطري إحياء للذكرى  
الأولى لرحيل الشاعر عصام العباسي

● حيفا - قرر الاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين في إسرائيل ان يعد لأحياء ذكرى الشاعر والشاعر الوطني الكبير عصام العباسي، بمناسبة مرور عام على رحيله، من خلال مهرجان قطري سيعقد في مدينة حيفا يوم (١٤) تموز القادم.

رئيس الاتحاد العام قال: ان المهرجان العتيق سيشمل على لقاء دراسات حول الشاعر وراثته وقراءة مقطوعات من نتاجه الشعري يقدمها زملاؤه الشعراء وسيفقد الفنان فوزي السعدي بمجموعة من قصائد عصام العباسي ملحنة ومغناة.

وأضاف ان الاتحاد العام يواصل العمل على جمع تراث الشاعر الراحل ليهيأ لنشره في ديوان وكتاب تراثيات.

ويجدر الإشارة الى ان الذكرى السنوية الأولى لرحيل عصام العباسي صادقت يوم (١٤) حزيران وفي مثل هذا التاريخ من العام الماضي رحل عنا بعد مرض عضال لم يمهله طويلاً.

وعصام العباسي ابن عائلة صيدية فلسطينية اشتهرت بانجابها للعديد من العلماء والفقهائ. وكان والده نور الدين علياً من اعلام التربية والتعليم في فلسطين. وهو من مواليد بيروت عام ١٩٢٤. وتلقى علومه في مدينة نابلس. ومنذ مطلع شبابه ارتبط بأقطاب الثقافة والشعر في فلسطين كما تقرب من الفكر الثوري - التقدمي. وانضم الى عصبة التحرر الوطني في فلسطين وكان عضواً في لجنتها المركزية وأحد المحررين البارزين في «الاتحاد».

في الايام الاخيرة من حياته انتقل الراحل من حيفا الى القدس، عاصمة دولة فلسطين، التي عمل فيها باحثاً في «جمعية الدراسات العربية».

له مئات القصائد المنشورة في «الاتحاد» و«الجند» و«الفند» كما نشرت الصحف الثورية والوطنية في العالم العربي العديد من انتاجه.

يرقد رفقة الأبدية في حيفا، التي شيع اليها في مركب مهيب.

أعنت لقوى.. فتاة اشبه ما تكون «ستديلا» المصرية أو قل المصرية - تعيش كخادمة مع زوجة أبيها التي تحترها. مع الافتتاح تتسائل الفتاة: لست هي خادمة في جمع الاحوال! لماذا لا تعمل اذن كخادمة محترمة في البيت.. يفرها الراتب المرتفع. تنفذ فكرتها. تتزوج كهناتياً بينا اخواتها غير الشقيقات ما زلن في انتظار الزوج المناسب. باختصار انتصرت «ستديلا» المصرية كما انتصرت ستديلا في الحدوة الشهيرة. وان اختلقت الوسائل؟! كلناها حققت ما ارادنا وتزوجنا فارس الأحلام. صحيح ان فارس الأولى كان كهناتياً وفارس الثانية كان أمراً. ولكن ما قيمة كل ذلك اذا عرفنا ان هناك «فارفا» في التوقيت. بين ستديلا الأمس وستديلا اليوم. وفارفا في الافتتاح

أيضاً!!

والافتتاح عند «محفوفة» هو الذي يدل القيم. في قصة «في غمضة عين» شاب أحب ابنة حلاق «ابوه» - رغم كونه موظفاً صغيراً من «عجيبه الافتتاح» - إلا انه لم يرتع أبداً لاختيار ابنة حلاق.. فجأة تنقلب الأوضاع. جاء الافتتاح ومع دكان الحلاق يبلغ ضخم من المال.. وأصبحت قيم الأب والألم في موضع امتحان عسير أمام نزوة الحلاق.. وهو - مع الأسف - امتحان معروف النتيجة مقدماً!!

محفوف في مجموعه «العصر الكاذب» ما زال قادراً على ان يشعرنا بالمتعة والاعجاب وأيضاً.. بالحلم من الغنى!!

محمد عبد الشكور  
(القاهرة)

## أجل مئة قصيدة للأطفال والفتيان إصدار مجلة «الحياة للأطفال»

● حيفا - صدر في حيفا، في الشهر الماضي، كتاب «أجل مئة قصيدة للأطفال والفتيان» قام بإعداده ونشرها رئيس تحرير مجلة «الحياة للأطفال» محمد بدارنة. ويضم الكتاب (١٠٠)



صفحة من الحجم الكبير) ١٠٠ قصيدة تناسب سن الأطفال والفتيان مزينة برسومات ملونة من اميرة الديك ومايكل ألين ونوعية من الرسامين العرب.

ولا يسعني إزاء هذه المجموعة الخشنة، الا ان اعر عن إيجابياتها لما تضمنته من سهولة في التعبير وجمال صور مما يجعلها قريبة من

حياة الأطفال والفتيان. حتى لا يعجز الغالب منها سوى اللحن والغناء.

ويقدم ما تنفذ بيوتنا لأغاني الأطفال فإنا نرى ضرورة عامة في اقتناء هذا الكتاب. لا سيما وان الأغاني التي تتضمنها تحمل اخلاقيات عالية وتغرس في قلوب الاجيال الطامعة محبة الوطن.

«حما في ساحة الدار»  
للقصص جمال بئورة

● حيفا - صدرت للناشر الفلسطيني جال



بئورة (بيت سامور)، قبل أيام. مجموعة قصصية جديدة بعنوان «حما في ساحة الدار» وتضم ١٩ قصة في ١٢٢ صفحة اقتصرت على تصوير معاناة الإنسان الفلسطيني وبسالة في قلب الانتفاضة العارم.

وقد صدرت للمؤلف ثلاث مجموعات



قصيدة سابقاً، ورواية ودراسات أدبية. وصدرت المجموعة التي نحن بصدها، عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين.

## «مطالع من انتولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام»

اعداد الشاعر سميح القاسم

● حيفا - صدرت عن «دار عربستان» في ابرار الماضي، «مطالع من انتولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام» والتي قام بإعدادها



الشاعر سمح القاسم بالتعاون مع منظمة اليونسكو، وكما جاء في الكتاب (٧٢١ صفحة من القطع الوسط)، فقد أعدت هذه المختارات في العام ١٩٨٨. على أن يتم استكمالها مستقبلاً بحيث تشمل الشعراء العرب الفلسطينيين في البلاد والأجيال اللاحقة في

المنفى. وقد شملت المختارات إنتاج الشعراء الفلسطينيين ما بين الأعوام ١٠٨ - ١٩٣٦. وستكون لنا عودة إلى الكتاب في عدد قادم.

## انتفاضة

زئيف شيف وإهود يعاري

● حيفا - وصلتنا نسخة مترجمة إلى اللغة العربية من كتاب «انتفاضة» مؤلفيه الصحفيين المعروفين زئيف شيف وإهود



يعاري الصادر حديثاً عن دار «شوكن للنشر» القدس. وتل أبيب. وقد أعد الترجمة دافيد حبيبي.

بعد عشرين عاماً، خوالي ستين على الانتفاضة بلغت المواجهة في الداخل مغزى طرق عام بالقاء ومواجهات ظلاله أن جمع المشاركين في الصراع عبروا تحت ضغط الانتفاضة من صوالفهم الأساسية: فنظمة التحرير

الفلسطينية أصبحت موقفتها لصالح التسوية، والاراد فصل نفسه عن المناطق المحتلة، والولايات المتحدة تترعت في حوار رسمي يطوي على اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية. في حين أدركت إسرائيل بأنه يتعين عليها التوصل إلى تسوية مع الفلسطينيين بدلاً من الدول العربية. ومن هنا فقد عرضت مبادرتها لاجراء انتخابات سياسية.

وجاء في مقدمة الكتاب بالعربية: «إن الكتاب الذي أمامك، أيها القارئ الكريم، يسعى إلى وضع الأصبع على النبض الأساسي الحقيقي، فإتينا لا نقوم بتصوير التطورات حسب ترتيبها الزمني أو وصف عدد من توافي النقاشات التي راقت الانتفاضة من كلا جانبي الصراع. لأن هدفنا هو إلقاء الضوء على الأحداث الحاسمة وتحديد المراحل الحساسة. وفي بعض الجوانب الأخرى التي جرى فيها طمس الواقع بشكل لا يمكن تمييزه بسبب فائض الأوصاف العاطفية أو مسلمات خاطئة أو روايات كاذبة مفقودة - عرضنا كلاً استطعنا إلى ذلك سبيلاً على بسط وقائع مستفيضة أكثر تفصيلاً.

وبالرغم من أننا ننسب إلى جهة واحدة من النزاع فقد أقمنا في الاستعانة بالمادة الأخرى أيضاً. ففي خلال عملية جمع مواد الكتاب وكتابتها ساعدنا فلسطينيون كثيرون شأن إسرائيليين كثيرون من جميع المستويات، والنتائج النهائي إذن هو تفصيل حاصل ارتباط مصادر متنوعة من المعلومات التي كانت تحت تصرفنا من كلا الجانبين. زد على ذلك فقد تم جمع مادة هامة من خارج البلاد لا سيما من الولايات المتحدة ولم ننسب أيدينا من مصادر

سوفيتية وسويدية وأوروبية أخرى لما سناس في موضوع البحث.

## «قاموس الوطن»

للمرعي فوزي ناصر

● حيفا - صدر في أواخر أيار الماضي، كتاب «قاموس الوطن» من تأليف المرعي فوزي ناصر. والكتاب بمثابة سجل بالأساء



العربية والعربية لجمال وسهول وتلال ووديان بلادنا. وقد ضم ملحقات بأسماء القرى العربية المنتشرة.

وقد قام الشاعر سائر جبران، رئيس تحرير «الاحداث» بكتابة مقدمة للكتاب بعنوان «الوطن خارطة وقاموس وذائقة أدبي فيها إعجابه وحماسه للكتاب. ونحن إذ ننهي فوزي على هذا النشاط الهام، فإتينا نقول له هذه بداية الطريق وكانت بداية مضنية ولكننا نابعة وأملنا كبير أن تواصل المشوار خدمة للأهداف السامية التي من أجلها وضعت هذا الكتاب.

## «قمر كانون»

المجموعة الثانية من أغنيات سيدى حركش



● حيفا - صدرت قبل أسابيع قليلة المجموعة الثانية من أغنيات سيدى حركش بعنوان «قمر كانون».

وقد كتب الشاعر المصري المعروف أحمد فؤاد نجم مقدمة للمجموعة بعنوان «والانتفاضة. وسيدى حركش. وأنا». وجاء فيها: «وكما تفعل مؤامرات القضاة الوفيّة، كفاي فلسطين مصدراً للحنين والأشواق، ومن خلال تلك المؤامرات وكان أغل الحصاد داتياً هو الاصدارات الابداعية الجديدة، فيملؤني الفرح بكل ميلاد جديد.

لست أعرف أين وصل النيران الآن ولا أين يستقر، فقد تلهقه الأصدقاء بشغف وفرح.

كل ما أعرفه أن الشاعر قد استقر في وديان منذ أن فرغت من قراءة ديوانه الأول (حلم العصى). فأصبح جزءاً مني.

لما المجموعة الأولى للشاعر فكانت بعنوان (سلم الصبر) - وأغنيات سيدى حركش في قرح وجرح الانتفاضة.

## راجع غنيم زيتونة لا تقوت وأهازيج لا ترحل

● بقلم الشاعر: أسعد الأسعد

الجهنم، ويجبره على التوقف، فينصاع مكرهاً، وهو الذي يجد حياته ملكاً لشعبه وحبه، لذكر كيف كان يقضي أيامه، لم يرفض لأحد طياً أو دعوة، وإذا تعارضت المواقف، كان يغني هنا وهناك في نفس اليوم والليل، برنامجاً فليلاً. ويواصل. لذكر مرة دعينا إلى أخصبة ثقافية قبية في سخن، كما تسمح القاسم ومحمد علي طه وجيليل توما وأنا، وراحتا الكين، انتهينا من الاحتفال في منتصف الليل، فجأة غير راجع رأيه، وقرر أن يبيت ليله في سلفيت، حاولنا جميعاً أن نثنيه عن رأيه، فلم نستطع، بل كان يشنطنا غصياً كلاً بدأ أحداً في الحديث عن ذلك، لم يستطع أن يبيت ليله واحدة بعيداً عن سلفيت، وبعيداً عن أسرته، طعنت الحديث مكرهاً، وقتلتا عائدتين، وصفت سلفيت مع أذان الفجر، نفس الصعداء، وهو يتنحى باب السيارة مودعا، قلت لجيليل توما: قريب امر هذا الرجل، انظر إليه، كأنك عادت إليه الحياة...

لم تقله مشاغله الكثيرة عن واجبه، مواصله صديق، أو عيادة مريض، أو واجبات

حين هاتني أسعد الأسعد، ليخبرني بوفاته أبو احمد راجع غنيم السلفيتي لا أدري، لماذا لقيت في لبنان، رغم أني كنت أتوقع الخير، فقد تدعورت صحته في الأشهر الأخيرة، بشكل كبير، عدت إلى الأيام الأولى التي جعنتني بهذا الرجل... كان ذلك منذ عشرين عاماً، وأنا لم أعرف راجع قبل ذلك، غير أن السنوات العشرين هذه، جعلتني أعرفه جيداً، منذ أن انخرط في صفوف المقاومة الفلسطينية عام ١٩٣٦، ثم اعتنى بوعيه الطبيعي والسياسي، إلى حيث جوع العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين، فكان واحداً من المنحصرين لمعينة التحرر الوطني، ومن يومها ظل مخلصاً لشيوخه فدائ شق الزمان العذاب في سجون الارذ. ومن بعد في سجون الاحتلال الاسرائيلي، وعانى من الشدة والمشي، وسط رحاله أخيراً في بلدته سلفيت، التي ما فارقته لحظة واحدة، وظل يغني لها، ابنها رجل، مرت في سيرة راجع غنيم، كأنها شرط متصل كان إذا اعتلى المنصة لا يتركها إلا وقد أعياه التعب، وانفلقت حنجرت، فيشغل عليه



المعتقلين، كان يودهم أن يمشروا لوداعه، لكنهم لم يستطيعوا.

رجل أبو أحمد قريفة، من أعز وأجل ما أثبتت فلسطين، تحت الموت، وهزتها الريح المجترقة، لكنها ملأت جبالنا وأوديتنا بالسابل والشجيرات العنيدة، سوف نظل نعطي، وإن تقدر عليها الريح منها عصفت.

ثم يا أبا أحمد، ثم قير العين، فأت حى في قلوبنا، وعلى شفاهنا، أرحامك وأغانيك، زوايدنا للصبح الذي نراه قريباً كما كنت نراه دائماً، وعلى يطلع فجرنا، سوف نظل نردد أغانيك، نعلم سر النضال نعلم وأصبري عافصم ولا تنأني

سوف نتعلم وإن تكف عن النضال من أجل حقنا المقدس والمشرق، وإن تنأى منها بلغت جراحنا وألامنا، فمن جرحنا يطلع النوار، ومن الأمان يشقتق النجر، لك محبتنا أبا الأرحل الكبير، ولذا كراك حيث قلوبنا التي ما انفكت تتناغم على صوت اهاريك وأرحامك. أما والمليسة التي منعوك أن تعطيتها لطفلك غير حشيشة السجن ذات يوم، سوف نوزعها ومليساته كثيرة، بعدد أطفال فلسطين، يوم خلاصنا الآتي، ونسوم نتحقق الأمانيات والأهداف التي أقيمت عرك من أجلها، ونحن نثقون أن ذلك اليوم آت.

اجتماعية أخرى، كان راجح بقبازة التي لم يفارقه أبداً ووطنه وعقالاته، واحداً من لقاتل، تجسدت فيهم روح شعبنا الفلسطيني العظيم. راجح غني، قصة شعب وحيلة جبل، مات في السجن من عمره، وهو لا يزال شاباً بانعا، مثل زيتون سقيته، أعطى عمره لشعبه ووطنه، ولم يحل بشي، ماضي وهو ينظر إلى لأنه لم يتحمل كل هذا العذاب، كان يمشى أو يد الله في عمره، حتى يعطي ويعطي، فما زال لديه الكثير، في الساعات الأخيرة، حين كان يضارع المرض، سأله أحد الأصدقاء

- ما بك يا أبا أحمد؟  
- أبي أحمد في السجن، أريد أن أطمئن على موقفه هناك.

- أطمئن، ابنك مثلي أنت، أحمد راجح السلفيت، صامد هناك، مثلي ربيته وعلمته. أخذ نفساً عميقاً، واسترخى في سكرته يستشفي المفاصل، وراح يردد:

- الآن الموت مرتاحاً، لست قلقاً ولا خائفاً على شيء.

أحمد يقع في السجن، مرض والده ورجل دون أن يرى أحدهما الآخر، لكن الأولاد، ودعوه، وكانوا معه يوم وداعه الأخير في سلفيت، آلاف الشبان من محبة، جاؤوا لوداع والداهم وحبيبتهم، وآلاف غيرهم حالت دونهم نقاط التفقيش، وحظر التجول، آلاف من

الم

المج

يتم

عزل

والا

فيو

يقا

خلا

الا-

يكا

أين



## اطفال الحجارة

● «أطفال الحجارة» - هي القصيدة الأخيرة التي نظمها الشاعر الراحل راجح السلفيتي. ونحن ننشرها هنا بكل مودة لهذا المناضل الشجاع على كل ما تركه لنا من عبيرة لحياة طويلة عريضة لم تخل يوماً من شرف ونبل وكبرياء: حدرك بدرك امي قالتلي اضرب حجرك

حجري قدري	قوى ايماني	فتح بصري
حجري قدري	ثبت قدمي	اكذ خبري
حجري قاسي	من صوان	طالع من حمم البركان

نازل على جيش الطفيان  
يهدر مثل البرق الصاعق  
طير يا حجري من المقلع  
خلي اخبارك في المذيع  
طير طير طير يا حجري  
طير طير طير يا حجري

طير من طلوع النهار	واسبق جميع الاطيوار
واقطع جميع الاقطار	وهدي بحضن دكويار
وفي حجر الخمسة الكبار	واعطيهم كل الاخبار
واشرح جميع الاخطار	واحكي عن اطفال صغار
وكون المرسل والاخبار	واحكي ع لسان الاحرار
صرح الظلم مهما صار	بدو يسقط وينهار
وشعبي بدو يتحرر	وبدو مصيري يتقرر

بيدي وفكري ورنه حجري  
تعيش يا حجري  
تعيش يا حجري  
طير من شعب النقيفات  
صبيان الابتدائيات  
وشق قناع البلاستيك  
يا حجري الله يحبيك

تعيش وتحيا تعيش يا حجري  
تعيش وتحيا تعيش يا حجري